المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الثاني والثمانين

١ فبراير سنة ١٩٣٣ — ٦ شوال سنة ١٣٥١

أساطين العلم الحديث

ارفنغ لنغمير

IRVING LANGMUIR

الفائز بجائزة نوبل الكيمائية سنة ١٩٣٢

مراتبه واستعداده

لما ولد موزلي [١] كان في احدى ضواحي نيويورك فتى في السادسة من العمر . ولكنهُ على الضدّ من موزلي لم ينجب من اسرة اشتهرت بالعلم بل كان والدهُ قسًّا هجر اسكتلندا الى كندا ثم هبط منها الى الولايات المتحدة الاميركية . اما اسرة والدته فلن تجد فيها لدى البحث ما يحملك على توقع النبوغ العلمي في اخلافها

وكان لنغمير في حداثته يكثر من توجيه الاسئلة الى والديه واخوته عما يحيط به من الحوادث والاشياء ، ولا يقنع الاّ بالجواب الشافي الذي يصيب لبّ المسألة . « لماذا يغلي الماء في الابريق » ؟ و« لماذا يسقط المطر » . وكان اخوهُ آرثر يدرس الكيمياء فكان الفتى ارفنغ ينهال عليه بالاسئلة فيجيب عن بعضها ويعجز عن الباقي . فلما كان ارفنغ في التاسعة من عمره صنع معملاً صغيراً في دور بيتهم الارضي . وكذلك انشأ الفتى يخزن في عقله ، من ايام طفولته وحداثته ، ما يصيبهُ من الحقائق عن القوى الطبيعية التي يتنبها في بيئته . وكان شديد الولع ببناء

(١) Moseley راجع مقتطف يونيو ويوليو ١٩٣١ وهو عالم بريطاني شاب قتل في غليبولي في اثناء الحرب

لاشياء وتفكيكها ثم باعادة بنائها. فلما ارسل الى مدرسة عامة في بروكلن تقرر من غرفة الدرس لانهُ كان يفضل ان يعبث في معمله، او يقلق اخاهُ بمسئلته الحسابية على الانتظام في فرقة مدرسية

وكان اخوهُ الاكبر — آرثر — قد تخرّج في جامعة كولومبيا. وقرّر ان يسافر الى اوربا وينتظم في جامعة هيدلبرج الالمانية للتوسع في دروسهِ العلمية. فعزم الوالدان ان يصحبا ابنهما الاكبر الى اوربا. كذلك اتيح لارفنغ، وهو في الحادية عشر السفر الى باريس حيث لبث اخوه في مدرسة داخلية يدرس الكيمياء قبل الانتظام في جامعة هيدلبرج. وكان الفتى يترقب زيارات اخيهِ بفارغ صبر ليستمع الى قصص البحث العلمي التي تقع لهُ. فكانت هذه القصص تفتن لبَّهُ، فيجلس في خلال سردها مشدوهاً كأنما بسحر ساحر. فما كان في الثانية عشرة طلب ان يُعَدَّ له معمل للبحث العلمي، فساعدهُ اخوهُ في تلبية طلبهِ، فكان يقضي فيهِ ساعات متوالية يجرب التجارب المذكورة في كتاب علمي ابتاعهُ

وكان الشقيقان صديقين. وفي ذات شتاء اصطحبهُ شقيقهُ الى سويسرا فتوغّلا احدى قمم جبالها. فاعجب ارفنغ بهذا الضرب من الرياضة، وودَّ لو يسمح لهُ ان يتوغل كلَّ القمم التي على مقربة من الفندق. فعارض في ذلك والداهُ اولاً، ثم اذنا لهُ، لما وعد ان يسير في سبيل مطروق لا يحيد عنهُ وان يرسم خرائط ورسوماً لكل ما يشاهد. كذلك صعّد هذا الفتى وهو في الثالثة عشرة من عمرهِ، في جبال سويسرا. وكان التصعيد في قمّ واحدة، يقتضي احياناً جهداً كبيراً في خلال يومين او ثلاثة ايام فأصاب في ذلك مرانة جسدية وخلقية

وعادت اسرتهُ الى اميركا، بعد ما قضت ثلاثة اعوام في اوربا — اتمَّ شقيقهُ في خلالها دروسهُ في جامعة هيدلبرج — وشهد ارفنغ في ختامها مأتم باستور في باريس — فكان ذلك المشهد طبع في ذهنهِ بخطوط من نور وناد. وانتظم بعد عودتهِ في كلية بنسيلفانيا، فاثبت لرؤسائهِ انهُ يعرف كلَّ ما يعرف من الكيمياء. ولما عثر على كتاب في «حساب التمام والتفاضل» في اثناء ذلك، فتحهُ وطالع فيهِ فقال لشقيقهِ «انهُ كتاب سهل». وفي السنة التالية حضر المدرسة التي كان شقيقهُ يدرّس فيها الكيمياء ثم تخرج في مدرسة المناجم بجامعة كولومبيا وسافر الى المانيا ليدرس على الاستاذ نرنست Nernst في جامعة غوتنجن التي اشتهرت بافعال وهلر Woehler في الكيمياء الحيوية. وبعدما قضى ثلاث سنوات في المانيا، عاد حاملاً لقب دكتور في الفلسفة، وجعل يدرّس الكيمياء في معهد هوبوكن على مقربة من نيويورك. وفي صيف سنة ١٩٠٩ ذهب الى مدينة شكنكتدي حيث انشأت الشركة الكهربائية العامة «داراً للبحث العلمي» فعزم ان يقضي عطلة الصيف في هذه الدار

الدرهم الدولي

وكان يدير هذه الدار رجل يدعى الدكتور ولِس وتْني Whitney وهو رئيس سابق

تجمعية الاميركية الكيمائية ، ومن روّاد البحث العلمي في الشركات الصناعية . كان الدكتور وتني زعيماً غريب المذاهب. ذلك انهُ لما اقبل لنغمير عليهِ ، لم يعيّن لهُ بحثاً معيناً يكبُّ عليهِ في الحال ، بل اقترح عليهِ ان يقضي بضعة اسابيع ، يطوف ارجاء الدار ، ويراقب الباحثين فيها. ففتن لنغمير اذ فعل ذلك . فُتِنَ لأنَّ عيناً بشرية لم تقع على مشاهد اغرب من المشاهد التي رقعت عليها عيناه . فهنا رجال يحاولون النفوذ الى اسرار العلم والصناعة ويرشدهم رجل خبير باخلاق الرجال عالم باحوال المادة

وفي اثناء تجوالهِ استرعى انتباههُ امرٌ معيّن ، كان يحيّر الباحثين ، فمال الى البحث فيهِ . ذلك ان الباحثين حينئذٍ كانوا يحاولون ان يصنعوا من عنصر التنغستن ، السريع التكسّر ، سلكاً ليّناً لا ينكسر ، يسهل مدُّهُ ، لكي يستعمل في المصابيح الكهربائية . وكانوا قد اعدّوا مئات النماذج من سلك التنغستن وكانت كلها الاّ ثلاثة منها سريعة التكسّر لا تصلح لهذا الغرض المعيّن

فذهب الى الدكتور وتني وطلب اليهِ ان يعيّن لهُ البحث في موضوع هذا السلك. فقد كان غرضهُ البحث في تصرّف الاسلاك متى أحميت الى درجة البياض في مصابيح مفرغة من الهواء . ما السبب في تكسر كل هذه الاسلاك بعد تحميتها وبقاء ثلاثة منها من دون تكسّر ؟ وكأنَّ لنغمير رأى بعين الساحر السرَّ في كل ذلك قبل الشروع في البحث ، فلما شرع في البحث لم يضع الوقت في التنقيب على غير هدى ، بل سار تواً الى محجة الصواب . ذلك انهُ حسب ان بعض الغازات التي تمتصها الفلزات هو منشأ ضعفها . فقبل وتني اقتراح لنغمير وجعل في متناول يدهِ كلَّ وسائل الدار العلمية والصناعية . لانهُ ادرك بنظرهِ الثاقبة ان هذا المعلّم رجلٌ من جبلة غير عادية

واقبل لنغمير على البحث ، وقد استخفَّهُ الفرح بتحقيق الاحلام . ما اعظم الفرق بين معملهِ هنا ومعملهِ الصغير الذي انشأه في حداثتهِ بمساعدة شقيقهِ ابل ما اعظم الفرق بين هذه المعامل الحديثة والمعامل التي في جامعة غوتنجن ! ان هذه الدار معقل — بل هي حرم للعلم !

كان لنغمير ينتظر ان يرى — بحسب نظريتهِ في ان الغازات هي مصدر ضعف التنغستن — مقداراً يسيراً من الغاز يخرج من الاسلاك المحمية في المصابيح الزجاجية . ولكن الذي بعثهُ على الدهشة العظيمة ان مقادير كبيرة جدًّا من الغاز خرجت من الاسلاك التنغستن لدى احمائها في مصابيح مفرغة . وكان كثير المطالعة عاشق العلم في سيره الحثيث ، فتذكر ما قرأه لطمسن — مكتشف الالكترون — عن مقدرة بعض الفلزات على امتصاص الغازات واطلاقها متى أحميت . وهذا سلك التنغستن يخرج لدى احمائه غازاً يزيد مقداره سبعة آلاف ضعف على حجم السلك الذي خرج منهُ

وانقضت عطلة الصيف . ان عملهُ في المدرسة يوجب عليهِ الخروج من هذا الفردوس العلمي والعودة الى فرقة التدريس مع ان بحثهُ لم يطل زمناً كافياً لاثبات صحة ما ذهب اليهِ . ولكنهُ كان على الطريق

وكان الدكتور وتني يزور لنغمير لماماً ، ويراقبهُ في خلال البحث ، فعجب لما يبدو في بحثهِ من توقد ذهن وسرعة خاطر ومرونة اساليب . ورأى فيهِ مقتدرة ، كأنها الوحي ، تسير بهِ توًّا الى صميم الموضوع . كانت براعتهُ في التصوُّر والتخيُّل المبنيين على الحقائق المشاهدة من وراء العقل البشري العادي . بل انهُ كان يستطيع ان يتصور نتائج البحث ، قبل ان يتناول الادوات المعدة للتجربة !

فقال وتني في نفسهِ : « من الخسارة ان نتخلى عن رجل يستطيع ان يبدع النظريات من دون ان ينقد تقديره للحقائق المثبتة » . فلما آن وقت الرحيل ، عرض عليهِ ان ينتظم في سلك الباحثين في تلك الدار . لأنَّ مكانهُ في المدرسة يملؤه معلم آخر . فتردد لنغمير اولاً رغبة في ان يكون منصفاً لرئيس المدرسة قبل ان يقبل صلاً يحقق مُنى شبابهِ ! وتردد كذلك لانهُ لم يدر هل من الانصاف ان ينفق مال شركة كبيرة في بحث علمي قد لا يفضي الى شيء عملي ؟ وكاشف وتني بذلك فردَّ عليهِ : « ان بقاءك لا يقتضي ان يفضي بحثك الى نتيجة عملية » . فعزم لنغمير في الحال ان يقبل ما عرض اليهِ ولبث في شكنكتدي

الجواب الاول

كان الدكتور وتني يعتقد ما يعتقده المهندسون الاميركيون المشتغلون بصناعة المصابيح الكهربائية ان صنع المصباح الامثل يتم بالحصول على اكمل فراغ ممكن داخل المصباح . ولكن لنغمير لم يسلم بذلك . بل على الضد منهُ ، جعل يملأ مصابيح التجارب بغازات مختلفة ليدرس فعلها في السلك ، لعلهُ يهتدي الى الباعث على قصر حياة المصابيح الكهربائية بوجهٍ عام . واستخلص من ذلك مبدأً عامًّا في البحث جرى عليهِ . قال :— « اذا ظننتَ انهُ يمكن الحصول على نتيجة طيبة باجتناب بعض عوامل مفسدة ، وكان اجتناب هذه العوامل متعذراً أو صعباً كلَّ الصعوبة ، فيحسن ان تقوّي فعل هذه العوامل حتى تزيد عاماً بها وبفعلها »

فاخرج لنغمير كل الغازات التي كان سلك التنغستن قد امتصَّها . ولكنهُ بدلاً من ان يفرغ المصباح من أي غاز فيهِ حتى لا يكون فيهِ اكسجين يحرق السلك ، ملأهُ بغازات غير فعالة . واختار النتروجين والارغون لذلك ، لانهما لا يتحدان بعنصر التنغستن ولو بلغت الحرارة درجة البياض . كذلك قضى لنغمير سنوات يجرب التجارب في مصابيحهِ ، وفي تناول يده ما يشاء من مال واعوان . لان مدير الدار كان يعتقد ان كل تطبيقات العلم نشأت من الرغبة في الاطلاع على ما هو خفي . وتاريخ العلم في نظره دليل مسلسل الحوادث يثبت ذلك . ومن اشهر حوادثهِ ، اشتغال مكسول بالضوء من الناحية الرياضية الفلسفية وكيف افضى الى التطبيقات اللاسلكية في هذا العصر

وانقضت ثلاث سنوات ، ولم يخرج لنغمير باي تطبيق عملي ، يذهب بهِ الى رئيسهِ

ويقول « ان هذا الاستنباط يوفي الشركة الاموال التي انفقتها في تجاربي » ولكن ورتني لم يسأله في ذلك ولا الشركة طالبت ورتني به. فمضى لنغمير في بحثه حتى اتقن المصباح الكهربائي اللامع الحديث ، الذي سلكهُ من فلز التنغستن وبُلبوسهُ مملوء بغازي النتروجين والارجون. فوفّر بذلك نحو مليون ريال كل ليلة على الامة الاميركية مما تنفقهُ على الاضاءة فقط ! فلما وصف مباحثهُ لارباب العلم التطبيقي قال : ان استنباط المصباح المملوء بالغاز كان نتيجة مباشرة للتجارب التي جربتها في درسي للايدروجين في حالتهِ الذرية . فانني اذ احميت اسلاك التنغستن في غازات تحت ضغط عادي لم يكن لي اي غرض غير هذا البحث النظري »

ومع ذلك فان درسهُ للايدروجين في حالتهِ الذرية في خلال ١٥ سنة مكّنهُ في سنة ١٩٢٧ من استنباط « شعلة الايدروجين الذري » للحم الفلزات التي لا تنصهر الاّ على درجات عالية جدًّا من الحرارة

مباحثهُ النظرية

بدأ لنغمير مباحثه العلمية في دار تابعة لشركة صناعية — ولا يزال فيها حتى الآن — وكان الغرض الاول ايجاد طريقة تمنع تكسّر سلك التنغستن . على ان النتيجة العملية التي وصل اليها لم تكن الاّ فرعاً للمباحث النظرية التي كانت تستغرق كلّ عنايتهِ . ففي خلال المباحث النظرية في الغازات كان لنغمير مهتمًّا كل الاهتمام بما يقال عن بناء الذرة . وكان يماشي التقدم في هذه الناحية من علم الطبيعة بدقة وعناية . بل انهُ يحسب ان تاج مباحثهِ هو نظريتهُ في شكل بناء الذرة ، التي نسجها من خيوط معارفهِ الكيائية والطبيعية الواسعة

كانت طبيعة تركيب الذرّة مجهولة في ذلك العهد ، وكانت قد حاولت طائفة من العلماء انتزاع هذا السر من صدر الطبيعة فباءت فالفشل ، كان لورد كلفن — بعد اكتشاف الالكترون — قد تصوّر الذرة عدداً من الالكترونات المتحركة في كرة من الفضاء المكهرب كهربة موجبة . وجرى طمسن على الفكرة نفسها فجعلها تدور في دوائر متمركزة حول النواة . ولكن الصورة التي وضعها لم تفِ بالغرض لأن العلماء لم يتمكنوا من ان يعللوا بها بعض الظاهرات المتناقضة . ثم تلا ذلك رأي رذرفورد في ان الذرة كالنظام الشمسي فالنواة في المركز كالشمس والالكترونات تدور حولها كالسيارات في افلاك اهليلجية . فلم يلبث العلماء حتى صدفوا عنها لنقصها وجمودها

ان في تاريخ الارتقاء الانساني ازمنة تقود فيها الطبيعة العقل البشري الى الاعتقاد بأنها قد اسفرت لهُ عن محياها وباحت له بأسرارها ، ثم تراها وقد هزأت منه واختفت وراء نقاب ، كثيراً ما يكون شفّافاً ، فكأنها تتحدّاهُ حتى ينضي اليها الركائب ويرهف فؤاد للتنسيق بين اسرارها المتنافرة بين الذين سمعوا الصوت الذي بعثته الطبيعة ، لما اخفق كلفن وطمسن ورذرفورد في

استنباط صورة للذرة تعليلاً لحقائق النظرية والمشاهدة . فتى دغارك اسمه نيلز بور Bohr كان ابوه عالماً وشقيقه رياضيًّا . خلا من الشارك الى كمبردج ودرس على طمسن ثم انتقل الى منشستر ودرس على رذرفورد وفي سنة ١٩١٣ نشر مقالة في المجلة الفلسفية عنوانها «بناء الذرات والجزيئات» خرج فيها على النظام العلمي القديم وسلم بمذهب بلانك بأن الطاقة ذرية البناء كالمادة Quantum theory ، ورسم للذرة صورة تجمع بين صورة رذرفورد وصورة بلانك. قال ان ذرة الايدروجين مثلاً هي الكترون واحد يدور حول نواة في فلك اهليلجي . فاذا أُطلق هذا الالكترون في اثناء دورانه ، بفعل قوة خارجية — كأشعة المهبط او الاشعة السينية او حرارة عالية — قفز من فلكه الى فلك اقرب الى النواة . وفي اثناء قفزه تشع الذرة قدراً يسيراً من الطاقة . فكل ذرة في حالة استقرار لا يبدو منها ما يبين وجودها فاذا زالت حالة الاستقرار قفزت الالكترونات من افلاكها فتشع»

وقد شبه الدكتور فري هذه الصورة بما يأتي : قال لنفرض اننا خارج ملعب رياضي. وان منطقة العدو حول الملعب مقسمة الى اربعة مسالك وان بين المسلك والآخر حول الملعب حاجزاً خشبيًّا عالياً. ثم لنفرض اننا وضعنا جواداً في المسلك الخارجي وأطلقنا له العنان فجعل يعدو ولكننا لا نراه لانهُ يعدو بين حاجزين طالين . ثم نراه فجأة وقد قفز فوق الحاجز الى المسلك الثالث وعدا فيه . ثم قفز الى المسلك الثاني وعدا فيه . ثم قفز الى المسلك الاول وعدا فيه. فنحن لا نراه الاَّ قافزاً فوق الحاجز الخشبي . وكل قفزة تمثل في الذرة قفزَ الكترون من فلك الى فلك وكل قفزة تمثل اشعاع قدر يسير من الطاقة

بهذه الصورة للذرة الايدروجين علل بور الظاهرات الغريبة التي كانت مستترة عن افهام العلماء وأيَّدهُ في ذلك الباحثون فنال جزاءه على بحثه جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٢٢

وكان في اميركا عالم متوقد الذهن واسع الاطلاع يدعى لوس — جلبرت نيوتن لوس — ولد في ماسشوستس ودرس في جامعات نبراسكا وهارفرد وليبزغ وغوتنجن. ففي سنة ١٩٠٢ — اي قبل ان يخرج طمسن صورة الذرة التي رسم فيها الالكترونات في حلقات متمركزة حول النواة — تصور لوس للذرة شكلاً مكعباً . وكان لوس من العلماء الذين يميلون الى التلاعب بالآراء والصور الخيالية ، فوضع ، في سنة ١٩١٦ قبل سفره الى فرنسا رئيساً لقسم الحرب الكيمائية في الجيش الاميركي ، رسالة تحسب الآن اساساً لبناء الذرة المستقر الذي توسع فيه لنغمير وعدَّلهُ من بعد . قال لوس : في كل ذرة نواة لا تتغير . وحول هذه النواة مكعبات تحتوي على عدد متباين من الالكترونات ، في اماكن معيَّنة . وكل ذرة تميل الى ان يكون لها الكترون واحد على كل زاوية من مكعبها . والذي حمل لوس على اقتراح هذه الصورة لبناء الذرة معارفهُ الواسعة في الالفة الكيمائية والبناء البلوري

كانت معرفتنا ببناء الذرة ، على ما تقدَّم ، لما اقبل لنغمير غاريًا لهذا العالم الصغير. فقد

كان ثمة تناقض عظيم بين الصورة التي رسمها بور للذرة والصورة التي رسمها لوس . فعلماء الكيمياء لم يروا في صورة بور ما يكفي لتعليل الظاهرات التي يعالجونها هم . لانهم يطلبون ذرة تمكنهم من تفسير الظاهرات الكيمائية كالالفة والكفاءة Valence وغيرها . فما انقضت الحرب وضع لنغمير نظرية جديدة ، وفق فيها بين الرأيين

تعليل الالفة الكيمائية

حاول لافوازيه ، الكيماوي الفرنسي الشهير ، من مائة وخمسين سنة ان ينفذ الى السبب في اختلاف تصرف العناصر . لماذا نرى عنصر الكلور شديد الفعل في حين ان النتروجين والذهب لا فعل لهما او ان فعلهما ضئيل جداً حتى على درجات عالية من الحرارة . ولكن لافوازيه خاب في تحقيق ما يصبو اليه . ثم عمد الى ذلك برزيليوس وغيره وظلت المسألة سراً مغلقاً الى العصر الحديث

على ان لنغمير ، المهندس وصاحب الرؤى العلمية ، رأى في الصورة التي رسمها لوس مخرجاً من هذا المأزق وتعليلاً لمسألة الالفة الكيمائية . فوجد في الغازات التي تناولها في بحثه لدى معالجة مسألة التنغستن والمصباح الكهربائي خير معوان له على حل العقدة . كان عنصر الهليوم — عدده الذري ٢ — والنيون — عدده الذري ١٠ — عنصرين مستقرين استقراراً كيمائياً اي لا فعل كيمائي يذكر لهما . واذن فالالكترونات خارج النوى في ذرات هذين العنصرين يجب ان تكون مركبة تركيباً مستقراً يجعل فعل العنصرين الكيمائي ضعيفاً او معدوماً . فتصور لنغمير ذرة الهليوم مركبة من نواة (بروتونات والكترونات في كتلة واحدة) وحولها الكترونان يدوران في كرة مفرغة حول النواة . والمسافة بين الكرات المفرغة المختلفة في القطرات المعقدة جعلها مساوية للمسافات بين الافلاك في ذرة بور

فذهب لنغمير الى ان ذرة لها الكترونان يدوران حول نواتها في كرة مفرغة هي ذرة مستقرة . اما الايدروجين فليس له الا الكترون واحد في ذرته ، فهي اذا تميل الى ان تكمل بناءها حتى يصبح مستقراً فتجذب الكتروناً من ذرة أخرى . وهذا سر فعل الايدروجين الكيمائي . كذلك النيون . ان ذرته مركبة من كرتين مفرغتين (الكرة المفرغة في صورة الذرة تخيلية انما تستعمل لتبين ان الالكترونات التي تدور في داخل الكرة المفرغة تدور في مستوى واحد حول الذرة) ففي الكرة الداخلية الكترونان — وهو بناء مستقر — واما الكرة الخارجية ففيها ثمانية الكترونات وهو بناء مستقر كذلك . فذرة النيون مستقرة ليس لها ألفة كيمائية أو فعل كيمائي . اما العناصر التي ارقامها الذرية بين اثنين وعشرة فهي عناصر غير مستقرة ، وهي لذلك عناصر فعالة وشدة فعلها تختلف باختلاف عدد الالكترونات في كرتها الثانية . فعنصر الليثيوم مثلاً رقمه الذري ٣ اي له ثلاثة الكترونات خارج نواته ،

اثنان منهما في الكرة الاول وواحد فقط في الكرة الثانية . فذرة النيثيوم تميل إلى ان يكون بناؤها الخارجي مستقرًّا ، فتتخلى عن الكترون واحد لذرة أخرى تتحد بها وتبقى هي وحول نواتها الكترونان — وهو بناء مستقر . وميل النيثيوم الى فقد الكترونه الخارجي يجعله من العناصر الكيميائية الفعّالة . كذلك الفلور — ورقمهُ الذري ٩ اي ان لهُ تسعة الكترونات خارج نواته — لهُ الكترونان في كرته الداخلية وسبعة في كرته الخارجية ، فهو اذاً يميل الى استكمال كرته الخارجية باخذ الكترون من أي عنصر آخر وهذا يجعلهُ شديد الفعل الكيميائي

قلنا ان الهليوم هو العنصر المستقرّ الاول وبيّنا طريقة بنائه بحسب مذهب لنغمير . وان النيون هو العنصر المستقرّ الثاني وبيّنا طريقة بنائه كذلك . والعنصر المستقرّ الثالث في فائة العناصر بحسب موزلي هو عنصر الارجون ورقمهُ الذرّي ١٨ . قال لنغمير : لذرة هذا العنصر ثلاث كرات ، في الداخلية منها — اي اقربها الى النواة — الكترونان ، وفي الثانية ثمانية الكترونات وفي الثالثة ثمانية الكترونات كذلك — وكل من هذه الكرات بناء مستقرّ لا يميل الى الاخذ ولا الى العطاء . واذاً فالعنصر نفسه غير فعّال من الناحية الكيميائية

فالالفة الكيميائية في نظر لنغمير ، ترتبط بحالة الكرة الخارجية التي تحيط بنواة ذرة ما وعدد الالكترونات التي فيها . والعدد الكامل في اية كرة خارجية — عدا الكرة الاولى — يجب ان يكون ثمانية . فاذا كان عدد الالكترونات في الكرة الخارجية قليلاً فالذرة تتخلى عنها في طلب الاستقرار . واذا كانت أكثر فانها تتطلب ما يكملها حتى تصبح ثمانية . فهي في الاولى تعير غيرها الكتروناتها وفي الثانية تستعير الالكترونات من غيرها . وفي الحالتين تكون من العناصر الفعّالة

اما الفلزات فمن الفائة الاولى واما غير الفلزات فمن الطائفة الثانية . لذلك يتحد عنصر فلزي بعنصر غير فلزّي ، فيتولد من اتحادهما مركّب كيميائي مستقرّ

تفسير الكفاءة والتكافؤ

وكان لنغمير اصاب عدة عصافير بحجر واحد . فالصورة التي رسمها للذرّة لم تفسّر الالفة الكيميائية فقط تفسيراً مقبولاً بل فسّرت كذلك الكفاءة الكيميائية وهي لفظة استعملها اولا الكيماوي الانكليزي فرنكلند في منتصف القرن الماضي للدلالة على مقدرة العناصر المختلفة على الاتحاد بغيرها . فكأنهُ تصوّر ذرة العنصر الفعال لها اذرعٌ كأذرع الاخطبوط تمسك بها بذرات العناصر التي تتحد بها ، وان لذرة العنصر الواحد ذراعاً واحدة ولذرة العنصر الآخر ذراعان ولذرة عنصر ثالث ثلاث اذرع . وقد ظلّ علماء الكيمياء محيّرين في تعليل هذه الظاهرة الى ان علّلها لنغمير اذ قال ان مقدرة كل ذرة على الاتحاد بغيرها (اي كفاءتها الكيميائية)

متوقفة على عدد الالكترونات في كرتها الخارجية . فالكلور — وفي كرته الخارجية سبعة الالكترونات يحتاج الى الكترون واحد لا كمال كرته — فكفاءته الكيمائية واحد وهو الواقع . والايدروجين كفاءته الكيمائية واحد كذلك . وعليه فمن اسهل ما يكون ان تتحد ذرة ايدروجين بذرة كلور ومن اتحادهما يتولد الحامض الايدروكلوريك

ثم ان صورة لنغمير لتركيب الذرة القت ضوءاً كشافاً على معنى النظائر Isotopes وهي العناصر التي تتشابه في صفاتها ومكانها من الجدول الدوري ولكنها تختلف في وزنها الذري . فثمة عنصر الرصاص رقمهُ الذري ٨٢ ووزنهُ الذري ٢٠٧٫٢ وثمة رصاص ينشأ من الراديوم بعد ما يتمُّ اشعاعه ورقمهُ الذري ٨٢ ولكن وزنهُ الذري ٢٠٨ فهذان النوعان من الرصاص متشابهان في خواصهما ومكانهما من الجدول الدوري وانما هما مختلفان في وزنهما الذري . وقد ثبت في السنوات الاخيرة ان لكثير من العناصر نظائر . فلعنصر الكلور نظيران وللاكسجين ثلاثة وهلم جرًّا . فلما نظر لنغمير في الموضوع عرف ان النظائر يجب ان تتشابه في عدد الالكترونات التي خارج النواة . واذاً فيجب ان تختلف في عدد البروتونات والالكترونات التي تتركب منها النواة . فلعنصر الكلور نظيران لكلٍّ منهما ١٧ الكتروناً خارج النواة . اما النواة في احدهما فتتركب من ٣٥ بروتوناً و١٨ الكتروناً وفي الآخر من ٣٧ بروتوناً و٢٠ الكتروناً . وهذا يعلل الفرق في وزنهما الذري

* * *

ولنغمير الآن مساعد لمدير معامل البحث التي تجلّى نبوغهُ فيها . وقد تخلى رئيسه عن منصبه فرفض تولي منصب اداريٍّ امثلاً يلهو بتبعاته عن بحثه العلمي . انهُ يؤمن بقول هكسلي اذ قال: «لو استطعت لهدت امام العالم سبيل الاستعداد التام لعمله واني لازن كلماتي اذ اقول انهُ اذا اتيح للامة ان تشتري فتى قد يصبح مثل وط او دايفي او فراداي ، بمائة الف جنيه لكان رخيصاً كل الرخص» . وهذا لنغمير نفسه يوفر ببحث واحد من مباحثه ٢٠٠ الف جنيه على الامة الاميركية كل ليلة . ولقد اعرب الرئيس هوفر عن مثل هذه الفكرة اذ قال : « ان علماءنا اغلى مقتنياتنا القومية التي نملكها . كل مبلغ من المال ضئيل ازاء عمل هؤلاء الرجال . اننا لا نستطيع ان نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل ارباح البنوك في كل انحاء المعمورة ...»

ان لنغمير وغيره في معاهد البحث في الجامعات والشركات الصناعية ينشئون الآن طائفة من العلماء سوف يكونون اوسع نظراً وأقوى ايماناً بأثر العلم الصحيح ، فيسيرون بنا يجهّزون به من اسباب البحث ، بالعلم الى ما وراء الآفاق القصية . لن يعدم العمران امثال هؤلاء الرجال . وقد يطلع النور على عقول امضى من عقول الجبارة التي درست . فلك العلم دائم لا يزول . . . !

غرفة الشاعر

لعلي محمود طه المهندس

أيها الشاعر الكئيب مضى اللـ ـيل وما زلت غارقاً في شجونك
مسلماً رأسك الحزين الى الفكـ ـر . ولفّ الذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع وأخرى في ارتعاش تمرُّ فوق جبينك
وقلمٌ ناضب به حبرُ أنفا ساك يطغى على ضعيف أنينك

لست تصغي لقاصف الرعد في اللـ ـيل ولا يزدهيك في الإبراق
قد تمشّى خلال غرفتك الصمـ ـت ودبَّ السكون في الأعماق
غير هذا السراج في ضوئه الشـ ـاحب يهفو عليك من اشفاق
وبقايا النيران في الموقد الذ ابل تبكي الحياة في الأرماق

انت أدبلت بالاسى قلبك الغض وحطمت من رقيق كيانك
آه يا شاعري لقد نصل اللـ ـيل وما زلت سادراً في مكانك
ليس يحنو الدجى عليك ولا يأ سى لتلك الدموع في اجفانك
ما وراء السهاد في ليلك الداجي وهلاّ فرغت من احزانك

قم الآن من مكانك وانعم في الكرى غطة الخليّ الطروب
والتمس في الفراش دفئاً ينسّيك نهار الأمس وليل الخطوب
لست تجزى من الحياة بما حمـ ـلت فيها من الضنى والشحوب
انها للمجون والخمل والزيـ ـف وليست للشاعر الموهوب !

كلمات في اللغة

صدر المرسوم الملكي بإنشاء (مجمع اللغة العربية الملكي) في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ وجُمعت اغراضه في اربع — ١ — المحافظة على سلامة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ملاءمة لحاجات الحياة في الفاظها وتراكيبها — ٢ — وضع معجم تاريخي للعربية وتدرُّج الفاظها مع معانيها — ٣ — دراسة اللهجات العربية في اقطارها — ٤ — النظر فيما شأنه ان ينهض بالعربية من كبوتها في ألسنة ابنائها

والمقتطف من اوّل عهده قد عرض لمثل هذه الاغراض وعني بها ونشر من مباحث كبار علماء العربية كلمات قد كانت هدْياً لكثير من الكتّاب والشعراء والمترجمين ، ووضع الفاظاً عربية قد قامت — شيئاً — بمطالب بعض الفنون والعلوم ، فدرج عليها اهل الفنون والعلوم فيما كتبوه من مباحثهم وما نشروه من كتبهم

والآن بعد ان صدر المرسوم الملكي الكريم نراه واجباً حتماً على المقتطف ان يفسح للمباحث اللغوية وغيرها مما يتصل الى العربية وآدابها بسبب ، ميداناً يعرض فيه علماء العربية وأدباؤها ومؤرخوها ما تجود به اقلامهم من المباحث الجليلة لتكون عوناً للباحثين وسبباً في اتصال الرأي واشتراك الفكر والتنبيه الى ما يفوت بعض الباحثين من النظر في شتات ما تحتاج اليه العربية من الوضع والتجديد والحذف والتجريد إحياءً لها ومحافظة على عربية الكتابة وتباعداً عن العجمة الملتوية وإصلاحاً للسان والقلم . ولنا في أدباء العربية وعلمائها ومؤرخيها املاً ممتدًّا إلى غاية الكمال والوفاء في لغتنا الكريمة ونرجو ان يكون المقتطف الذي غذّى الحياة العلمية في بلاد العربية بأطيب الغذاء موفقاً في العمل لتزويد اللغة بأسباب الحياة

معجم عربي جديد

للشيخ عبد القادر المغربي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

لقد كثر في هذه الازمنة المتأخرة اقتراح فضلاء العرب وتمنيهم قولاً وكتابةً ان يؤلف في اللغة العربية معجم يفي بحاجة ابناء هذا العصر لاسيما طلاب المدارس وكتاب الجرائد وموظفي الدواوين ويشبه ان يكون لنهج أهل زماننا بهذا الاقتراح كنهج اهل القرن الثامن في مثله حتى ألف لهم العلامة زين الدين محمد بن ابي بكر الرازي معجمهُ الصغير الذي سماه (مختار الصحاح) وقد قال في مقدمته انهُ اقتصر فيهِ على ما لا بدَّ من معرفته لكل عالم او فقيه او حافظ او محدث او اديب لكثرة استعماله وجريانه على الالسن بما هو الاهم فالاهم الخ

وقد ألف الرازي كتابه هذا سنة (٧٦٠) للهجرة اي منذ ستة قرون لكن بعد مرور هذه المدة الطويلة لم يبق معجمه وافياً بغرض المتأدبين . وذلك لتغيّر الاحوال المعاشية . وتبدل الاوضاع الاجتماعية والفكرية والثقافية . فكم كلمة من كلمات لغتنا العربية كانت في زمن مؤلف (مختار الصحاح) مما يصح استعماله ويكثر تداوله . وقد امست اليوم ميتة لا يصح الركون اليها . ولا التعويل عليها . وكم من كلمة كانت مهجورة في ذلك العهد تجددت الدواعي اليوم الى استعمالها . والانتفاع بها في المطالب والمعاني التي حدثت بحدوث هذا العمران العجيب . ومن ثمَّ وجب علينا معشر العرب اليوم ان يكون لنا معجم لغوي يفي بحاجتنا كما وفى مختار الصحاح بحاجة اهل عصره . والفضلاء الذين يقترحون وضع هذا المعجم اللغوي يوجهون الخطاب في اقتراحهم الى مجمعنا العلمي غالباً . ولا يخفى ان وضع معجم في اللغة العربية امر سهل جداً على المجمع العلمي بل هو في طاقة كل من مارس هذه اللغة ووقف على اسرارها . واخذ بحظ من فهم اشعارها . واقوال بلغائها

ولكن وضع معجم لغوي شيء — وكونهُ وافياً بالحاجة المنشودة شيءٌ آخر . وها كم أيها السادة نموذجاً مما يقوله فضلاء العرب في صفة هذا المعجم المقترح

قال السيد امين الريحاني في مقال نشره في الهلال بعنوان (روح اللغة) : نحن معشر العرب في حاجة الى معجم لغوي يُدخل الى لغتنا بعض الالفاظ الفنية والعلمية الحديثة ويجيز

بعض الاصطلاحات العامة . وهذا من ضروريات الحياة (لكل لغة) ثم عدد أمانيه في خدمة اللغة فعد منها ان يطبع المجمع العلمي او احدى شركات طبع الكتب قاموساً عصرياً مجرداً من الالفاظ الوحشية . والمترادفات البدوية ، والامثال التي لا تنطبق على حياتنا اليوم — قاموساً مجرداً بالاخص من المواد البذائية كلها. وعار علينا ان تظل قواميسنا حافلة بالوحشيات والبذاءات

الى ان قال : ان أمنيتي الكبرى ان أرى قبل ان أموت قاموساً عربياً عصرياً نظيفاً اه

وقالت الآنسة (مي) في كتابها (بين الجزر والمد)

اما ما يستطيع ان يفعلهُ المجمع اللغوي فأمورهما (اولاً) ان يؤلف لجنة تستخرج من كتب العرب الالفاظ والمسميات والمفردات الرشيقة البديعة التي مجهلها ويمكن الانتفاع بها . (ثانياً) ان تؤلف لجنة أخرى توجد لجميع المسميات والمعاني والادوات الجديدة اسماء وتعبيرات سهلة ان لم تكن في لغة العرب فمن طريق النحت والاشتقاق والتعريب لتقرير مايتفاهم به جميع أهل الاقطار فلا يكون كلٌّ من كتّابهم قاموساً لذاته ومجمعاً منفرداً بنفسه . (ثالثاً) ان تؤلف لجنة ثالثة ترجع الى عمال السكة الحديدية وباعة الاقمشة والاثاث والطاعون وأدوات الزينة والاستصباح والطب والهندسة والصناعة والزراعة وسائر شؤون الحياة ومرافق المعيشة التي اتسعت دائرتها بيننا فتعرف مصطلحات كل جماعة ومهنة وتأخذ عنها الاسماء التي عربوها وتواطأوا على استعمالها فتتناولها وتهذب منها ما هو خليق بالتهذيب وتدونهُ في القاموس الذي يتعهم تأليفهُ . هذا أهم ما يقوم به مجمع لغوي عربي على ان لا ينفرد مجمع قطر واحد بتقرير الالفاظ وتدوينها لان اللغة ليست له وحده بل عليه ان يعرض خلاصة أبحاثه على علماء الاقطار الاخرى ومجامعها فيبحثونها ويكون التقرير في آخر الامر بالاجماع قدر المستطاع اه . هذا مثال مما يذكره الفضلاء في صفة المعجم وشرائط تأليفه وهي ترجع الى ثلاثة أمور : (١) حسن اختيار الكلمات فنختار لهُ من الكلمات ما نحن في حاجة اليهِ ونهمل ما لا حاجة لنا اليهِ

(٢) ان يضاف اليهِ كلمات جديدة دخيلة ومولدة ومنحوتة ومشتقة مما تستدعيهِ حاجة الفنون العصرية والاختراعات الحديثة

(٣) ان لا يشتغل واضعو المعجم بالعمل منفردين بل عليهم ان يستشيروا برأي علماء اللغة أو مجامعها في الاقطار العربية الاخرى توحيداً لكلمات اللغة وطرق استعمالها

وبديهي ان ما اقترحهُ الفضلاء لا يكون وافياً بالحاجة ما لم يكن القائمون بوضع المعجم متعددين من اقطار متعددة ايضاً لاختلاف الكلمات المولدة باختلاف الاقطار . وان يكون بينهم اساتذة فن وصناعة وادارة . وان يرصد لهذا العمل نفقات تساعد على طبعه طبعاً متقناً وتحضير ادوات واصطناع (كليشهات) الرسوم والصور التي ينبغي ان يتزين بها المعجم على طراز معجم (لاروس) الشهير . وان يضرب لتأليفه مهلة لا تقل عن عشرين سنة او اكثر

فاذا توفر كل هذا صح لنا الشروع في وضع المعجم والاّ فاسناد امر تأليفه الى شخص او شخصين وتكليفهما ان يضعا معجماً وافياً بالحاجة مطابقاً لبرنامج المقترحين المختلفي الاقطار والامصار امر فوق الطاقة فيما اظن . واكرر القول بان وضع المعجم كيفما اتفق امر سهل . اما وضعهُ كما يجب فامر صعب اذ هو يحتاج كما قلنا الى كثرة في الرجال والنفقة والوقت

وقد ادرك صعوبة هذا الامر المستشرقون الذين توفرت لديهم كل الاسباب فكيف بنا نحن وقد حرمناها كلها . قال دوزي الهولاندي في مقدمة معجمهِ (الملحق بالمعاجم العربية) Supplément aux dictionnaires arabes : (لا بد من وضع معجم للالفاظ العربية المولدة لكن لغة الضاد غنية أيّ غنى . حتى انه لا بد من مضي اربع سنوات بل ربما عدة قرون قبل ان يشرع بهذا التأليف) وقال العلامة (لين) صاحب المعجم العربي الانكليزي المشهور:

«ان وضع معجم يضم بين دفتيه المولدات العربية ويصدق عليه اسم معجم لا يمكن ان يؤلفه الاّ جمهور عديد من العلماء ساكنين في مدن من ديار اوربا وبين ايديهم خزائن كتب عربية خطية ويساعدهم علماء عديدون مقيمون في ربوع شتى من ديار آسيا وافريقية فيكون منهم من يغترف من مناهل الاسفار ومنهم من ينتفع من الافادات التي لا يعرفها الاّ بنو العلوم الاسلامية » اه

وظاهر من قول هذين المستشرقين الفاضلين انهما انما يصفان صعوبة وضع المعجم اذا اقتصر فيه على الكلمات العربية المولدة التي تختلف باختلاف الاقطار العربية فما بالكم بصعوبة الامر اذا كان المعجم مما يراد إيداعه جميع الالفاظ العربية على اختلاف انواعها واجناسها فصيحة ومعربة ومولدة وفنية وصناعية وادارية وهو امر لا بدّ منه في وضع معجمنا الجديد كي يكون مفيداً ومطابقاً للخطة المرسومة . ولنضرب لحضراتكم مثلاً معجم اللغة الافرنسية الذي يؤلفه اليوم المجمع اللغوي الافرنسي (الاكاديمي) ومنه تعلمون مبلغ صعوبة وضع المعاجم اللغوية العصرية التي يراد ان تكون دستوراً للعمل بين ابناء الامة كلهم

***

جاء في جريدة (السياسة) المصرية في عددها الصادر في ٢٦ آب (اغسطس) ١٩٢٤ ما يلي :

« أكملت الاكاديمي الافرنسية المجلد الاول من قاموس اللغة الافرنسية من حرف (A) الى حرف (H) لكنها لم تطبعه بعد وقد بدأت العمل بهذه النسخة الجديدة من القاموس منذ سنة (١٨٧٨) اي انها قضت فيه (٤٦) سنة وعلى هذا المعدل يكمل القاموس كله بعد ٩٨ سنة أي سنة ٢٠٢٢ وهي تشتغل الآن في تنقيح المجلد قبل طبعه . وهذا التنقيح اقتضته التغيرات الكثيرة التي طرأت على اللغة منذ (١٨٧٨) وينتظر ظهوره في اوائل السنة القادمة اما فكرة اصدار قاموس للغة الافرنسية فقد ظهرت سنة (١٦٣٤) وهي سنة تأسيس الاكاديمي

في عهد الوزير (ريشيليو) ولكن القاموس نفسه (اي نسخته القديمة) لم تظهر للوجود الا في سنة ١٦٩٤ اي بعد تأسيس الاكاديمي بنحو ستين سنة ثم ظهرت نسخ تالية معدلة في سنين مختلفة) اه

***

فمن كل ما تقدم يتضح ان مجمعنا العلمي اذا باشر وضع معجم لغوي من دون مراعاة الشروط المذكورة ومن دون ان تتوافر لديه الادوات والوسائل الآنفة الذكر كان معجمه كسائر المعاجم العربية التي ألفت قديماً وحديثاً بل ربما اشتدت عليه الهجمات وتوجهت اليه الاعتراضات باشد مما لو ألفه عالم لغوي ليست له صفة رسمية كصفة مجمعنا العلمي . فاذا هوجم المعجم هذه المهاجمة وكانت لم تراع فيه الشروط السابقة سقط اعتباره ثم لا يرجى الانتفاع به

وعندي ان اكبر صعوبة في وضع معجم يرضي جمهور المتأدبين هو في اختيار كلمات واهمال كلمات ، اذ لا ريب ان واضع المعجم أو واضعيه انما يتكلون في (الاختيار) و(الاهمال) المذكورين على ذوقهم الخاص فهم يختارون من الكلمات ما يقتنعون بفصاحته ورشاقته وفائدته . ويهملون كثيراً مما يحسبونه وحشيًا أو لا يحتاج اليه الناس في الاستعمال . ويكون الامر على العكس بالنسبة الى ذوق الآخرين من أهل الفضل والادب فتقوم قيامة هؤلاء على واضعي القاموس فيجهلونهم ويسفهون رأيهم ويسقطون قاموسهم حتى يتمنى واضعوه لو عافاهم الله من هذه المحنة

واذكر لكم على سبيل المثال كلمة (استئنال) ومعناها ان يكون امرؤ في جماعة فيخرج من بينهم ويتقدمهم فهي كلمة واحدة تدل على معنى كثير وقد قبلتها انا وتمنيت لو تحيى بيننا وتتداولها الالسنة . لكن بعض رصفائي من اعضاء المجمع عابها وعدها من الحوشي الغريب فاذا تصدى مجمعنا لوضع المعجم المقترح والمجمع بحالته الحاضرة من حيث القلة في الرجال والنقص في الوسائل يوشك ان يقع في تلك المحنة او التجربة القاسية

***

اما اذا اجتهدتم ياسادتي الاعضاء في تكثير سواد الرجال القائمين بوضع المعجم وتوفير الوسائل والادوات اللازمة له فأرجو ان تنجو من المحنة : محنة الاعتراض : اذ يقال للمعترض اذ ذاك إنهُ لا يمكن ان يكون رأيه في (الاهمال) و (الاختيار) امثل من رأي واضعي المعجم وهم كثار . ويد الله مع الجماعة كما ورد في بعض الآثار . وقد رأيتم ايها السادة انني لم ارد في تقريري هذا ان اقول انهُ لا حاجة بنا الى معجم لغوي عصري . ولا ان مجمعنا العلمي ليس من وظيفته القيام به . بل اردت ان استعين بكم على السعي في توفير الوسائل التي يتوقف عليها وضع المعجم حتى اذا توافرت باشرنا العمل وسألنا الله العصمة من الزلل

تنقيط الياء في آخر الكلم

للأب انستاس ماري الكرملي

من العادة الشائعة بين بعض الكتّاب ، اهمال تنقيط الياء في آخر الكلم ، فهم يرسمون يرضى ويرضي ، ويمنى ويمني ، وحبلى وحبلي ، الى امثالها ، من غير تنقيط الياء في المواطن التي يحسن ان تنقط دفعاً للبس والاعمال الفكرة في كيفية قراءتها . فالذي يرى « يرضى » يقرأها بفتح الاول والثالث . والذي يرى « يرضي » يقرأها بضم الاول وكسر الضاد. ويقول « يمنى » (خلاف اليسرى) اذا اهملت نقطتا الياء الاخيرة ، ويقول يمني (بمعنى يعاني) ، اي بتحريك الاولين اذا نقطت الياء ويؤكد ان « حبلى » هي المرأة الحامل ، ويؤكد ان « حبلي » منسوبة الى الحبل ، اذا كانت منقطة الآخر ، فأنت ترى أنّ إعجام الحرف الاخير من حروف المباني حسن ، بل ضروري لازالة الاشتباه او للحرص على الوقت والتردد في القراءة

نعم ان الاقدمين لم يعبأوا بهذا الامر ، فمنهم من كانوا يعجمون ومنهم من كانوا يهملون ، ومنهم كانوا يعجمون مرة ويهملون اخرى في نفس الكلمة الواحدة اذا تكررت في السطر الواحد وفي الصفحة الواحدة ، لانهم يتركون مسألة التنقيط الى فهم القارىء والى ذكائه . لكن اذا كان الامر بهذه الصورة ، فلم لا يهملون تنقيط جميع الحروف في جميع الكلم ؟ او لماذا يهملون تنقيط الياء نفسها اذا كانت في قلب الكلمة ؟ لا جرم انهم يزيدون القراءة مشاكل وصعوبات نحن في غنى عنها ، لان الوقت ثمين ، ويجب ان لا نضيعه لا انفسنا ولا لغيرنا ، ولا نتردد في القراءة

٢ — نحن واحمد باشا تيمور

كان المرحوم احمد باشا تيمور رحمهُ الله — يهمل تنقيط الياء التي يجري الكلام عليها ، وجرى بيني وبينهُ مباحثة طالت ساعات ، لانهُ كان اذا كتب اليَّ ، اهمل تنقيط الياء متأتياً . ولما أقنعتهُ عدل عن عادته المألوفة ، ولما عدتُ الى بغداد ، نسي ما وعدني به ، ورجع الى ما ألفه من امر الاهمال ، فذكرته بالوعد ، فكتب اليَّ يشكرني على تذكيري اياه . ومنذ ذاك الحين ، اخذ يعجم جميع الياءات المتطرفة . ورسائله محفوظة عندي الى يومنا هذا . فالرسائل التي سبقت

تلك المباحثة ؛ مهملة الياءات والتي حرّرت[1] بعدها ، منقطة كلها . وكنتُ أودّ ان ابعث الى ادارة المقتطف بالرسالة التي يذكرني فيها انهُ يستحسن تنقيط الياءات المتطرفة ، لكني لم اقع عليها الى الآن ، فان وفقت للظفر بها لا أتمكّن في الارسال بها الى ادارة سيدة المجلات العربية لتصوّر وتطبع فيها

٣ المساوىء التي تنشأ من اهمال التنقيط

مساوىء اهمال تنقيط الياء المتطرفة كثيرة . اولها ما ذكرناه من التوقف والتردد في قراءة الكلمة غير المنقوطة ، واعادة قراءتها مع غيرها ليظفر القارىء بمعناها وتقويم لفظها وتحقيقه على الوجه الاتم

ثانياً . اضاعة الوقت للتشكّك في الكلمة الثانية في عالم الوهم

ثالثاً . زيادة لفظة لا حاجة لنا اليها اذ نندفع إلى اقرار لفظتين في اللغة في حين أن ليس ثمّ إلاّ حرف واحد في الاصل ، وما سببهُ الاّ تردّدنا في معرفة الحرف الصحيح الاصلي . جاء مثلاً في القاموس في مادة رب ب : « ومحمود بن عبد الله الواسطي الربابيّ ، يضرب به المثل في معرفة الموسيقي بالرباب » فعلّق نصر الهوريني اللغوي المصري المشهور والاديب المعروف عند جميع المشتغلين بالآداب الضادية ، ما هذا اعادة نصهِ : « هكذا في النسخ بكسر القاف [في الموسيقي] وهو اشتباه ، سببهُ رسم الكلمة بالياء . وصوابهُ فتح القاف كما هو في اللغة الرومية ... » اه المراد من ايرادهِ

قلنا : هذا تصريح بيّن بما انتج إهمال تنقيط الياء المتطرفة . ومع ذلك فالهوريني غير مصيب في ما قال . نعم ان الموسيقي في الرومية (اي اللاتينية) Musica اي بالف مقصورة في الآخر لكن الكلمة أخذها السلف من اليونانيين لا من الروم (أي الرومان او اللاتين) فقد قال الخوارزمي ، في كتابهِ مفاتيح العلوم ، (ص ٢٣٦ من طبعة ج فان فلوتن) : « الموسيقى ، معناه تأليف الالحان واللفظة يونانية » اه قلنا « ويونانيتها Monsice والحرف الاخير الف مال فيها ويلفظها اليونانيون اليوم بالف صريحة . فانظر الى ما فعلهُ اهمال تنقيط الياء

وقال في تاج العروس في مادة س ق ع ط ر : السقعطرى كقبعثرى ، أهمله الجوهري . وقال الصاغاني : هو أطول ما يكون من الرجال والابل وهو النهاية في الطول وقال ابن سيده : لا يكون اطول منهُ كالسقعطريّ بتشديد الياء التحتية عن ابن الاعرابي اه فانظر كيف نشأ

(١) انكر بعضهم صحة استعمال « حرر » بمعنى « كتب » لكن جاء في كتاب مبادىء اللغة للاسكافي في الفصل الاول (وهو لم يطبع في طبعة مصر) « حرر الكتاب : كتبه » اه . وفي معجم الادباء (٥ : ٣٢٩) « ثم حرر مقابلة » في بعض النسخ اه وهناك غير هذه النصوص

عندنا لفظان في حين ان ليس لنا في الاصل إلاّ لفظ واحد . وانظر الى هذين الاحتياطين اللذين احتاطهما اللغويون لانفسهم دفعاً لكل وهم . فمرة قال السيد مرتضى : كقبعثرى في الاول ومرة قال : بتشديد الياء في الثاني فلو كان الكتّاب اعتادوا اهمال الياء في الاول وتنقيط الياء في الثاني لعلم الكل ان ما يهمل يقرأ الفاً وما يعجم يقرأ ياءً صريحة . لكن ترك اللفظ على عواهنه أنشأ لنا هذه الاوهام التي نحن في مندوحة عنها . وهكذا صار لنا حرفان (اي لفظان) بدل حرف واحد

***

ولو كانت «الموسيقي» أو الموسيق (الاولى تبعاً لليونانية والثانية تبعاً للاتينية) والسقطري أو السقطرى هي كل ما عندنا من الكلم الواردة في معاجمنا لهان الامر ، لكن هناك الفاظ لا تحصى ، ومطالعات لا تعد أدلى العلماء واللغويون مداداً كثيراً تثبيتاً لمدعياتهم . ولا بأس من متابعة هذا البحث ، قتلاً إياهُ خُبراً :

قال في لسان العرب في مادة ه ر ن : «ابن سيدة : الهرنوى: نبت . قال : لا اعرف هذه الكلمة ، ولم أرها في النبات . وانكرها جماعة من اهل اللغة . قال : ولست أدري أالهرنوى مقصور ، ام الهرنوى على لفظ النسب » اهـ

فأنت ترى من هذا الاعتراف ان ابن سيدة يجهل صحة هذا اللفظ . وما ذلك إلاّ لاهمال تنقيط الياء ، فلو كانوا اعتادوا تنقيطها لعرفوا انها بياء النسبة وان لم تكن الياء ياء النسبة ، لكن اهملوا التنقيط في كلتا الحالتين ، فلم يهتدوا سواء السبيل . وكم من الالفاظ التي تعود الى هذا النهج ، وكم من الذين يخطئون في القراءة ويلحنون في الكلم — لا سيما الكلم غير المألوفة في الاستعمال ولا في النطق بها — لهذه العلة نفسها

لقد حان الوقت إذن ان نتمسك بكل ما يأتينا حسناً من السلف ، وننبذ كل سيء أتانا أو يأتينا منهم ، لان البقاء للاصلح لا لغيره

فصاحب اللسان بعد ان اورد كلام ابن سيده ، لم ينطق بنص يؤيد القصر أو التشديد في الهرنوى . — فانظر بعد هذا الى قول من يدّعي أنا في غنىً عن تنقيط الياء اعتماداً على ذكاء القارىء أو علمه أو اطلاعه على غريب الكلام ! فليفتنا هذا القارىء عن ياء هرنوى : اهي منقوطة أم مهملة . وليذكر لنا شاهداً واحداً ، أو سبباً واحداً لترجيح احد الامرين على صاحبه لنتابعه في رأيه

اما نحن : فانا نرى رأي صاحب التاج أي الهرنوى (بفتح النون) المقصورة كالهرثومة المختومة التاء والمضمومة النون . وكثيراً ما تتعاقب الالف والهاء في الآخر أمثلة ذلك : العُرْضَنى والعَرْضنة — والرُّخامى والرُّخامة — والرُّغامى والرُّغامة — والقُعَيْرى

والقُسَيْرة الى غيرها وهي كثيرة — فاذا ثبت هذا علمنا ان الهرنوة نقلت الى القرنوة [1] وهذا الابدال كثير أيضاً في لغتنا ، نحو وهف النسراني ووقف — واطرطبان والقرطبان — ورأس هندل وقندل — وانهار انهياراً وانقار انقياراً — وهرهر الرجل وقرقر الى غيرها

على انهُ يجوز ان يقال هرنوي بالياء المشددة تبعاً للاصل . والاصل عندنا يوناني وهو Harmeion الذي هو مجرور Harmeion وهو النبات المعروف ايضاً بلسان الحمل . وقد عربهُ السائف عن ديسقوريدس في كتابه ٢ : ١٥٢

٤ً — ملاحظة في كتب اللغة الحديثة

ولنا مطالعة هنا نبديها بخصوص الهرنوة . فنقول : ان معاجمنا الحديثة كثيراً ما تضبط الالفاظ بغير رويّة . فان محيط المحيط ضبط الهرْنَوي والهرْنَوة والهرْنَوي بفتح النون في الالفاظ الثلاثة كما ترى ، وتابعهُ صاحب أقرب الموارد بلا زيادة ولا نقصان . اما صاحب البستان فتابع اللغويين المذكورين وزاد الهرنوة (الملضومة النون عن جميع اللغويين المدققين) غلطاً ثانياً اي كسر هاءها . فقال الهِرنوة [2] وكل من هؤلاء الثلاثة مخطىء والصواب الهرْنَوي والهرْنَوي بفتح النون ان ختمت الكلمة بالقصر أو بالياء المشددة . والهَرْنُوة بفتح الهاء وضم النون ان ختمتها بالواو والهاء . فانظر بعد هذا كيف اننا في حاجة الى اتمام النظر في ما نطالعهُ من دواوين اللغة الحديثة التأليف ، وكيف يجب علينا ان نحترز من كل ما يكتب وكل ما نقرأ

ثم ان كان المطالع يتوق في ما يبحث عن ضالته في المعاجم اللغوية نخير لهُ ان لا يقتنيها لكي لا يسقط السقطات الهائلة ، ومن الجهة الاخرى ان كتب اللغة القديمة صعبة المورد وصعبة المقتنى في الوقت نفسهِ . ولهذا فقد حان الوقت ان توضع في الايدي دواوين لغة محررة الالفاظ ، والمباني ، والمعاني ، وسهلة المنال . أما أن تكون رخيصة المقتنى ، فتلك المزية لا تكون الاّ للمعاجم المختصرة التي تكون لباب المعاجم الكبرى الحسنة التبويب وبذلك تكون قد خدمنا الوطن واللغة ، وحبنا لاولادنا المطالعة والتحقيق . وبهذا القدر اليوم كفاية لان الموضوع ذو فنون وشجون الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) الذي حققناه بالفعل ان الهرنوة غير القرنوة وان تشابهت القطتان والادلة كثيرة وليس هنا محل ايرادها . وانما تابعنا هنا من يذهب الى ان الهرنوة هي القرنوة

(٢) لا ندري كيف جاز على صاحب البستان ان يقول الهرنوة ، بكسر الهاء وفتح النون لان لا وجود لهذا الوزن في لغتنا . ثم عندنا فعولة (وابنية تقول تسلة) مثل ترتوة وقرنوة وهرنوة (وكلها بفتح الاول وضم الثالث) وفعولة بضم الاول والثالث مثل عنصوة . اما الفعولة بكسر الاول وفتح الثاني فلم نعثر على مثال لموزونه . ولعل هناك الفاظاً نجهلها . ولذا لم نجد مسوغاً لما ذكره صاحب البستان

تعريب الاسماء الاعجمية

للفريق امين باشا المعلوف [1]

ليس غرضي من كتابة هذه السطور البحث في جواز التعريب او عدم جوازه فقد بحث في ذلك كثيرون قبلي ووفّوا الموضوع حقهُ انما غايتي ذكر بعض الاصول التي يجب مراعاتها في نقل الاسماء اليونانية واللاتينية ولا سيما الاعلام والاسماء العلمية فان اكثر المعرّبين في ايامنا ينقلون عن الانكليزية او الفرنسية فيكتبون هذه الاسماء كما تلفظ في احدى هاتين اللغتين غير ملتفتين الى اصلها فيقولون مثلاً بلين Pline او بلني Pliny عوضاً عن بلينيوس Plinius كما هو في الاصل . ويقول بعضهم جوليان وطراجان وجوستنيان وجوليوس او جول بالجيم وصوابها بالياء كما هي في الاصل وكما كتبها العرب فيقال يوليانس وطرايانس ويوسطنيانس ويوليوس فهؤلاء القياصرة لم يكونوا من الانكليز ولا من الفرنسيين بل من الرومان . ويقول البعض اشيل Achille وارشيلوك Archiloque وشلس Chalcis وبارنشيا Parnesshyma وتريشين Trichine وتاشيكاردي Tachycardie وصوابها اخيل او اخلس او كلس وارخيلوخس او اركيلوكس وحلكيس او خلقيس وبارنخيا او بارنكيا وتريخينا وتاخيكارديا اما بالخاء او بالكاف والخاء اقرب الى الاصل . ويقولون جرام وجرامونون وسيماتوجراف الجيم وصوابها بالغين . ويقولون برنيس Bérénice والسيبياد Alcibiade وسيرل Lyrille وسيرين Cyrène بالسين نقلاً عن الفرنسية وصوابها بالقاف او بالكاف فيقال برنيقة والقيبذس وكيرلس وقورينا او القيروان كما ورد في المؤلفات العربية القديمة [2] ويقولون انزاركا Anzarca بالزاي وصوابها انسارکا بالسين لان اللفظة ليست فرنسية حتى يتحول الحرف s فيها z في اللفظ ومثلها فيزيولوجي وصوابها فيسيولوجيا واوروزيوس Orose وصوابها اوروسيوس كما في المؤلفات القديمة . ويقولون انوري Anurie وبوليوري

---

(١) نشرت هذه المقالة في مقتطف تموز وتشرين ١٩١٠ وقد اعدنا نشرها هنا لتجدد العناية بالموضوع

(٢) مدينة القيروان في تونس معربها العرب ومسمها مأخوذ في الاصل من قورينا أو القيروان التي في برقة والتي لا زال اطلالها ماثلة

Polyurie وانيمي Anémie نقلاً عن الفرنسية وصوابها اوريا وبوليوريا وانيميا والاصلح ابدال الالف في اواخر الامثلة المتقدمة بالتاء اي الاصلح ان يقال بارنخيمة وتريحية وتاخيكاردية وفسيولوجية واورية وبولوريا وانيمية الخ

والكلمات التي ذكرتُ انها تكتب خطأ والتي سأذكرها منقولة عن مؤلفات حديثة . وسأذكر في ما يلي بعض القواعد التي جرى عليها العرب في نقل هذه الكلمات وامثالها واذكر الكلمات اليونانية بحروف لاتينية او بصيغتها اللاتينية او الفرنسية او الانكليزية واذكر الكلمات اللاتينية اما بصيغتها اللاتينية او كما يكتبها الانكليز والفرنسيون لكي يسهل على جمهور القراء قراءتها

﴿ القاعدة الاولى ﴾ حرف غمّا اليوناني يقابله حرف g في اللاتينية واكثر اللغات الاوربية ومخرجهُ في اليونانية بين الغين العربية والجيمين اي الجيم المصرية والجيم السورية كما ذكر البستاني في مقدمة الاليذة فمتى ورد في لغة يونانية او يونانية الاصل يعبَّر عنهُ بالغين ما لم يكن بعده حرف i او حرف e . مثال الاول لغة Logos غراماطيق Grammatica غلوكوس Glucose فلغموني Phlegmoné بلغم Phlegma فيثاغورس اغاممون غريغوريوس غراموفون الخ . ومثال الثاني اسفنج Spongia ديوجنيس او ذيوجانس Diogenes فرجية Phrygia جرجس Georgins سرجيس او سرجيوس Sergius هدروجين اكسجين فيلولوجية جولوجية Geologia هستولوجية . وقد اجتمع المثالان في جيوغرافيا او جاوغرافيا Geographia كما في المؤلفات القديمة او جغرافية كما نكتبها الآن

وقد جرى العرب على هذه الطريقة في نقل الاسماء اليونانية وجرى عليها اكثر الكتاب في عصرنا على ان بعضهم يعبر عن هذا الحرف اليوناني بالجيم ولا بأس بذلك لو كان اكثر المتكلمين بالعربية يلفظون الجيم حلقية كما يلفظها سكان القاهرة وبعض مدن الوجه البحري وبعض قبائل العرب وهم لا يزيدون على اربعة ملايين او خمسة والناطقون بالعربية يبلغون الخمسين مليوناً او اكثر وهم يلفظونها اما شجرية كأهل الصعيد وأكثر عرب البادية او مخففة كبعض العامة من اهل الشام . وليس بحثي الآن في صحة لفظ الجيم ولا كيف كان يلفظها عرب الجاهلية او بعض قبائل العرب بل بحثي في صحة نقل هذا الحرف اليوناني وكيف كان العرب ينقلونهُ الى لغتهم . والمصري الذي يلفظ الجيم حلقية لا ينفر من هذه الالفاظ اذا كتبت بالغين اما الذي يلفظ الجيم شجرية او مخففة فيجد هذه الالفاظ غريبة جداً في سمعه متى كتبت بالجيم

واذا كان الحرف اليوناني غمّا مزدوجاً او مشدداً ابدل الاول منهما بالنون مثل الاسفنج

والانجيل وهما في الاصل اليوناني بهذا الحرف اي غمًا مشدداً وقس على ذلك انكليوس وانكيلوستومة اي المحجنة الفم وغيرهما وهي قاعدة عند الذين نقلوا الالفاظ اليونانية الى اللاتينية

ولم يكن ما تقدم مطرداً عند النقلة من العرب فقد كتبوا جالينوس Galenus وبرج Pygos وجبسين وجس Gypsum وسلجم Salgama[1] بالجيم لا بالغين وكتبوا الغرنوق Geranos بالغين لا بالجيم . ولعل الذين عربوا جالينوس وجبسين وسلجم وامثالها اولاً من نقلة السريان فكتبوها بالجيم لان الجيم تلفظ بالسريانية كالجيم المصرية

بقيت الاسماء الاعجمية التي ليست من اصل يوناني والتي يلفظ فيها هذا الحرف كما تلفظ الجيم المصرية فبعض النقلة يعبرون عنه بالجيم وعليه اكثر المصريين فيقولون جلادستون وجرانت وجردنر وجوردون وبعضهم يعبر عنها بالغين فيقولون غلادستون وغرانت وغردنر وغردون وافضل التعبير الثاني لسبب الذي ذكر آنفاً . ولا بد من مراعاة الذوق والمألوف في هذا التعبير فقد الف النظر كتابة اسم نجت بالجيم وغردون بالغين

ولا يخفى ان هذا الحرف يلفظ احياناً عند الافرنج كالجيم الشجرية او كالجيم المخففة عند بعض السوريين فسردار الجيش المصري مثلاً اسمهُ السر رجنالد ونجت[2] يلفظ الجيم الاول شجرية والثانية حلقية فيفضل كتابة اسمهِ هكذا « السر رجنالد ونغت » لتمييز بين اللفظين . ثم عند الافرنج ايضاً حرف j فلو عبرنا عن حرف g بالجيم فبماذا نعبر عن حرف j كقولنا جونسن وجان وجاك وما اشبه

وأما معظم الالفاظ الواردة في التوراة والتي يكتبها الافرنج بهذا الحرف اي « G » فانها تكتب بالجيم لان هذا الحرف يلفظ بالعبرانية والسريانية كالجيم المصرية مثال ذلك جبرائيل وجبريل وجلجثة وجهنم والجليل وجيحون وغيرها وهي كثيرة جداً

اما الكاف الفارسية وتلفظ كالجيم المصرية فكان العرب يعبرون عنها بالجيم فقالوا جلنار في « گلنار » وجاموس في « گاوميش » وجوز في « گوز » وجندبيدستر في « گندبيدستر » الخ . وعبروا عنها احياناً بالكاف فقالوا كزمازك او جزمازك وهو عفص الطرفاء معرب گزمازو ولا يخفى ان في العربية الفاظاً كثيرة تكتب احياناً بالقاف وأحياناً بالجيم منها القت والجت والجرجس والقرقس

---

(١) وتقال سلجم بالشين المعجمة وتقال عند عامة البغاددة شلغم وقد تكون اللفظة معربة كما يقال للاب الشماس او انها فارسية (انظر الالفاظ الفارسية المعربة مادة شلجم)

(٢) يوم كتابة هذه المقالة اي سنة ١٩٠١

﴿ القاعدة الثانية ﴾ حرف ذتا اليوناني يقابله t في اللاتينية وغيرها ويلفظه اليونان كالتفخيم الدال المعجمة فمتى ورد في اسم يوناني او يوناني الاصل يعبر عنهُ بالدال المعجمة او بالدال المهملة والاول اشهر واصح . مثال الاول دذبة Dieta اي الورم الرحو او الانتفاخ وابيديمية Epidemia اي الوباء وارستيدس والقيبياذس وذيوجنيس . ومثال الثاني الدوسنطارية والاسكندر والدلفين

***

اما كتابة اوزيما باثراي كما في كثير من المؤلفات الطبية الحديثة فلا مسوغ له مطلقاً ومثله كتابة غلضموني بدل فلغموني بالقاء ولا ادري مصدر هذا الخطأ ولعل طبعة ابن سينا في رومية . واقبح منهُ قولهم القتق الاوربي والحمض الكبريتيك وصوابها الفتق الأُربي نسبة الى الأُربية اي اصل الفخذ والحامض الكبريتيك . فالحمض بهذا المعنى لا هو عربي ولا اعجمي وكانهم قاسوه على الملح

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ حرف ثيتا اليوناني يقابله الحرفان th في اللاتينية واخواتها ويلفظه اليونان كالثاء العربية ويجب ان يعبر عنه بها مثال ذلك : ثيوفيلوس او ثاوفيلس وفيثاغورس وثوموس او تيمس Thymus وهو السعتر . على ان العرب كانوا يعبرون عن هذا الحرف بالتاء احياناً فقالوا تاوفيلوس عوضاً عن ثاوفيلوس وذكر ابن البيطار الثيموس بالثاء وبالتاء ولعل امثال هذه الالفاظ كانت بالتاء في الاصل فجعلت الثاء تاء بتلاعب الفساخ

﴿ القاعدة الرابعة ﴾ حرف «كِبّا» اليوناني يقابلهُ حرف C في اللاتينية واخواتها فكان الرومان يعبرون عنهُ بهذا الحرف ويلفظونهُ كالكاف العربية اينما ورد وسواء جاء بعدهُ حرف ساكن مثل هرقل Heracles أو حرف علة مثل كبدوكية Cappadocia ومقدونية Macedonia فيجب ان يعبر عنهُ بالكاف او بالقاف في الالفاظ اليونانية أو الالفاظ التي من أصل يوناني سواء لفظهُ اللاتين المحدثون كالكاف أو كالشين المعجمة أو لفظهُ الانكليز والفرنسيون كالكاف او كالسين المهملة . مثال ذلك القيفال وهو عرق في الذراع من Kephale باليونانية أي الرأس لان القدماء كانوا يفصدونهُ لعلل الرأس ومنهُ Cephalus باللاتينية والالفاظ الفرنسية والانكليزية المشتقة منها . ومثلهُ القنطاريون Centaurium وهو نبت مشهور والقراصية والكرز Cerasia وهما صنفان من الثمر أو الشجر والقيروطي Cerote وهو صنف من المرهم والقيلة Cele كقولنا قيلة مائية Hydrocele لداء معروف وقيطس Cetus وهو الحوت اسم لصورة من صور السماء ومقدونية أو مكدونية Macedonia وخلكيس Chalcis أو خلقيس وهي المدينة التي توفي فيها ارسطو وكيرلس Cyrillus وهو اسم مشهور وبرنيقة أو برنيق

Berenice وهو اسم لعدة مدن في مصر وافريقية . وقبرس Cyprus وكيليكية Cilicia وهي بلاد في الاناضول الخ . فلا يقال قلمس مثلاً بل خلكيس أو خلقيس كما جاء في المؤلفات العربية وكذلك لا يقال القديس سيرول كما ورد في اكثر الجرائد يوم اهدى ملك البلغار نشان القديس كيرلس الى جلالة السلطان بل يقال القديس كيرلس ولا عذر في جهل هذا الاسم على شهرته في الشرق . ولا يقال انبرنيس كما في احدى الجرائد الحديثة بل برنيقة أو برنيق كما في معجم ياقوت ولا يقال للدروب التي في بلاد الروم ابواب سيليسيا بل أبواب كيليكية

***

اما الاسماء العلمية الحديثة التي نشير فيها عن هذا الحرف بالسين فلا سبيل الى اصلاحها لان السمع قد الفها ولان الافرنج يلفظونها كذلك مثل سيروز الكبد اي تشمعهُ وصوابها كيروسس وسيماتوغراف وصوابها كينماتوغراف كما يكتبها الافرنج احياناً

﴿ القاعدة الخامسة ﴾ كان الرومان كما تقدم يلفظون حرف c كالكاف أو القاف اينما ورد سواء جاء بعده حرف ساكن او متحرك حرف a أو e أو æ أو y بدليل قول العرب قيصر Cæsar لاسيزر أو تسيزر ولو قالوا احياناً شيزر كما قال امرؤ القيس في ذكره مدينة شيزر أو حصن شيزر وفسقية Piscina وقول اليونان كيكرون Κίκερων لا سيسرون وقول الالمان Kaiser . ثم تغير لفظ هذا الحرف في القرن السابع المسيحي فصار مثل لفظ ch بالانكليزية في قولنا China وذلك في الاحوال التي يلفظ فيها كالسين في الانكليزية أو الفرنسية اي قبل a أو e و æ و y فكانوا يقولون تشيتشرون مثلاً عوضاً عن كيكرون فيجب ان يعبر عن هذا الحرف في الاعلام اللاتينية بالكاف أو بالقاف دائماً فيقال قيصر Cæsar وكيكرون Cicero واسيقيبيون Scipio ولا بأس بقولنا شيشرون وشيبيون لكن كتابة هذين الاسمين بالسين لا مسوّغ لها مطلقاً . اما سبب اضافة حرف النون بالعربية فسيأتي ذكره

ويظهر ان اللاتين كانوا يلفظون هذا الحرف في زمن ابن البيطار كالشين أو كالجيم الشجرية متى جاء بعده احد الاحرف التي مرّ ذكرها قائلة مثل زيز الحصاد جيقال Cigala وقال ان اهل صقلية يسمون القراصيا جراصيا

﴿ القاعدة السادسة ﴾ حرف j ليس من الحروف اللاتينية وهو حديث في اللغات الاوربية ادخل اليها في القرن الرابع عشر ولم يعم استعمالهُ فيها قبل اواسط القرن السابع عشر ولم يكن فرق بينهُ وبين حرف i في بادىء الامر ثم تحوّل لفظهُ في الفرنسية والانكليزية الى ما نعهدهُ فيهما الآن وبقي بعض الكتّاب يستعملونهُ في الالفاظ اللاتينية عوضاً عن حرف i في بعض مواضعهِ اي متى كان لفظهُ كالياء العربية مثل يوليوس Julius ويسوع Jesus ويوبتر

Jupiter على ان اكثر المؤلفين في ايامنا يكتبون امثال هذه الكلمات بحرف i كما كان يكتبها الرومان فيقولون Iulius و Iupiter و Iesus فيجب ان يعبَّر عن حرف i متى ورد في الالفاظ اللاتينية بالياء مطلقاً لانهُ في الحقيقة i لا i فرنسية او انكليزية فيقال يوليوس لا جوليوس وبدّ سمي شهر يوليه ونكتبهُ بالياء ويونون Iuno لا جونو ومنها سمي شهر يونيو وطرايانس Trajanus لا طراجان ويوسطنيانس او يوستنيانس لا جوستنيان ويوليانس لا جوليان ويوبتر لا جوبتر وامثال ذلك كثيرة

ولا يزال بعض الاوربيين يعبرون عن الياء في كثير من الاسماء الشرقية بهذا الحرف مثال ذلك يوسف Joseph يهوه Jehovah ياسمين Jasmine بايزيد Bajazet يافا Jaffa اليابان Japan الخ . ويلفظهُ الالمان والطليان ومعظم الاوربيين كالياء العربية فيكتب الالمان اسم ياقوت Jahut ويكتبهُ الانكليز Yacut ولا يزال الانكليز يلفظون كلمة Hallelujah كما تلفظها بالعربية اي بصوت الياء لا بصوت الجيم . كذلك سرايفو فيجب كتابتها بالياء لا سراجيفو واسمها عند الترك بوسنه سراي ومثلها يوغوسلافية لا جوجوسلافية او جوغوسلافية

﴿ القاعدة السابعة ﴾ ليس في الحروف الهجائية اليونانية ما يقابل الهاء العربية الا علامة كانوا يضعونها قبل حرف العلّة الثقيل ويعبَّر عنها الافرنج بحرف h وكان كتّاب العرب يعبرون عنها بالهاء غالباً مثل هوميروس Homerus وهرقل Heracles وهيرودوتس Herodotus فيجب ان تضاف الهاء في تعريب هذه الاسماء كما يفعل الافرنج وكما كان شائعاً عند اكثر كتّاب العرب فيقال هوميروس لا اوميروس او اومير وهدروجين لا ايدروجين وهدروكلوريك لا ايدروكلوريك سواء لفظ الفرنسيون هذا الحرف او لم يلفظوه . على انَّ كتّاب العرب لم يجروا على ذلك دائماً فقالوا اوميروس وهوميروس وابقراط Hippocrates وابرخس Hipparchus وادرة Hydra وهو داء معروف وايرونيموس Hieronymus وهو اسم قديس مشهور يكتبهُ الانكليز Jerome والفرنسويون Jérôme ويعربهُ اكثر الكتّاب خطأً جروم وصوابهُ ايرونيموس اوهيرونيموس

﴿ القاعدة الثامنة ﴾ حرف أبسلون اليوناني يعبَّر عنهُ في اللاتينية وغيرها من اللغات الاوربية بحرف y وكان اكثر كتّاب العرب يعبّرون عنهُ امَّا بالواو او بالضمة فقالوا قُبْرس Cyprus وادرة Hydra ودوسنطاريا Dysenteria وغلوقوريزا Glycyrrhiza اي عرق السوس وبولوغالن Polygala وبولوبوديون Polypodium وثرس Thymus وفارونوخيا Paronychia وكلها انواع من النبات وبوريطس Pyrites وهو ضرب من المعادن والقورة Lyre وهي من صور السماء . وعبروا عنهُ احياناً بالياء فقالوا كيموس Chymus وفريجية وكيرانس وفيثاغورس وقال بعضهم فوثاغورس . والغالب في تعريب هذا الحرف اليوناني ان يكتب

بالواو او بالضمة وقد عبّر عنهُ في الاناشيد العربية بالياء او بالكسرة في اكثر المواضع واضعهُ اخف على السمع

﴿ القاعدة التاسعة ﴾ تعرَّب الاسماء اليونانية واللاتينية كما هي في حالة الرفع لا كما يكتبها الفرنسيون او الانكليز في بعض الاحيان فيقال مثلاً فيثاغورس لا فيثاغور وهيرودوتس لا هيرودوت واقليدس لا اقليد وهوميروس لا اومير وبلنيوس لا بلين عن الفرنسية او بلني عن الانكليزية. ولا بأس ببتر بعضها كما كان يفعل العرب أحياناً فيقال هرقل وثيوفيل وارسطو وسقراط وابقراط عوضاً عن هرقلس وثيوفيلوس وارسطوطاليس وسقراطس وابقراطس. ولا ارى ذلك مستحسناً الاّ في الالفاظ التي كتبها العرب كذلك

ولا بد من ملاحظة الاسماء التي تنتهي بالحرفين on في اليونانية وبحرف o في اللاتينية فالاسماء اليونانية التي تنتهي كذلك كان الرومان يحذفون حرف n في حالة الرفع فيكتبون Platon مثلاً Plato وكان اليونان يضيفون حرف n على الاسماء اللاتينية التي تنتهي بحرف o في حالة الرفع فيكتبون لفظة Cicero اللاتينية Kikeron لان هذا الحرف اصلي في اللاتينية يظهر في حالة الجرّ مثل قولنا Ciceronis. فيجب ان نلحق هذه الاسماء كلها بحرف النون كما كان يفعل العرب واليونان وكما يفعل الفرنسيون فيقال نيرون Neron في Nero وافلاطون Platon في Plato وابلون او افلون Apollon في Apollo ولاون Leon في Leo وشيشرون Ciceron في Cicero ويونون واسترابون لانيرو وبلاّتو وابلّو ولیو وسیسرو وجونو واسترابو كما يكتبها الانكليز

﴿ القاعدة العاشرة ﴾ حرف خي اليوناني يقابلهُ ch في اللاتينية وهو قريب في اللفظ من الخاء العربية فيجب ان يعبر عنهُ بها كما كان يفعل كتّاب العرب. مثال ذلك ملنخوليا Melancholia وارخيلوخس Archilochus لا ارشيلوك وفلوطرخس لا بلوتارك وارخيدس لا ارشميد واخلّس او اخيل لا اشيل وخلكيس او خلقيس (Chalcis) لا شلسس وترخينا (Trichina) لا تريشين وتاخيكاردیا (Tachycardia) لا تاشيكاردي

***

بقي ان هذه القاعدة لم تكن مطردة عند كتّاب العرب فقد عبروا عن هذا الحرف اليوناني بالكاف في بعض الاحيان فقالوا انطاكية بالكاف والطيوخس بالخاء والبطريرك بالكاف وقالوا وركّس والكيموس بالكاف وربما عبروا عنه بالقاف فقالوا القرن (Chronos) والقرطاس (Chartes) ثم عادوا وقالوا الخريطة وقال المحدثون الخارطة وهما والقرطاس من اصل واحد. ورأيت اسم ارخيدس في تاريخ الحكماء لابن القفطي مكتوباً ارشميدس. وكل ذلك نادر

ولا اريد انهُ يجب التعبير عن هذا الحرف اليوناني بالخاء دائماً فلا بأس بكتابته بالكاف لا سيما في الالفاظ التي الفها السمع والتي تلفظ كذلك عند الافرنج مثل كرونومتر ولكن كتابة اخيل وارخيلوخس وخلكيس بالشين قبيحة جداً بعد ما كتبت هذه الاسماء وامثالها بالخاء مئات السنين

﴿ القاعدة الحادية عشرة ﴾ الاسماء اليونانية واللاتينية تلفظ كما تكتب تماماً ولا يتغير لفظ حروفها فيجب نقلها الى العربية كما هي بصرف النظر عن اللفظ الانكليزي او الفرنسي كما في كثير من الامثلة التي مرَّ ذكرها . وقد بقيت امثلة اخرى قلَّما ينتبه لها فالانكليز مثلاً يقولون هباشيا (Hypacia) ويقول الفرنسيون إيباتي (Hypatie) لكن يجب ان يكتب هذا الاسم كما هو تماماً اي هباتيا بالتاء كذلك دلماتية او دلماطية ومثل ذلك فسيولوجية وبلاسمة وانامركة واوروسيوس وامبروسيوس يجب ان تكتب كلها بالسين لا بالزاي اي كما هي في الاصل وكما كتب العرب امثالها فقالوا فيلسوف لا فيلوزوف

***

هذا ما رأيت ذكره في هذا الباب وقد بقيت اصول غير هذه يجب ملاحظتها في التعريب اضربت عن ذكرها لشهرتها منها التعبير عن حرف p بالفاء في اكثر الاحيان كقولنا افلاطون وفيثاغورس وبعض الكتاب في ايامنا يستعيضون عن الفاء بالپاء الفارسية . ومنها التعبير عن حرف v بالواو كقولنا والنتينوس وبعضهم يعبر عنه بالفاء المثلثة . ومنها عدم الابتداء بالساكن بالعربية تامًّا ان يحرك الساكن او تضاف همزة قبله ولذلك قالوا الاستنقور والسقنقور

ولا اريد في ما تقدم انهُ يجب رد الاعلام الحديثة الى اصلها اللاتيني او اليوناني متى نقلت الى العربية فاسم السر جون تيشمون مثلاً يجب ان يكتب كما يلفظهُ الانكليز لا ان نردهُ الى اصلهِ ونقول السر يوحنا تشمان ومثله مارك وانطوان وانطوني ومارکو بولو واشبيل متى كانت اسماء اشخاص من المحدثين فيجب ان تكتب كما تلفظ في لغات اصحابها لا كما كان يلفظها اليونان او الرومان . اما اذا كانت اسماء اشخاص من اليونان او الرومان فيجب ان تكتب كما كان اليونان او الرومان يلفظونها ولا سيما متى كانت مكتوبة كذلك في المؤلفات العربية القديمة

الجسد والروح

والانانية وتحقيق الذات

لعلي أدهم

يعزو بعض الاخلاقيين قصور الانسان عن بلوغ الكمال واستجابتهُ لداعي الهوى وقابليتهُ للسقوط الى تغلب الجانب الحسي من الانسان على الجانب الروحي . وذلك لان الشهوات تعتاق تقدم الروح وترصد لهُ الموانع والعقبات . ولو تخلص الانسان من اسار الجسد لاتسعت حدود حياته الروحية ورحبت آفاقها ولولا الجسد لما تكدرت الطبيعة الروحية ونقيت صافية لا يميل بها ميل ولا تستذلها شهوة

وتاريخ كل انسان حرب لا سلام فيها ولا هدنة لمقاومة طائش الرغبات وهوج العواطف بل هي حرب بين قوتين غير متعادلتين . احداهما كاملة الاهبة بصيرة بمواضع الهجوم ونواحي الضعف والاخرى ضعيفة الحول قليلة الحيلة . لان اجابة مطالب الجسد سريعة مباشرة وتلبية مطالب الروح عسيرة بعيدة المنال . وتقدير الخير والاحساس بجمال الحياة الروحية يحتاج الى رياضة شاقة وشحذ للذكاء وعزيمة مصممة وجأش رابط . والحياة تسير في بادىء الامر سيرها الطبيعي فاذا سمت وتهذبت بدأت سيرتها الروحية . فحياة الطفل او حياة القبيلة شبيهة بحياة الحيوان حيث تستبد الميول الجسدية قبل ان يعلن العقل سيطرتهُ ويتم تهذيب الروح . وما دام الامر كذلك فمن السهل ان يذهب بنا التفكير الى ان الانسان اذا اراد ان يسمو بالروح ويبلغ الكمال فلا مفرَّ لهُ من قمع الشهوة وتعذيب الجسد استنقاذاً للروح واحتفاظاً بحرية العقل . ومن هنا نشأت فكرة الزهد ونمت وترعرعت وازدهرت وبسطت ظلالها الكثيفة وسلطانها الضخم . واشتد الميل الى الانصراف عن مناعم الحياة ومفاتن الوجود واعتبارها رجساً من عمل الشيطان ينبغي لكل من اراد ان يفتدي روحه وينجو بنفسه الفرار من غوايته واتقاء شباكه . واكبر انتصار يحرزه الانسان في هذه الحياة الفانية هو التغلب على الجسد ونبذ مسراته واخماد حيويته

وانك لتلتقي بصور شتى وضروب مختلفة من هذا المظهر في مشرق الارض ومنشور الامكنة . وتسادفه قاعدة للحياة وقانوناً مطرداً في الهند بين البوذيين وعند بعض الطوائف المسيحية . وتاريخ الثقافة الغربية من القرن الرابع الى اواخر العصور الوسطى يرياك العجب العجاب من تأثير فكرة الثورة على الجسد ويكشف لك عن مظهر بروع من مظاهر تلك الحرب

الشعواء التي اعلنت على الاهواء والشهوات . ويريك كيف استشرى هذا الداء الوبيل وذاعت عدواه من مكان الى مكان دون ان يصده حاجز وكيف اذبل كل نضارة وعصف بكل جمال وشرّه كل متعة وكاد يقضي على الحضارة ويغير النفوس لولا نهوض احرار المفكرين وثورتهم على سلبه وشرائعه

وعند ما نكرّ الطرف في نواحي الماضي ونتأمل هذه الحالة المفجعة يخالجنا الاسف ويحتوينا العجب . الاسف لهذه الضحايا البشرية التي ذهبت فريسة فكرة خاطئة . والعجب لان ذلك مخالف لكل المبادئ الاساسية التي تقوم عليها الحضارة لان الحضارة قائمة على الرغبة في اطالة الحياة والعناية بها وتعميقها وتخفيف ويلاتها وجعلها جميلة محبوبة . والكفاح المستمرّ بين الفرد والفرد والامة والامة سببه الحقيقي هو رغبة كل فرد في ان يزيد ثروته وتنمي ممتلكاته المادية والروحية حتى يحصل على اوفى نصيب من الحياة بتقليل الآلام وتوفير اللذة . وكل مخلوق يحاول ان يعبّ من المسرات وينعم باللذات ويتسلى من جمال الحياة ويحظى بالسعادة على حين ترى هؤلاء الصادفين عن الحياة يزيدون حياتهم ظلاماً وضيقاً ويغرّون من اللهو البريء والسرور الطبيعي فرارهم من الوباء ويأبون الا ان يزيدوا هذه الحياة الخافقة بالمتاعب والهموم بلاء على بلاء وكمداً على كمد

تلقاء هذه الحالة النفسية المخالفة لمقتضيات الحضارة ومطالب العقل يجب ان نتريث قليلاً لنرى علة نشوئها وهل هي جنون طارئ وهوسة عارضة ؟ وكيف وقع تحت تأثيرها رجال لا نشكّ في نبل نفوسهم وعظمة اخلاقهم وجلال تضحيتهم

منذ بدأ الانسان يأخذ باسباب الحضارة ويتدرج في الرقي وتشتدّ به الرغبة في المعرفة ، معرفة نفسه ومعرفة ما حوله نشأ فيه عاملان . عامل الرغبة في طلب « السبب » او « العلة » وعامل الرغبة في فهم « الغاية » . فالانسان كلما صادفته صعوبة او عرض له مشكل محير جعل يسأل نفسه ما السبب الذي جعل الاشياء هكذا وما الغاية من وجودها ويتردد بين « من أين » و« الى أين » . وهناك فارق كبير بين هاتين المسألتين . لان المسألة الاولى مسألة منطقية وطلب حلها مسألة تلتقي فيها الآراء ويتفق عليها . أما مسألة الغاية فهي مسألة ادبية اخلاقية متوقفة على درجة الانسان من الرقي ونصيبه من الادراك . وقوانين المعرفة المسيطرة على العقل تتطلب أن يكون لكل شيء سببه ولا يمكن ان نتصور شيئاً ليس لهُ سابق سبب . ويمكن ان نتصور الدنيا حلقة متصلة من الاسباب دون ان يكون لها غاية ولكن هذا لا يرضي في نفوسنا الحاسة الاخلاقية لان الحياة بلا غاية في نظرنا باطل الاباطيل وقبض الريح وافتراض غاية للحياة لازم من النظر الفردي لان حياة الفرد مرة قاسية ومعرفة الاسباب لا تقنع القلب ولا تشفي الغلة ولا مفر لنا من ان نتساءل دائماً ما هي الغاية ؟

والبعض عند ما يعجزون عن ادراك هذه الغاية يستولي عليهم اليأس ويعتقدون ان الانسان

كالحيوان يأكل ويشرب ويلهو وغداً يطويه الموت ويفرقه العدم . فمن كان نصيبه من الحياة حسناً فنيهاً به ومن ساء منها نصيبه فليألم في صمت لانه لا حق ولا عدالة ولا غاية في حكومة الدنيا وما هي الا سلسلة أبدية من الاسباب

ولكن هذه الفلسفة اليائسة الحزينة التي تجرد الحياة من البهاء وتنفي عنها أسباب العزاء لا ترضي الكثيرين اذ لا يجدون فيها بلسماً لآلامهم ولا مرهماً لجراحاتهم لانها تترك الانسان على عجزه ووهنه وقصر حيلته منفرداً مع الفناء يواجهه من ناحية الابد القسي ومن ناحية الازل السرمدي . وهنا يفرُّ الانسان من هذا الموقف الذي يصعب احتماله ويصور لنفسه وجود عالم غير هذه الدنيا وينقل محور اهتمامه من الجسد الى الروح . وهذا الجسد المقضي عليه بالعدم هو لباس الروح الخارجي الوقتي والروح لا تموت مع الجسد لانها ليست فانية مثله . وهذه النفس الخالدة هي الجديرة بالرعاية والخليقة بالتمجيد ولها مستقبل زاهر في عالم أصفى من هذا العالم وفي حياة أسعد من هذه الحياة وادي الدموع ومراح الاباطيل والخيالات . والآن وقد قسم الانسان نفسه الى جسم وروح يسترسل مع منطق هذه الفكرة حتى يرسخ في نفسه الاعتقاد بان الجسد هو عدو الروح الابدي وخصمها اللدود وانه هو الذي يقطع عليها سبيل الكمال المنشود بمطالبه الحقيرة وغاياته المسفة فعلى الروح اذن قهره وادلاله

وغير خاف ان المقصود بهذه الفلسفة هو العزاء والسلوى ولذلك لما تفاقمت بلايا الحياة وعظمت ويلاتها وضاقت سبل الفرج اشتدت الحاجة الى هذا العزاء وقويت الرغبة في اماتة الشهوة واجتثاث اصولها ويبدو ذلك واضحاً في العصور السوداء المظلمة عندما يغمر الانسانية الشقاء وتطغى عليها البأساء والنوائب دون ان تجد مخلصاً

ونرى من خلال ذلك موقفين اقتضتهما متاعب الحياة وضروراتها . وهما موقفان متناقضان . الموقف المادي الذي يجعل الجسم كل شيء ولا يرى غاية للحياة سوى ارواء شهواته والاستمتاع بالملذة حتى يحين الموت وينتزع جدثاً لهذه اللعبة السخيفة . والموقف الروحي الذي يعمد الى قهر البدن لتخلص الروح وتقرب من الغاية الابدية

والمشكل الآن هو هل قضي على هذين العنصرين المكونين للانسان — العنصر المادي والعنصر الروحي — ان يظلا متضادين متعاكسين لا يطلب لاحدهما الحياة الا بسحق الآخر؟ اني أعتقد بامكان التوفيق بينهما وارجح ان الملاءمة بينهما ليست من قبيل المساومة الحقيرة او المخالفة الموقوتة بين الخصمين وانما هي وحدة داخلية لازمة لان العامل الروحي يستطيع ان يرسل اشعته في نواحي الحياة المادية ليطهرها ويسمو بها . وهذا التحالف لا يدنس الروح وانما يسمو بالجسد وعندما يكمل كل منهما الآخر يدنوان من الكمال . واذا لم أكن قد اسأت الفهم فان مثل هذا التوفيق بين مطالب الروح ومطالب البدن هو ما يرمي اليه شاعر الهند طاجور في كتابه القيم « سعد هانة »

ومما يدعو الى التشكيك في الرأي القائل ان مصدر سقوط الانسان هو الجسد كون كثير من العيوب والنقائص الاخلاقية لا صلة لها بطبيعة الانسان الحسية مثل الكبرياء والطمع والبخل والانانية والحسد والانتقام . بل بعض اللذات الحسية تسهوى الانسان لبواعث غير حيوانية . فالانسان قد يتعاطى المسكرات لينسى همومه أو ليستحث خواطره . وبعض العيوب الاخلاقية تقاوم الميول الجسدية وتفوقها فان البخيل قد يسبق الزاهد المستعبد في الحرمان وانكار النفس . ومن ثم تبدو لنا جلية ناصعة هذه الحقيقة التي كلف جهلها الانسانية الكثير من الآلام والعذاب والمسخ والتشويه وهي ان اخماد الرغبات الطبيعية لا يجيء بالغاية المنشودة . بل ربما جاء بنقيضها . وللرغبات الانسانية شأن كبير في الحياة الادبية والروحية . والجسد الذي نحاول قهره يمكن ان يصير اكبر نصير للروح في بلوغ مطالبها . واستغلال الميول والشهوات وتسخيرها في خدمة الغايات السامية قد يأتي باعظم النتائج في الحياة الادبية والحياة الروحية . وطبيعة الانسان الحسية وتركيبة العصبي وحواسه ومشاعره وشهواته ومراغبه وعلاقته بالوسط المادي ليست في نفسها شراً ولا خيراً وانما ملاك الامر على الانتفاع منها وكيفية التصرف بها . فاذا اعتبرت وسيلة من وسائل الروح فانها تجتلب المواد التي يمكن ان يحولها العقل افكاراً نبيلة ومشاعر سامية ورغبات انسانية . ونحن نعلم كل ما نعلم عن الطبيعة من طريق حواسنا فكل ما يسحرنا جماله ويبهرنا جلاله انما هو مواد زودت الحواس بها العقل ليصوغها . ولا يغرب عن البال ان الحياة الادبية الروحية اساسها الحياة الطبيعية المادية . فالحياة العاطفية مثلاً التي يحيا فيها الفرد في حياة غيره اساسها الخارجي قائم على لبانات عضوية محضة . ولكنه كما يحيل الفنان الاحجار طرفاً فنية رائعة وكما تخرج قوة النباتات الحيوية من الثرى الوضيع الزهرة والفاكهة فكذلك حياة الارواح تحيل اللبانات والشهوات اهواء نقية وعواطف رقيقة يقوم عليها الشعور القومي والعواطف الانسانية التي تتكون منها لحمة حياتنا الاجتماعية وسداتها

وليست الحياة الروحية الحقة هي الحياة العاطلة من الميول والاهواء فان انبل الطبائع الانسانية وابطال التاريخ ورجال الوطنية واحباب الانسانية كانوا جميعاً من ذوي الاحساسات الحادة المرهفة . بل ان جانباً كبيراً من عظمتهم كان مصدره شدة نبض العاطفة الانسانية في نفوسهم ووفرة احساسهم . وليست الاهواء العارمة والميول العنيفة هي سر عظمتهم وانما سرها هو ان المبدأ الادبي وقوة الارادة والنزعة الروحية مكنتهم من السيطرة على هذه الاهواء المحتدمة وتحويلها الى قوة في خدمة الغايات العليا . وسر القوة على تحقيق المثل الأعلى للطبيعة الانسانية كامن في الارادة لا في سحق البدن والاسراف في تعذيبه . والارادة الخيرة ترى سعادتها في العمل على ادراك هذه الغاية السامية كما ان الارادة الشريرة هي التي تجد لذتها في الغايات الشخصية المحصورة والمآرب الوضيعة . والصلاح

الحق هو التحقيق الصادق للنفس . والتساهل العضال والسقوط المزري هو التأكيد الزائف لها واعتبار تحقيق الذات اسمى غاية في الحياة ليس معناه ارجاع الخير الى البواعث الانانية ومخالفة فكرة نزاهة الخير ونقاوة الفضيلة ونقض ازأي القائل بأن انكار الذات هو اسمى ضروب الفضيلة وان تضحية الشهيد وفكران التديس لذاته وتناسي البطل لمسحته هي اسمى افعال الانسان . ولا مفرّ لازالة اللبس من التفريق بين الانانية وتأكيد الذات لانهما مختلفان كل الاختلاف ومتناقضان اشد التناقض . وقد اهمل بعض الاخلاقيين هذا التفريق وقالوا بنظرية الانانية العامة وهي التي تركز كل اعمال الانسان دقيقها وجليلها وشريفها ووضيعها على اساس الانانية وتردها الى بواعث المصلحة ودوافع اللذة . فكل عمل يعمله الانسان انما يبتغي به المصلحة ويلتمس من ورائه اللذة . وفعلنا الشيء معناه انا نستريح لآرائه ونستعذب القيام باعبائه . وتمس الاعمال الشاقة المؤلمة انما نباشرها لأننا نستهين فيها بالآلام ولذة الامتناع ترجح حرقة الألم . وقد نتناول الجرعة المرة من الدواء لأن لذة الاستشفاء بالصحة اعظم من تجرع المرارة . وقد تطيب نفوسنا لتحمل المتاعب في سبيل من نحب . فالوطني الذي يشقى لاجل مبدأ او الشجاع الذي يقدم على التضحية والشهيد الذي يجود بحياته بسبب عقيدته يستشعر كل منهم لذة تفوق الألم الدامي الذي يقاسيه وما دام السرور يدخل في كل باعث انساني وما دامت التضحية تنسها دثاراً لامتاع النفس فالانانية اذن ثابتة وطيدة . ولكن كل هذا ناشيء من الخلط بين الانانية وتحقيق الذات . وقد يستخفنا السرور لتحقيق رغبة ولكن يلزم ان تكون هناك غاية مطلوبة قبل ان نستشعر اللذة في ادراكها وليس مما يقلل من قيمة الخير ارتياحنا لعمله كما ان الولوع بالسيادة والغرام بالشر من اتم الدلائل على ضعة النفس

ولكن اذا كانت كل اعمال الانسان هي تحقيق للذات من بعض الوجوه فكيف يكون تحقيق الذات مقصوراً على الاعمال الخيرة ؟ والجواب على ذلك ان ما ينبغي تحقيقه هو النفس الفردية . وليس معنى ذلك ان كل عمل يتجه الى مصلحة الفرد يسمى انانية لانه اذا كان المقصود بهذا العمل ان ينمي الفرد استعداده ويكمل من ثقافته ليكون اقدر على النهوض بالغايات الكبيرة والاعمال الباهرة فان هذا يعد من اشرف الاعمال . وأقل الناس نصيباً من التفهم وأضألهم عملاً يمكن ان يسعوا في ضوء الواجب وعلى هدى الحب ولكن لا خلاف في ان السياسي المدرب والشاعر العبقري والفنان الموهوب والخطيب المسقع يمكن ان يقوم كل منهم بقسط اوفر وان يقدم تضحيات اغلى قيمة وأبعد اثراً . وكلما عمل الانسان على النهوض بعقله وجسده وتوفير معلوماته وتوسيع ثقافته وبذل الجهد في خلق فردية جميلة منسجمة فانه سيقوم بأجل خدمة لحياة الفكر والروح ويتصل بحياة المجتمع وحياة الشعب عامة وحياة الانسانية جمعاء والتوفيق بين نوازع الروح ومطالب البدن هو الاساس الذي تقوم عليه هذه الحياة الانسانية العالية

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

معرض المذاهب السياسية

— ٢ —

﴿السياسة والدين في القرون الوسطى﴾ من أهم ما خلفته القرون الوسطى من النظريات السياسية اصرارها على ان تكون الاخلاق عنصراً قوياً في سياسة الدولة فلا تتجرد اعمال السياسيين من تلك السلطة الوجدانية التي يؤدي فقدها الى ما نعانيه اليوم من السياسة المادية التي لا روح فيها او كما يقال ان السياسة عموماً ولا سيما سياسة البسطة والتوسع لا دين لها. ولكن الناس في تلك الايام افرطوا جد الافراط في ادخال الدين في كل ناحية من نواحي حياتهم فكانوا يأكلون في الدين ويشربون وينامون في الدين فلا جرم ان تكون السياسة ايضاً باباً من ابواب الدين وان تعالج شؤون البشر الدنيوية في فصل من فصوله كما تعالج شؤونهم الاخروية. قال الاستاذ (كول) «وكان الرجل المفكر من اهل القرون الوسطى — وقد بنى مذهبه السياسي على ما تدعيه الكنيسة العالمية من حقها في تسيير الناس على السنة النبوية — يعالج كل قضية من القضايا السياسية والاقتصادية كأنها قضية اخلاق لاهوتية. ويتجلى هذا الامر في الشؤون الاقتصادية في تلك القوانين المنمقة التي تحرم الربا الفاحش وتعين الاحوال التي يحصل فيها الرجل المسيحي على الربح العادل، وفي الشؤون السياسية في السعي لاستمداد جميع السلطة التي تتمتع بها الدولة وجميع القواعد التي تقوم عليها الطاعة في الرعية من مشيئة الله كما هي متجلية في التوراة والانجيل وفي الملهمات التي هبطت على قلب الكنيسة فنطقت بها، وقد تسربل الادراك السياسي الناهض عند اهل القرون الوسطى بسربال الدين الموحى به والتي هذا الادراك على الآراء المقتبسة من ارسطو ومن الشريعة الرومانية اجازة الكنيسة وتصديقها»

﴿نيكولو مكيافللي﴾ : ومن الرجال الذين نشأوا في اواخر القرون الوسطى وكتبوا في السياسة على طريقة مبتكرة رجل يدعى (نيكولو مكيافللي) — (١٥٢٧ — ١٤٦٩) وهو صاحب كتاب الامير الذي نقله الى العربية الاستاذ محمد لطفي جمعة — وقد عالج فيه القضايا السياسية بنظريات جديدة لا دخل للدين فيها خلاصتها شرح الطرائق الشيطانية التي تمكن الرجل الطموح من التربع على العروش والقبض على الصوالج فنصح بعض الامراء في ايطاليا بان يسيروا

في سياستهم على منهج دنيوي صرف من حيل ودسائس وفتن لم يسبق لها مثيل حتى ان سلطاناً قاهراً عاش في القرن العشرين مثل السلطان عبد الحميد لما ترجم له هذا الكتاب استغواه كثيراً فكان يسترشد به في المدلهمات . وفي عقيدتي ان كتاب «الامير» هذا هو الاثير السياسي الذي تسير عليه الدول المستعمرة في الشرق : فالمن تفريق بين الاهلين وتسليط طبقة منهم على طبقة اخرى واستنزاف دمائهم جميعاً واخضاعهم للسلطة المحتلة وصرف اذهانهم عن غرضهم الاسمى الا صفحات من هذا الكتاب الغريب كتبت في اوائل القرن السادس عشر (١٦١٣) ونشرت في القرن العشرين . فمكيافللي هو بهذا المعنى رسول المستعمرين الامين وقد علمهم كيف يحفرون هوة سحيقة بين السياسة والاخلاق وكيف يسوغون غاياتهم بجميع الوسائط مهما كان نوعها وان يشيدوا سلطانهم القاهر — كما يفعل الامير الطموح المجرد من العواطف الانسانية — بالقوة والخداع والقسوة والمراآة والتظاهر بالغيرة الكاذبة

والظاهر ان استحكال المطامع البابوية وحرصها على الاستئثار بالسلطة الدنيوية استئثارها بالسلطة الاخروية وعرضة ايطاليا في تلك الايام للتنازع الداخلي بين صغار الامراء وضعاف الجمهوريات والغزو من الخارج كل ذلك خلق في نفس (مكيافللي) شعوراً بالحاجة الى اسس سياسية جديدة تسير عليها ايطاليا فيتجدد شبابها ويستقيم امرها وتتحقق وحدتها وتتم سيادتها

ولكن سياسة (مكيافللي) البعيدة عن الدين لم تؤثر في الخطط التي اختطها زعماء الحركة الاصلاحية الدينية في القرن السادس عشر اقل تأثير ، ولئن كان هذا الاصلاح ثورة على البابوية وسلطانها المزدوج فهو مع ذلك لم يخرج قيد انملة عن سلطة الدين لان اتباع (لوثر) و (كالفن) الزعيمين المصلحين الكبيرين اختاروا الميدان الديني لمبارزة البابوية وصراعها ، لا جرم ان احتاج (لوثر) في مقاومته طموح البابا الرمي الى مناصرة الامراء والملوك وسائر اصحاب المصالح الدنيوية والاستمساك بالدول السياسية الناشئة والاعتماد على امرائها وقد عطف هؤلاء عليه وحدبوا على طريقته المستحدثة لتكون سلطتهم مطلقة في وجه كل من ينازعهم فكان الحرية الدينية التي الحّ (لوثر) في ان يتمتع بها كل فرد بحسب وجدانه آلت الى تأييد السلطة الاستبدادية في الملوك . اما (كالفن) في سويسرا فقد نحا نحواً آخر اذ جمع في طريقته بين السلطتين الدينية والدنيوية ورأى من الواجب المحتم ان يقيم دولة سياسية تؤيد الدولة الروحانية فكان في البروتستانية اشبه شيء بالبابا في الكثلكة وكانت دولته ارستقراطية خاضعة لطبقة القديسين خضوع الدول الحاضرة للرأسماليين ، على انها في التحليل النهائي كانت قائمة على تأييد الشعب فهي بهذا المعنى ديمقراطية . وقد تركت اثراً ظاهراً في تلك الايام اذ شجعت من حكم ذاتي واستقلال محلي في الانحاء التي لم تتمكن فيها من انشاء حكومة على الاسس التي ترتضيها وبهذه الواسطة روّجت فكرة الاستقلال الذاتي وساعدت على الخلاص من حكم البابا في احداث دولة عالمية شاملة تخضع للكثلكة وخليفة بطرس في رومية . ولكن (كالفن) كان يحم

بثورة اخلاقية تقوم بها الدولة والكنيسة متحدتين ويكون قسط الكنيسة فيها متفوقاً له القدح المعلى . وقد ردّ على هذه الآراء « القروسطية » (نسبة الى القرون الوسطى) الكاتب الانكليزي (ريتشارد هوكر) المتوفى سنة ١٦٠٠ بما يستحق ان يكون درساً عميقاً وعظة بالغة لبعض الدول العربية في ايامنا . وانهُ لمن المؤسف ان نشعر ونحن في القرن العشرين بحاجة الى دروس في السياسة نتلقاها من كتاب القرن السادس عشر . فما ذهب اليه (هوكر) ان هنالك فرقاً جلياً بين السنة الطبيعية — وهي الناموس الطبيعي — وبين السنة الايجابية . فتلك ازلية ثابتة لا تتغير وهذه تتبدل بحسب الحاجة الخارجة والمصلحة الطارئة وكل الحكومات في نظره قائمة على السنة الايجابية وتابعة لاحكامها فهي اذن قابلة للتبدل بحسب الاحوال المستجدة . اما كيف تطبق السنة الايجابية وكيف تتعين فهذا يحتاج الى العقل مستنيراً ومستقوياً بكل نوع من انواع العلم والاختبار والتمرين . وقال ان الاحوال تتطلب نظاماً دينياً سمحاً يتسع الناس ويضم تحت جناحيه جميع الانكليز الصالحين . وعنده ان اتباع (كالفن) اخطأوا في محاولتهم ان يستخرجوا من الكتاب المقدس الاوامر والنواهي التي تسيطر على سيرة الافراد في جميع الاحوال دينية كانت ام دنيوية . فالدنيا اشكال والوان واوضاعها فنون . وفيها مجال متسع يجول فيه الانسان بحريته من غير قيد سماوي ليعين الخطة التي يسير عليها بموجب المقتضيات الزمانية والمكانية تحت سلطان الناموس الطبيعي والعقل الدائم

﴿توماس هوبس﴾ ومن اشهر الكتاب الاوربيين الذين كتبوا في السياسة (توماس هوبس) الحكيم الانكليزي المتوفى سنة ١٦٧٩ فقد ذهب الى أن الدولة مؤسسة قد عملها الناس بمحض قواهم العقلية . فهي من صنع ايديهم ونتيجة اختباراتهم لأن اول حاجة ماسة احتاج اليها المجتمع هي النظام او القوة ذات السلطة المطلقة لتطبيق هذا النظام ، والسبب الداعي الى هذه الحاجة الاضطرارية هو الحالة التي وجد عليها الناس في الطبيعة منذ تألف مجتمعهم . وخلاصتها انهم في حرب معلنة من الجميع على الجميع ولا سبيل الى النجاة من هذا الشر المستطير الا بالالتجاء الى حفظ النظام وتطبيق مفاصل العدل ، اذن فالدولة هي سلطان قائم على اساس « المقاولة الاجتماعية » التي نجد لها مثيلاً يقربها من الاذهان بالمقاولات التي تعقد في الاسواق التجارية والصناعية بين المتعاملين لمصلحتهم جميعاً

ان السلطة القوية المطلقة هي الاداة التي تنفذ هذه المقاولة الاجتماعية « او هذا العقد » وعليها تتوقف وحدة المجتمع صحيحة غير متفرقة . ومع ان هذه النظرية لا تستند الى الاستقراء ولا يوجد في تاريخ الانسان الخالي ما يؤيدها او يدل على ان الروابط السياسية في الدولة حبكتها ايدي المفكرين بمحض قواهم العقلية فقد أثرت في الشؤون السياسية أثراً بليغاً خصوصاً في صوغ الدساتير ولا تزال تفعل ذلك الى يومنا هذا . ومن اظهر آثارها ما ذهب اليه بعض أئمة المشترعين امثال (اوستن) واتباعه من الوجهة الشرعية من جعل سلطان الدولة سلطاناً

مطلقاً لاحد له غير قابل للتجزئة. قال الاستاذ (كول): ثم ان سقوط النظرية المشهورة القائلة بحق الملوك الالهي غادرت « السلطة المطلقة » التي دعا اليها (هوبس) من غير اساس نظري ترتكز عليه . ولكن هذه السلطة والحق يقال ليست وقفاً بالضرورة على حاكم واحد مفرد بل هي ملك الحكومة مهما كان شكلها . وقد فضل (هوبس) الحكومة الملكية باعتبارها اقدر على حفظ النظام غالباً الا انهُ لاحظ ان مذهبه ينطبق ايضاً على السلطة المطلقة للحكومة الارستوقراطية او للحكومة الديموقراطية كما يجوز ان ينطبق على الحكومة الملكية. وجوهر هذا المذهب ان للحكومة كائناً شكلها ما كان السلطة المطلقة على جميع الرعايا

﴿جون لوك﴾ ثم حدثت الثورة الانكليزية المشهورة في سنة ١٦٨٨ وكان حكيمها البارز وكاتبها البليغ (جون لوك) المتوفى سنة ١٧٠٤ وصاحب كتاب « الفهم البشري » فقد بدأ رأيه بتحديد سلطة الحكومة وحصرها في حماية الارواح والاموال والدفاع عن الحرية . وعنده ان المجتمع وضع طبيعي بالنسبة الى الانسان ، وان قواعد السياسة تستخرج من الشريعتين الالهية والطبيعية لا كما فعل استاذه (هوبس) الذي جعلها وليدة الادراك الانساني فقط وهذا يباعد بين الانسان والطبيعة المحيطة به . وقد تناول (لوك) من استاذه فكرة (المقاولة الاجتماعية) وعلى نظرياته بنى شكلها . وكلاهما يقول ان المجتمع البشري قائم على مقاولة معقودة بين افراده وهذه المقاولة نافذة ما قبلوها . غير ان (هوبس) يرى ان الشعب بتنصيبه سلطاناً على نفسه قد تنازل له وخلفائه من بعده عن حقوقه تنازلاً ابدياً فكأن المقاولة هي تنصيب الحكومة ليس الا . اما (لوك) فقد نحا نحواً آخر اذ قال ان الشعب لن يتنازل عن حقوقه الى الابد بمجرد استصناعه حكومة بل يبقى في المرجع النهائي صاحب الكلمة العليا والسلطان النافذ مع صلاحية ثابتة تخوله في كل حين ان يسترجع الحكومة التي اسسها وان يلغيها اذا هي خانت الامانة التي وضعها في عنقها . وهكذا يتجلى الفرق بين السلطة المطلقة التي قال بها (هوبس) وبين السلطة الدستورية المحدودة التي قال بها تلميذه (لوك) فكانت تفسيراً نظرياً للاعمال التي انجزتها الثورة الانكليزية في سنة ١٦٨٨ ولا حاجة بنا الى تذكير القارىء ان مثل هذه الافكار السياسية هي التي حفزت العثمانيين الى انقلابهم في سنة ١٩٠٨ كما حفزت الايرانيين حيرانهم ولا تزال تحفز أمماً شرقية شتى في خصوماتهم الداخلية والخارجية

﴿جان جاك روسو﴾ انتقلت نظرية « المقاولة الاجتماعية » من انكلترة الى القارة ومن قالبها واتخذها تعليلاً صالحاً للمجتمع (جان جاك روسو) الحكيم الفرنسي المتوفى سنة ١٧٧٨ فقد نقلها عن (هوبس) و (لوك) واخذ معها من الاول قوله ان السلطان غير محدود ولا يقبل التجزئة وانه ينشأ في المجتمع حالما تعقد « المقاولة الاجتماعية » ومن الثاني تفريقه بين السلطان والحكومة وهذا التفريق يترك القوة العليا بيد الشعب باعتباره سلطاناً ويجعل الحكومة مشتقة منه وهي ابداً خاضعة لارادته . بيد ان (روسو) يختلف عن (لوك) بجعله هذا السلطان الشعبي — وهو سلطة

الجمهور — عاملاً ايجابيًّا نشيطاً له قسطه العظيم في القيام باعمال المجتمع لا واقفاً موقفاً متفرجاً سلبيًّا كما كان اذعان المشيئة الحكومة . وهكذا نرى نظرية « العقد الاجتماعي » قد اصبحت على يد (جان جاك روسو) نظرية ديموقراطية من الاساس وأصبح الحق للشعب ان يحكم حقيقة كما يحكم اسماً . وذهب في تصوير هذه النظرية الى ما يشبه الحالة ايام «الدولة البلدية» التي عرضنا لها على عهد الاغريق يعني ان تكون المدينة انواحدة دولة مستقلة بذاتها وتكون شؤونها بيد جميع أهلها مباشرة لاذكر للنواب في ذلك بل الافراد جميعهم يقضون ويمضون باشخاصهم ، فليس في مذهب هذا الحكيم ما يسوّغ بناء الامبراطوريات المتسعة الضخمة على اساس مشروع كما هو الحال في عصرنا لان ذلك يقتضي تأليف المجالس النيابية في حين ان السلطان الشعبي في نظره لا ينتقل لا بالانتداب ولا بالتنازل بل يبقى وقفاً على الشعب أو ملكاً ملازماً له . ولئن لم يؤثر هذا المذهب تأثيراً كليًّا في اضعاف الامبراطوريات التي اخذت تنمو في القرن الثامن عشر فقد احدث انقلاباً خطيراً في تفهيم الناس ان ارادة الشعب هي التي تحلّ وتعقد وانها الاساس الذي تبنى عليه الدولة ، اذن «فالارادة العامة» التي يجمعها القول المأثور « اسرات الخلق اقلام الحق » هي الثمرة الناضجة لمذهب « العقد الاجتماعي » كما تحوّل على ايدي (جان جاك روسو) . ويتجلى هذا التأثير خير التجلي في الثورة الاميركية لان القواعد الاولى التي بنيت عليها هي قواعد مستخرجة من هذا المذهب

ثم حدثت الثورة الفرنسية الكبرى فكان بيانها عن حقوق الانسان مستقىً من (مونتسكيو) وكتابه (روح الشرائع) ومن (لوك) وفكرته في وجائب الدولة ومن (روسو) واصراره على ان يكون السلطان الشعبي سلطاناً نشيطاً عاملاً لا شأن للسلبية فيه ، والظاهر ان روحه المتحمسة الوثابة كانت تنفعل من خمول الناس حواليها ومن وقوفهم وقفة المتفرج على الطوارىء المستحدثة تدفعهُ الى هذه الحملة المنكرة على الجمود كما تدفع كل مصلح اليوم في كثير من انحاء العالم العربي حيث معظم الناس يقنعون من محاربة الكوارث النازلة على رؤوس امتهم مثلاً باساءتهم فهم ما ورد « اللهم حوالينا ولا علينا » كأن المرء بحسب هذا التفسير المغلوط اذا رأى الشر في جيرانه وليس في بيته يسلم في النهاية من الشر او ان السنة النيران اذا اندلعت لا تتجاوز بيوت الظالمين الى الصالحين . فاين «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» من مثل هذا الموقف البارد ؟ واني لاعجب كثيراً من الذين اتخذوا الدفاع عن الاخلاق صناعة لهم كيف يعدون مذنباً من يقف متفرجاً على مسلوب ولا يلتصره ولا يعدون مذنباً من يرى أمة بأسرها تذبح كالشاة على قارعة الطريق في رابعة النهار ولا يحرك لسانه ببنت شفة في الدفاع عنها

وما اجمل تلك العظة البالغة التي كان يكررها رئيسنا المرحوم (هوردبلس) : «اللهم أغفر لنا ذنوبنا السلبية وذنوبنا الايجابية » وادفع عنا شر خطيئة ارتكبناها باقدامنا على فعلها أو لم نرتكبها بوقوفنا متفرجين على فاعليها من المجرمين الظالمين

الثروة في البحر

الراديوم والذهب والبروم والبترول واليود

«في الامواج ذهب» كذلك يقول احد المولعين بالبحث عن الكنوز. فلا يستغرب العلماء قوله بل يؤيدونه فيه. فيقولون ان في البحار كل ما يحتاج اليه الانسان. بل ان ثروة اليابسة لا تعدل جزءاً يسيراً من ثروة البحار. وقد خطب الاستاذ تيلور في معهد فرنكلين بفلادلفيا فقال: «سوف تتحقق الاجيال القادمة من ثروة البحر التي لا تنفد. ففيه اصناف متنوعة من المواد الكيمائية وثلاثة ارباع الاحياء التي على سطح الكرة الارضية، وقد يوجد فيه قوة للتحريك والتبريد. كل هذا يتحدى الكيماويين لابداع طرق تمكنهم من استغلال كنوز الماء»

﴿الراديوم﴾ ومن عهد قريب قدم الدكتور پيجُت Piggot تقريراً الى الجمعية الجيوفزيكية الاميركية عن رواسب الراديوم في المحيط الهادىء فذكر ان هذه الرواسب تحتوي من الراديوم على مقدار يزيد نحو اثني عشر ضعفاً عن القدر الذي تحتويه الصخور عادةً من الراديوم على اليابسة. بل يبدو ان هذه الرواسب تحتوي على اكبر نسبة عرفت من هذا العنصر الثمين. فاذا قدرنا وجود مثل هذه الرواسب في قيعان كل البحار بلغ مقدار الراديوم في الاغوار التي يغمرها الماء الف مليون طن! ولا يخفى ان العلماء في خلال الثلاثين سنة او تزيد التي انقضت على اكتشاف الراديوم لم يتمكنوا من جمع اكثر من ٦٠٠ جرام منهُ استخرجوها من الوف الوف الاطنان من الصخور. وثمن كل غرام منها قد يبلغ ١٥ الف جنيه او اكثر. فثمنها جميعها نحو تسعة ملايين جنيه. ولكن في قعر البحر ما قيمتهُ مئات الملايين من الجنيهات من الراديوم

على ان كل راديوم البحر ليس رواسب في قعره، بل ثمة مقادير منهُ محلولة في مياهه. فقد اسفر تحليل ماء خليج المكسيك عن وجود آثار للراديوم فيه ولكنها يسيرة جداً لم يتيسرها الباحثون الا بأدق الكواشف الكهربائية. بيد ان ذلك الاثر اليسير في مقدار معيَّن من الماء يبلغ نحو ١٦٠٠ طن من الراديوم في جميع مياه البحار والمحيطات. فاذا احجم الباحث عن الخوض في قاع المحيط الهادىء لاستخراج الراديوم فعليه بالراديوم، المحلول في الماء يستخرجهُ من اقرب الشواطىء اليه. ولكن استخراج اوقية من الراديوم يقتضي انتزاعها من تسعة امثال مكعبة من الماء. ولم نسمع حتى الآن ان مهندساً او كيماويًّا عني بوضع خطة للقيام بهذا العمل الضخم والدقيق في آن واحد

﴿الذهب﴾ والذهب ارخص من الراديوم، ولكنه اوفر منهُ مقداراً في مياه البحر. فالاوقية منهُ نحو ١٩ ريالاً فقط. وفي الاوقية ٧٣٧٢ قمحة. ويرى الدكتور آرثر لتل —

وهو كيماوي مشهور — ان «كل ذراع مكعبة من ماء البحر تحتوي على ١/١٠٠ من القمحة من الذهب» وهو مقدار يسير. ولكنهُ يعني ان كل ميل مكعب من ماء البحر يحتوي على قدر من الذهب قيمتهُ نحو ٤٠٠,٠٠٠ جنيه. فانت اذا وقفتَ في نافذة من فندق وندرُ بالاسكندرية واشرفتَ على البحر الابيض وقعت عيناك على قدر من الذهب يفوق كل الذهب الذي استخرج من بطن الارض حتى الساعة ولكنهُ محلول في الماء

ونذكر في هذا الصدد ان شركة تألفت في أواخر القرن الماضي لاستخراج الذهب من ماء البحر بطريقة استنبطها مؤلف الشركة القس ارنجان (Yarnegan). فبنيت المصانع على شواطىء ولاية ماين باميركا، وبدأت أوساق الذهب تنقل منها الى نيويورك في مقادير متوسط قيمتها ٤ آلاف جنيه كلَّ اسبوع. فارتفعت أسعار الاسهم في السوق المالية. ثم توقف ارسال الذهب فجأة لما بني مصنع جديد. ولدى البحث تبين ان القس الورع ساعداً كان يزجُّ برادة الذهب في المصنع الاول فيعاد استخراجه لدى تقطير الماء وتصفيته ...!

وقد عني الاستاذ فرتز هابر، الكيماوي الالماني المشهور ومستنبط طريقة صنع الامونيا من نتروجين الهواء، والفائز بجائزة نوبل الكيمائية سنة ١٩٣١، بموضوع استخراج الذهب من مياه البحار فبنى معملاً للبحث في سفينةٍ وارتاد بها مياه المحيط الاطلنطي من شواطىء لابرادور الى ما تحت خط الاستواء. واتفق مع ضباط السفن التجارية التي تمخر البحار على ان يرسلوا اليهِ نماذج من الماء في نواحٍ مختلفة من البحار التي يمخرونها. وقد حلّل حتى كتابة هذه السطور ما يزيد على ٥٠٠٠ نموذج من ماء البحر، فوجد اختلافاً بيّناً في محتوياتها الذهبية. والظاهر ان التقدير القائل بوجود عشر قمحة من الذهب في كل طن من الماء يصدق على المياه التي تجاور جزيرة نيوفنلند. اما المياه حيث يلتقي تيار لابرادور البارد بتيار الخليج الدافىء فقد وجد فيها نحو قمحة ونصف قمحة من الذهب في كل طن من الماء. اما المتوسط في سائر الانحاء فأقل مما تقدم. فمياهُ المحيط الهادىء امام مدينة سان فرنسسكو لم يخرج منها الاّ ٠,٠٠٠٢٤ من القمحة من كل طن ماء. اما بعض مياه المحيط الاطلنطي جنوب خط الاستواء فكان الذهب فيها اقل من ذلك. وقد خرج الاستاذ هابر من مباحثهِ بالنتيجة الآتية: لا «يرجَّح ان يصبح ترسيب الذهب من مياه البحار عملاً تجاريًّا رابحاً»

لكنَّ البحار واسعة وعميقة وتحتوي على نحو ٤١٨ مليون ميل مكعَّب من الماء، مباحة لقاصدها. وبراعة الكيماويين لا تقف عند حد. فاذا اعتمدنا اقل متوسط من الذهب وجده الاستاذ هابر في مياه البحار، ثبت لنا ان ثمة ثروة تقدر بملايين الجنيهات لرجل الذي يعرف ان يستخرجها، كما عرف هابر ان يستعمل النتروجين الذي في الهواء، وقد كان على كثرتهِ — لان اربعة اخماس الهواء نتروجين — مباحاً للناس فلم يعرف ان يستغله احد من قبلهِ

﴿ البروم والبترول والبوتاس ﴾ البروم عنصر سائل مخضرٌّ لامع ذو رائحة عنهُ في صناعة بعض

اصناف البترين وينابيعهُ نادرة. ففي الولايات المتحدة منطقتان ضيقتان في ولايتي اوهايو ومشيغن يستخرج منهما هذا العنصر الثمين. لذلك عنيت بعض الشركات الصناعية التي لا تستغني عنهُ باستنباط طريقة تمكنها من الحصول عليهِ اذا نفدت ينابيعهُ . والمعروف ان ماء البحر يحتوي على ٠٠٦ر من واحد في المائة من البروم. فعمد أصحاب هذه الشركات الصناعية الى البحث عن طريقة تمكنهم من استخراج البروم من ماء البحر استخراجاً اقتصادياً . فبني مصنع صغير للتجربة في بلدة «اوشن ستي» على شاطىء ولاية ماين ثم نقل هذا المصنع الى سفينة تتجول بهِ امام شواطىء ولاية كارولينا الشمالية . فاسفرت التجربة عن نجاح باهر. وتمكن المعمل من ان يستخلص بطريقة كيمائية بارعة البروم من سبعة آلاف جالون من الماء كل دقيقة فاستخرج من هذا العنصر الثمين ما قيمتهُ ١٠٠ الف جنيه في شهر واحد . وغني عن البيان ان ما في مياه البحر منهُ لن ينفد

ثم ان في الرواسب التي في قيعان البحار بترولاً وما يماثلهُ من الادهان . وقد وجَّه معهد البترول الاميركي عنايتهُ الى هذا البحث . فوفد باحثين الى نواح مختلفة من المحيطين الاطلنطي والهادي فاستخرجوا من رواسب قعرها نماذج كثيرة حللت بعد استخراجها ليعرف ما فيها من المواد العضوية والبترول . فثبت ان بعض الرواسب التي على مقربة من الجزائر الواقعة الى غرب لوس انجلوس — بغرب اميركا — استخرج منها ٧ر٢ الجالون من البترول من كل طن من الرواسب . واسفر البحث عن مثل هذه النتيجة في الرواسب التي استخرجت من قعر البحر امام شواطىء كارولينا الشمالية . اما الرواسب التي استخرجت من القاع امام ولاية نيويورك فلم يخرج منها الاَّ جالون ونصف جالون من البترول من كل طن. ولا يخفى ان طائفة كبيرة من العلماء تذهب الى ان البترول يتكون في قيعان البحار بتفاعل كيمائي بين المواد العضوية، وان كل مناطق البترول كانت قبلاً قيعان بحار. ومن اغراض هذا البحث معرفة طريقة الطبيعة في توليد البترول

ثم ان في الولايات المتحدة الاميركية صناعات انشئت على شاطئها الغربي لتستخرج من حشائش البحر البوتاسا والبوتاسيوم والبود، وهذه يمكن استخراجها مباشرة من ماء البحر واما استخراجها من الحشائش البحرية اسهل لان هذه الحشائش افعل من انابيق الكيماويين في استخراج اليود والبوتاسيوم من ماء البحر وخزنها في سوقها واوراقها. فنرجو لنا بساحر نباتي كالمستر «بربنك» يستطيع ان ينشىء لنا اصنافاً من الحشائش البحرية تستخرج الذهب من ماء البحر كما تستخرج هذه الحشائش اليود والبوتاسيوم. ثم ان الملح وبعض مركبات المغنيزيوم تؤخذ من البحر بتبخير مياههِ

ومن الآمال التي يرنو علماء التطبيق العلمي الى تحقيقها أمل استخدام قوة البحر — كما تبدو في الامواج وقوة المد والجزر والتيارات القوية والاختلاف في حرارة طبقات الماء — لادارة الآلات . وقد استنبطت لذلك وسائل مختلفة لم تصب من النجاح العملي ما كان مقدَّراً لها على صفحات الاوراق . ولا بدَّ ان يسفر البحث يوماً عن استنباط وسيلة كفيلة بسيطرة الانسان على ما في البحر من قوى محرِّكة عظيمة

الطبائع والامزجة

بين الرجل والمرأة

للاستاذ مصطفى الشهابي
مدير املاك الدولة بدمشق وعضو المجمع العلمي العربي

﴿ الطبائع والامزجة لدى الرجل والمرأة ﴾ يقولون ان النفس ليس فيها ذكر وانثى. وهذا صحيح لو كانت هذه النفس طليقة في غير جسد . فاما وحياتنا الجسدية هي من اكبر الدعائم التي تبنى عليها محاكمات الطبائع والامزجة فلا بد من وجود فوارق بين الجنسين في طبيعة كل منهما ومزاجه . واذا درسنا هذا الموضوع وجب التجرد عن العواطف التي تجعل بعضنا يميل الى المرأة وبعضنا يصدف عنها . فالمرأة ليست كما ينظر اليها بعض اصحاب الدين المتعصبين المتورعين اي مخلوقاً دنيئاً هو سبب الخطيئة الابدية وهو باب جهنم وزبانيا العُقربان وطريق الرذيلة ودودة القلب البشري الخ . كما انها ليست كما يصفها بعضهم بمثل مرآة العدل وباب السماء ومعقل الحكمة والاناء المعطى وغير ذلك من النعوت . ولا يجوز ان نجزم مع بعض علماء الانسان ان القوة العضلية ووزن الدماغ لهما التأثير الاكبر في تفريق امزجة الجنسين بل هنالك عوامل اخرى كثيرة يجب عدم اهمالها . فوزن الجثة وقياس الجمجمة وتقدير القوة العضلية لا تكفي وحدها للتفريق بين مزاجي الرجل والمرأة وقواها الخلقية والعقلية لأن الروح لا توزن بالرطل والكيلو غرام . والدليل على ذلك ان من اصغر الجماجم المعروفة جمجمة فولتير الشهير

ما برح الرجل يحكم لنفسه بالرجحان على المرأة . وهذا لا يستغرب عند ما كانت القوة المادية هي القوة العميا. ولطالما قال العلماء والفلاسفة الاقدمون ان المرأة ليست سوى رجل لم يتم نموه ولم يكمل . وظل هذا الرأي سائداً الى يومنا هذا فقد قال داروين في نظرية الانتخاب الجنسي ان في الذكر رجحاناً . وزعم سبنسر ان نمو المرأة وقف باكراً بسبب الحاجة الى الحمل والولادة والرضاع . فالرجل لدى داروين امرأة تمّ نموها . والمرأة لدى سبنسر رجل كف عن النمو . وقال عالم ثالث اسمهُ ولبو Valpeau ان الانثى انحطت عن ذكر قديم

وكل هذه الآراء تُعدُّ اليوم خطأً لا صحة له . وقد ثبت ان في النطفة الذكرية والانثوية مقادير قيمتها واحدة وان الجنين فيه كميات متساوية من مادتي الاب والأم

واول فرق حقيقي بين الذكر والانثى يكون في فجر الحياة الحيوانية والنباتية . فهنالك نرى خلية صغيرة فعالة هزيلة غير كاملة لا يمكنها النمو وحدها وهي الخلية الذكرية . ونرى خلية

اخرى غشاء مختلفة غذاء قليلة الحركة ناقصة كالاولى وهي الخلية الانثوية . ومن المعلوم ان الجنين يحصل من اتحادهما . فالفرق بين الجنسين كما ترى هو في الاساس اي في خلايا يزيد فيها التمثيل على الافراز او الادخار على الاستهلاك وهي الخلايا الانثوية واخرى على العكس من ذلك وهي الخلايا الذكرية والغذاء هو من اكبر الاسباب التي تدعو الى تكوّن الذكر او الانثى. والانثى ليست اذن جنيناً وقف نموه بل هي بالعكس جنين تغذى غذاءً كبيراً وذلك في كثير من الاحيان . والادلة على ذلك كثيرة منها تجارب (يولف) في الضفدعيات اذ توصل بالغذاء الجيد ان يزيد عدد إناثها حتى بلغت ٩٢في المائة بدلاً من ٥٦ في المائة .وقد جُربت تجارب عديدة كهذه في النمل والنحل وحشرات شتى فأسفرت كلها عن نتيجة واحدة وهي ازدياد الاناث بتجويد اغذية اليرقات قبل انفرادها في الجنس والعكس بالعكس. وخلية الانثى تكون بطبيعتها ميالة الى السكون والاناة وعدم التجزئة على عكس الخلية الذكرية فهي طبيعتها ميل الى الحركة والتنقيش والبحث . فطبع الخلية الانثوية كطبع الانثى نفسها اذ تتطلب الحياة الساكنة في مكان هادىء جعلتهُ الطبيعة بيئة لنمو الاولاد وعشا لحياة الصغار

واذا ما انتقلنا من الخلايا او النُسُف الى الحيوانات النامية نجد الشيء نفسه اي نجد ان الذكور اكثر فعالية من الاناث وان حرارتهم اشد وانهم اسرع الى الاضمحلال. وفي مختلف اجناس الحيوان امثلة كثيرة على ذلك . ونجد في الحيوانات العليا وخصوصاً في الانسان فروقاً عظيمة بين الجنسين . فالمرأة في استدارة نسجها وقلة الفعالية في خلاياها ونمو صدرها وحقويها مثال للكائن الذي زاد فيه التمثيل على الافراز والذي أُعد لتغذية الجنسين والتناسل. ونجد نموًّا في اجزاء الجهاز العصبي المتسلطة على حاسة المرأة اما في الرجل فنجد ان اجزاء الجهاز المتسلطة على الاعمال العضلية والعقلية هي الاكبر نموًّا

﴿ الحس لدى الرجل ولدى المرأة ﴾ تختلف الامزجة في الذكر والانثى على رأي «الفرد فويه» بحسب اختلاف تركيبهما الفسيولوجي لا بحسب الصدفة المنبعثة عن الانتخاب الطبيعي أو الجنسي. اما عمل هذا الانتخاب فهو انه يزيد التوارق بينهما مع الزمن فيكون سبباً منضمًّا الى الاسباب الفسيولوجية المذكورة

فالفعالية الخارجية المنبعثة عن قوة جسدية تستلزم في الرجال وجود الشجاعة الروحية ويفسر داروين وسبنسر شجاعة الذكور بأنهم ما برحوا يقاتلون للقوت وللحب لذا تغلب الشجعان وخلدوا الشجاعة في جنسهم . لكن الفرد فويه يتساءل لماذا يقاتل الذكور دون الاناث ولماذا أختص كل بوظيفته ولا سيما في شئون الحب . وهذا يضيف ان السبب هو في تكوين الذكر وتكوين الانثى . فالذكر له شجاعة تتمثل في الخارج اي في الاعتداء اما الانثى فلها شجاعة على تحمُّل آلام الحمل وعلى الاحتفاظ بصغارها تفوق شجاعة الرجل . وشجاعتها ثابتة

فهي صبور ساكنة تسير نحو هدفها بتؤدة وبلا انقطاع . اما الرجل فصخّاب قليل الصبر . وكل ذلك في دمه وفي دمها على رأي «الفرد فويه» لا بتأثير الانتخاب الطبيعي

والمرأة اثبت في عواطفها وحبها من الرجل والسبب واحد اي ما ذكر . وهي ابعد عن عاطفة الانانية منه لان الذكر في تركيبه ميّال الى الانفراد على عكس الانثى فهي ميالة في تركيبها الى التضامن . ولما كان الذكر اكثر حركة واشد مضاء واعم تجارب واقرب من الآراء المتغايرة والافكار المختلفة من الانثى وكان كل ذلك يتطلب اتفاق قوة دماغية وقوة عضلية كبيرتين لذلك صار دماغ الذكور اكبر من دماغ الاناث . لكن هذه تفوق الذكور بدقة الحاكة وبالنظرات الثاقبة وباساليب الحيل . ولما كانت وظيفتها الانتظار والملاحظة والتنبؤ دقّ دماغها داخليًّا . وترى هذه الطباع متجلية في الحيوانات العليا اي في الرجل والمرأة . فالمرأة طابعها الحس ولها مزاج الحسّاس . اما الرجل فطابعه الحركة وله مزاج المقدام . ويكثر في الرجال الحساسون السريعو الحركة وهم الدمويون . اما في النساء فتكثر الحساسات العميقات الحس وهنّ العصبيات . ويكثر لديهم الفعالون السريعو العمل وهم الصفراويون كما يكثر لديهنّ الفعالات البطيئات العمل وهنّ صاحبات الدم البارد أو صاحبات البلغم . والمرأة أقوى عاطفة واشد تأثرًا وحسًّا من الرجل . وهي اعرف منه بشدة الالم وانواعه . لكنّ ألمها لا ينفجر كألمه ولا يحملها على اتيان اعمال اليأس المريعة بل يظل هذا الألم كامنًا في اعماق نفسها . ويتجلى فرط حسها في الحب . فالحب لدى الرجل سرور الحياة اما لديها فالحب هو الحياة . وعلاقات الحب بينها وبين الرجل تكون لديها اهدأ واسمى واثبت وأقل شهوة منها لدى الرجل . وهذا ناتج عن تركيبها ومزاجها . وهو يكون في الأعم من الحالات . لكنه من البديهي ان يكون لكل قاعدة شواذ تستلزم اتهام المرأة بالتقلب والخفة على حد قول المتنبي

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد

ومع هذا لا شك ان خفتها تنسب عن اعمال الرجل في كثير من الاحيان فيكون اللوم عليه . ويقابل حب المرأة للرجل اثبت ما فيه من صفات اساسية جسمانية كانت أم روحانية . وهي اجمالاً اقل تطلبًا لجماله منها لقوته الجسدية والعقلية ولخاصة لمزاياه الخلقية . ويظن الفريد فويه ان الشعور بلزوم اداة دائمة وثابتة للأسرة والنوع هو ما يفسر احترام المرأة الجاهلة لقوة الرجل الجسدية واحترام المرأة المتعلمة لقوته العقلية والخلقية . وميلها الى الحياة الداخلية الهادئة يجعلها تخضع لقوة الرجل المعد للتنازع خارجيًّا ، كما ان غريزة الامومة فيها تجعلها تدرك الفائدة التي يستفيد منها الاولاد اذا كان لهم ابوان قويّان جسماً وعقلاً

وهي ميالة الى ارضاء الرجل ولها ذوق دقيق في التجمل لهذا الغرض بل هي آية عند ما تصنع نفسها وتبرقها . ولا شك ان قانون الانتخاب يجعل اعلمهنّ بهذه الامور اقدرهنّ على

العيش لكن هذه الغريزة في المرأة منبعثة عن انها ضعيفة الجسم لا تتطلب الرجل بل هو يطلبها ولذلك لا بدَّ لها من ارضائه . ثم من البديهي ان يكون في كل حي غريزة الاحتفاظ بمزاياه الطبيعية وتنميتها . فالمرأة تعرف ان من اكبر مزاياها الجمال والتجمل فكيف لا تتشبث بهما مع علمها بأنهما مدعاة الى حب الرجل لها . فيستنتج من ذلك ان من مزايا المرأة الاساسية حب الجمال الشخصي اي عبادة الجمال في شخصها وهي مزية وراثية ثمينة يجب الاحتفاظ بها للنوع الانساني . وفي حياء المرأة وخفرها جمال وجلال ، لان شعورها باحترام نفسها ماديًّا وتعلقها بالخيال السامي وبالمثل الاعلى تجاه الحقائق المادية الدنيئة كل ذلك يجعل حبها شريفاً ساميًا ويحدو بالرجل الى مشاركتها بالترفع عن الحب المادي أو بعدم الاقتصار على هذا النوع من الحب على الاقل

أما تعلق الامهات بأولادهن فأسبابه على رأي سبنسر حبهنَّ للضعيف . وهذا ما لا يقرُّه الفرد فويه فهو يرى ان حب الآباء والامهات للاولاد هو اولاً حب ذاك الذي سيكون امتداداً لشخصيتهم وخلقاً لها ثانياً حب ذاك الذي يمثل النوع ثالثاً حب الذي سيكون عن قريب رجلاً . ويكون حب الام للولد اعمق من حب الاب لانها حملته وغذته من دمها ثم من لبنها فهي اشد رؤية لنفسها فيه . أما شوبنهور فيرى ان عناية النساء بالاطفال سببها كونهنَّ وضيعات العنصر محدودات العقل يلبثن كل حياتهنَّ اولاداً كباراً . وهذا ما يهزأ به الفرد فويه اذ يقول ان الأم اذا تعهدت طفلها وكانت احسن من يتعهده فلأنها امٌّ تحب وتضحي لا لأنها ولد . وتدل الاحصاءات على كثرة الاولاد الذين يموتون بسبب تعهدهم من قبل غير امهاتهم . ذلك ان الامهات وحدهنَّ هنَّ اللواتي يعرفن نسيان شخصيتهنَّ فالاخلاص لديهنَّ ليس طبيعة ثانية بل الطبيعة الاولى . والأم لا تتعهد الطفل تعهُّداً ماديًّا فحسب بل هي الوحيدة الصالحة لتربيته عقليًّا وأخلاقيًّا . فكلامها وعملها هما اصلح درس له في سنه التي تسود فيها غريزة التقليد . وكان (كانت) يردد في شيخوخته ان امه هي التي اوجدت في نفسه ما ربما كان فيها من ميل الى الخير . اما تشبيه المرأة بالولد (وهو شيء يردده الكتاب كثيراً) فهو غلط لا يقره علم الحياة ولا علم النفس . ولا شك ان صفات مشتركة بين المرأة والولد وهي زيادة التمثيل وفرط الحس في كليهما لكن هذه الصفات تبدو فيهما على اشكال مختلفة . ففرط التمثيل لدى الولد يُستخدم في نموه المادي والعقلي ولذا تراه يحب الأثرة والأنانية . اما المرأة فعلى العكس من ذلك فان عواطفها تميل إلى الغير وهي تستخدم قوى التمثيل لفائدة الأسرة والنوع . ثم اذا كان الحس في المرأة يفوق العمل كما في الولد . فالفرق بينهما بيّن ايضاً . فمشاعر الولد الضعيفة البسيطة تجعل حسه سطحيًّا وتجعله هو سريع الانفعال . اما المرأة فمشاعرها مستقيمة مختلفة . وقلب المرأة قد نما وتكامل اما قلب الولد ففي حالة جنين

وقد طعن بعض العلماء المرأة في اهم صفاتها كحب الولد وحب الزوج فقال الدكتور غوستاف لوبون ان حب الولد لدى بعض الحيوانات اعظم من حبها لولدها . فهنالك حيوانات اذا فقدت اولادها ماتت على أثرها وهنالك طيور اذا فقدت أنثاها اليفها قتلها الحزن عليه. ويستنتج بعض العلماء من ذلك ان المرأة تمثل في ذلك احطّ شكل من تطور البشر. قال الفرد فويه ان الامر على العكس مما ذكر اي ان حب النسل لدى الحيوانات يمثل شكلاً سامياً من التطور . فاذا وجد هذا الحب منذ ما وجدت الامهات فهل يجب أن يدعو ذلك الى تجاهل قيمته وجماله . ولنقارن ذلك بما لدى الرجل من صفات يفوق المرأة بها كالقوة المادية مثلاً فهلاّ نرى انها ترجع هي ايضاً الى طبقات التطور الدنيا . أفلا ترجع شجاعة الرجل الى حقبة ما قبل الطوفان ثم اليس الوحشي اشجع منا وكذا الاسد فهل يجب لذلك السبب ان نطعن بالشجاعة وبالقوة الجسدية . وقال هل النهار يمثل الشفق (النور الضئيل) أم الشفق يدل على النهار

﴿ التفكير لدى الرجل والمرأة ﴾ — اذا فاقت المرأة الرجل بالشعور والحس فهو يفوقها بالتفكير أو ببعض نواحيه لأن قوى المرأة منصرفة الى حياة النوع ولهذا قلّ فيها نمو ما يلزم للحياة الفردية من قوى عضلية أو دماغية . فترى اعضائها الصالحة للاعمال الخارجية وأوعيتها الصدرية كلها اصغر من مثلها لدى الرجل . وكما صغرت هذه الاعضاء الصالحة للحركة فقد صغر ايضاً الدماغ الذي يحركها . فجمجمة الرجل اكثر شبهاً بجمجمة القرد والوحشي والهرم اما جمجمة المرأة فكجمجمة الولد . لكن حجم الجمجمة ووزنها ليسا كل شيء فهما اولاً متناسبان مع حجم الجسم ووزنه . وهما ثانياً يدلان على صفات هذا الجهد . وهذه الصفات تابعة لتلافيف الدماغ ولامور كيماوية وكهربائية لم ندركها بعد ، ولا شك ان دماغ المرأة في يومنا هذا (على رأي كثير من العلماء) اقل مقدرة على الجهود العقلية العظيمة المتمادية من دماغ الرجل لكن ذلك لا يضير المرأة ما دامت وظيفتها في الاسرة تتطلب نمو الحياة القلبية والقوى الخلقية بدلاً من نمو الحياة العقلية والقوى الدماغية. واذا اسهبنا في ذلك قليلاً نقول ان مقدار المجهود العقلي ومدة دوامه هما لدى الرجل اكبر منهما لدى المرأة اجمالاً اي انه يفوقها بمقدار التفكير. اما من حيث صفات الجهود العقلية فان كل شيء يتطلب الحذاقة والدقة والذوق اي كل شيء يلزمه حسٌّ مفاجيء فالمرأة فيه ارجح من الرجل . اما ما يتطلب التجديد في التفكير والاختراع والجرأة والاقدام والمثابرة فالرجل فيه صاحب الرجحان على المرأة . وهنالك جهود عقلية تحتاج الى اجهاد الدماغ والى حصول حركة قوية في ذراته كالمقابلة في العلم والتعميم واستخراج القواعد المطلقة والاستنتاج الفكري فهي كلها مما يرافق الرجل خاصةً بحسب طبيعته . والمرأة اقدر على تصور الافكار الخاصة منها على التعميم والاطلاق . وهي اتقد بصراً منه لكنه اكثر استنتاجاً منها . والمرأة الحاذقة الصناع

تعرف ان تريك كيف تصنع لكنها قليلاً ما تتمكن من وصف عملها أو إتيانه . وهي اجمالاً قادرة على التحليل العقلي كالرجل لكن هذه الصنعة ليست مما تراح له طبيعيًّا . والافكار والصور في حافظتها اثبت منها في حافظة الرجل لان قابلية الانفعال والتخيل فيها تجعل ذاكرتها اشد حفظاً للوقائع ولا سيما التي تسر بترديدها على الناس . وهي (لاسباب أخرى مماثلة) أطوع من الرجل في تلقي المعارف وابسط منه في تصديق الذين تثق بهم . ولها تصورات مخدمة وثابة لانه بقدر ما تقل الجهود الخارجية في الانسان تكثر الصور الداخلية في مخيلته . ولما كانت المرأة صاحبة حس وتصورات رأيتها كثيراً ما تنقاد للعواطف بدلاً من الافكار العامة المطلقة . لان دلائل القلب لديها اقوى من دلائل العقل

والعبقرية تستلزم بذل قوى كبيرة ويجب ان يكون في العبقري ارادة متينة وجسارة خارقة ربما ادَّت به الى اسوأ الحالات احياناً . ولهذا كان معظم العباقرة من الرجال . ومهما اجهدت المرأة دماغها ومهما كانت قوتها على التفكير عظيمة فان في طبيعتها تردداً وحشمةً وجبناً تثنيها عن الاقدام على عظائم الامور

وفي باب العلوم ايضاً لا تكون الاختراعات العظيمة (وهي ثمرة الجهود الجبارة) من الامور التي تميل اليها النساء طبيعيًّا . والمرأة قليلة الجلد على تحمل بطء التحليلات العلمية وما تستلزمه من التجويد في استخراج النتائج ووضع القواعد العلمية المطلقة . وكثيراً ما تغلط في استنتاجاتها العلمية بسبب الافراط في تصوراتها وبسبب بساطة افكارها . وقد يحتاج تقدم العلوم إلى تركيب النظار (نظريات) واسعة تعقب التحليلات العلمية وتكون تتمة لها . فهذا التركيب الذي يتناول آفاقاً عديدة هو مما يختص به الرجل اكثر من المرأة . ويجب ان لا يستنتج من ذلك كله انه ليس لدى النساء عبقريات أو انه ليس بوسعهن تعلم العلوم المختلفة . فالذي نشير اليه هو ان النابغات في هذا العدد أقل من النبغاء دائماً . وكما انه يمكن ايجاد نساء ملاكمات كذلك يمكن ايجاد رجال يعطفون على اولادهم في القحط حتى تدر ثديوا تهم اللبن . لكن هذه أمور استثنائية غير طبيعية . فالمجهود العقلي الطبيعي لدى النساء هو الذي يجوز ان يوجد في اوساطهن ولا يضر بولادة العدد المرغوب فيه من الأولاد الاصحاء وارضاعهم وتربيتهم . أما إذا صرف نساء طبقة ما من طبقات الشعب جهوداً عقلية عظيمة حتى أدى ذلك إلى ضياع هذه الطبقة فتكون هذه الجهود ضربة تصيب وظائف المرأة الطبيعية في صميمها . ومما لا ريب فيه إن العباقرة من الرجال هم أيضاً قليلو العدد وهم يعدون شواذ إذا قيسوا بالمجموع لكن وظيفة الرجل وأعماله في الحياة الاجتماعية ان لم تتطلب منه ان يكون عبقريًّا فهي تستلزم ان يكون لديه قوة على التفكير وجلد على العلوم مما ليس ضروريًّا للمرأة بل ربما كان مضرًّا بوظائفها الاساسية احياناً . فالمرأة لم تخلق لان تكون عنقرة النسيي في قوته العقلية ولا ان يخدون

في تفكيره العقلي ولهذا نرى النابغات منهنّ ينبغنَ في الفنون الدقيقة وفي علم النفس مثلاً ولكن قلما نرى بينهنّ صاحبة اختراع او تجديد او مذهب في العلوم والفنون . ومهما يكن فرجحان المرأة على الرجل يكون بالاخلاق الفاضلة فهي نابغة بالحب والعطف والاخلاص وهذه خير ما تباهي به اذ ما اعتز الرجل بتفوقه العلمي

﴿ الارادة والصفات الخلقية في الرجل والمرأة ﴾ ارادة الرجل اقوى من ارادة المرأة في الجملة . والمرأة في غريزتها ميالة الى هبة نفسها للغير والاخلاص لهم . وذكر سبنسر ان هذا الميل فيها يتناول الافراد فتطمع انهُ كثيراً ما يتعداه للقضايا العامة . ولذا نرى بينهنّ اللواتي جدنَ بانفسهنّ في سبيل القضايا الوطنية او الانقلابات الاجتماعية والدينية الكبرى كاللواتي استقبلنَ الموت برزانة في الثورة الفرنسية وفي محاكم التفتيش الرهيبة . ولا شك ان المرأة ترجح الرحمة على العدل في كثير من الاحيان وذلك لفرط احساسها ولانها لا تميل الى صرف ذكائها في التحليلات الفردية الجافة بل تتناول الناس كافة بعطفها وهو توسع غريزة الامومة فيها . ثم بعد هذا نحن لا ندري هل العدل المطلق هو أسمى شيء ام الخير اعدل من العدل

والمرأة أشد تديناً من الرجل إجمالاً . وليس السبب في ذلك خضوعها للقوة دائماً كما يفكر سبنسر بل هو عدم ميلها للشك بمقتضى قلة الارادة فيها . فهي لا تريد الشك بكل ما هو مسلم بهِ دينيًّا وعلميًّا وسياسيًّا . وهي تحب الدين لا خوفاً من قوة الله في الغالب بل حبًّا بخيره وإحسانهِ . ولما كان الحسّ سائداً في المرأة وكان الميل فيها للعلوم اقل منهُ لدى الرجل بسائق الطبيعة والتربية وكانت الاخلاق الفاضلة ولاسيما الاحسان والرأفة من اهم ما تتحلى بهِ أصبح من الطبيعي ان تتسنى فوق هذا العالم عن عدالة حية وحب شامل . ولا بد لنفس كهذه ان تكون متدينة

لكنها ربما افرطت في الاعتقادات الدينية حتى راحت تتبع الخرافات التي ينبو العقل والدين عنها . وهي في هذا تتساوى مع الرجل او تفوقهُ . فكما اننا نجد رجالاً يصمنَ في النهار وينصرفن الى غرامهنّ في الليل وذوات أزواج يستسهلنَ الفسق ولكنهم لا يسمحنَ للعشاق برؤية شعورهنّ اعتقاداً بأن ذلك وحده يفسخ عقد الزواج ، كذلك قرأتُ عن لصوص من الرجال يذهبون الى الكنيسة متضرعين إلى الله أن يوفقهم في سرقة البيت الفلاني ولو ادى ذلك إلى قتل صاحبه . وأعرف سيداً يلعب « البوكر » في النادي الكبير بدمشق حتى إذا أذن المؤذن قام فصلى بجانب اللاعبين ثم عاد الى اللعب . فقلت له مرة ماذا تبتغي من الجمع بين الميسر والصلاة في مكان واحد فأجاب أتضرع إلى الله في صلاتي ان يوفقني في لعبي او ليس الله اقدر على ذلك من الحظ الأعمى الذي تتضرعون اليهِ وتستجيرون بهِ . فقلت لكن الله ينهى عن الميسر فكيف تعصاه ثم تطلب منهُ التوفيق في المعصية . فقال هذه امور لا يفهمها امثالكم

ومن البديهي أن خرافات كهذه لا مثل لها في الاسلام ولا في النصرانية وكلاهما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والامة مدرسة طبيعية للحنان والتجرد عن الشخصية فالتي ترضى بأن تكون أمًّا تكون قد رضيت بأنواع العذاب. ولا يمكن تصور اجتماع الجريمة والامومة في شخص واحد ولذلك تقل الجرائم لدى النساء . وأكثر ما يتقدمن عليه منها الاجهاض وقتل الطفل والتسميم وفي هذه الحالات ربما كان الرجل هو الدافع الى هذه الجرائم. أو ربما ساقها اليها شعور الشرف او الحياء .ولكن عجز المرأة اخلاقيًّا وعقليًّا هو الذي يقعدها عن الاجرام كما يدعيه بعض المؤلفين بل السبب صفاتها الطبيعية كالحس والرأفة وحب السلام أضف اليها قلة تعرضها للرذائل في حياتها الخاصة وميلها إلى الجمال وما يستلزمهُ من صفات خلقية تستميل الرجل بها

***

﴿ الخلاصة ﴾ الرجل مساوٍ للمرأة وكلاهما يتمم الثاني . فهو اقوى منها ماديًّا وعقليًّا وهي ارجح منهُ بالاخلاق الفاضلة . ويقولون هو اثمن منها بالكم وهي اثمن منهُ بالكيف . فاحتقار المرأة شيء حقير بذاته . وهل يزدري اللونُ الأحمرُ اللونَ الأخضرَ عند ما يتحدان في الشعاع الأبيض . أو هل يأنف الأوكسيجين من الامتزاج بالهيدروجين في توليد الماء القراح. فاذا كفَّت النساء عن الاخلاص والتفاني في سبيل البيت والأسرة والأولاد سرعان ما نرى مخلوقات بلا اخلاق ونرى الحب قد أصبح شهوانيًّا محضاً والنسل قد عمَّ وانتشرت توابعهُ من إجهاض وقتل أطفال واتهامهم في الطرقات والملاجيء . والمرأة ما برحت ربة الأسرة . وهي ستظل درتها اللامعة ما دامت راضية بان تكون أمًّا . وعليها بان تتعلم العلوم التي لا تنافي امزجتها وحرمة نوعها كما يجب ان تؤهلها تلك العلوم لاتقان الحياة المنزلية خاصةً لانها هنالك زوجة وام ومربية . فعلم الاخلاق والتربية وحفظ الصحة وآداب اللغة والتاريخ والجغرافيا والحقوق المتعارفة والرسم والموسيقى وخلاصة العلوم العملية هي مما يُعد اكثر ملاءمة من غيرها لطبيعة المرأة ولوظائفها السامية في الحياة البشرية . وعلى رجالنا في الشرق العربي ان لا يقيدوا المرأة بقيود ثقيلة الوطأة وان لا يحرموها من نور العلوم اللازمة لقيامها بواجبها الجنسي ، كما ان على المرأة ان لا تتجاهل واجبها وان لا تظن ان العمل بغريزة التجمل والتبرج فيها هو كل ما تطلبهُ منها . فربَّ حسناء كالبدر ما حادثتها فترة حتى اطلقت ساقك للريح من فرط جهلها . وربَّ اخت لها تكاد تعد دمية لكنها تحرك بعلمها وبحسن قيامها على وظائفها .وربَّات النساء هي التي تحلت بالهم سجاياهنَّ أي بالحس والشعور والأخلاق الفاضلة يدعمها جمال وتجمل وعلم بشؤون هذه الحياة

الهيام بالذات

بحث نفسي

في الاساطير اليونانية ان نرجساً Narcissus كان فتى غرانقاً هيّأت له الطبيعة من وسامة الوجه وقسامة الملامح ما لم تهيئه لغيره، فكان فتنة العين وبهجة الخاطر. ولكن صروف الدهر أبت ان تهيىء له ليجتلي هذا الجمال الآذات يوم اذ رأى من كثب غديراً صافياً فيممه ليرد وشاهد هناك على صفحته الصقيلة صورته معكوسة. فرأى — اذ شاهدها — ما بهره وأفعم نفسه حسرة على هذا الجمال الضائع. واثنى شارد اللب مبلبل المشاعر، ووقع من نفسه في نفسه ما ضيّق افق نظره والهاه عن الحياة وصرفه عن التفكير الا بهذا الجمال الذاهب سدًى. وتولاه ما يتولى العاشق الولهان عادة من سهوم ووجوم، وتضاعفت حسرته على هذا الجمال القريب البعيد، وانتهى اخيراً الى ما ينتهي اليه اكثر العشاق المدلهين من ضعف وهزال أودى بحياته فراح ضحية محاسنه

وهكذا انتهت حياة هذا العاشق الغريب، ولكن اسمه اضحى علماً لكل اعجاب بالنفس مسرف. وقام علم النفس الحديث يستنطق مجرأة غوامض الميول النفسية ويسبر اغوارها ويتحسس نوازعها فلحظ هذا الميل ووهبه من عنايته ما صيّره موضوعاً تتجه اليه نظرات الاستغراب والتفحّص. وقد وجّه فرويد وتلامذته عنايتهم الى دراسة هذا الميل، فانتهوا — كعادتهم — الى نظرية تردّه الى الشذوذ الجنسي، وهي الناحية التي يبالغون عادة في صبغ الوانها وحشد كل ما يتسنى لهم حشده من مظاهر النفس فيها. واضحى اسم هذا العاشق وما يُشتقّ منه في لغة فرويد مرادفاً لناحية غريبة من نواحي الشذوذ الجنسي

***

ولو كان هذا الميل بمعناه العام، وهو الهيام بمحاسن النفس مقصوراً فقط على ما يتّ الى الجنس بحق لنا ان نحسبه ميلاً شاذًّا لا يصيب جميع الناس على السواء، ولكن الواقع الذي لا ينكره الاختبار ان الهيام بالمحاسن الذاتية ايما كان نوعها والانقطاع الى التفكير فيها والاهمال النسبي او المطلق لكل ما عداها، هو ميل عام في صميم الحياة البشرية — تختلف

النسبة الناس فيه باختلاف امزجتهم واستعدادهم والبيئات التي تلابسهم ، ولكن شخصاً واحداً لا يصدمُ نصيباً من هذا الميل قلَّ ام وفُر هذا النصيب. واذا ظهر هذا الميل في بعض الناس بمظهر المبالغة في النمو فذلك انه قد يكون من احوال المحيط او من احوالهم الشخصية ما هو السبب في هذه المبالغة في النموّ . فالثابت ان المرض يقوّي هذا الميل في الناحية التي يكون فيها الهيام بالنفس في جزءٍ من اجزاء الجسم . فالمريض في زمن المرض او بعد الانلال لا يكاد يعنيه من امور الحياة الا ان يرى وجهه تعود اليه نضارته وبهجته اللتان كانتا له قبل المرض ، وتصبح المرآة اداةً ملازمة لهُ في من حياته الى ان تعود اليه صحته وتلهيهُ مهام الحياة عن التوجه بانتباهه الى هذه الناحية في جسمه . وعلى كل ليس المرض هو الحافز الوحيد لاثارة الاشفاق على الجسم . ويكفي ان يتناول مؤثرٌ من المؤثرات شخصية امرىء بالتبديل حتى تثور ثائرته، فلا يستقرّ له قرار الى ان تعود اليه معالم شخصيته . وقد جاء في كتاب الف ليلة وليلة ان حسن الاسكاف بُدِّل بطريقة سحرية شخصاً آخر هو الخليفة عينه . فأضحى نافذ الكلمة يأمر وينهي ويتمتع بكل ما يتمتع به الخليفة . ولكن خطر له ، وهو في ايّان نشوته ، انه اصبح شخصاً آخر ولم يعد حسن الاسكاف ، فثارت ثائرته عند هذا الخاطر وأخذ يتلمس نفسه مهتاجاً الى ان ايقن انهُ لم يزل هو هو لم يتغير . عندها طاب له ان يمضي في متعه ولذاته . وهذا الذي احسَّه حسن الاسكاف يحسُّه كل شخص حينما تهدَّد شخصيته على ما نعتقد . فهذا الجسم الذي يصحبنا ما يصحبنا ويعاشرنا ما يعاشرنا ويلوِّن معنا من حلو الحياة ومرّها ما يلوِّن يعزُّ علينا ان نبدّله حتى ولو حقق هذا التبديل اقصى خيالاتنا وأبعد احلامنا . فنحن — كما يقول نتشه — لا يطيب لنا العيش ولا نستشعر السعادة الا في حدود شخصيتنا . ليس هذا فقط ، بل نحن كثيراً ما نسعى ونتشوَّف لان نصبغ الاشياء التي تحيط بنا بصبغة منتزعة من شخصيتنا . والفنان هو اقدر الناس على ذلك ، لان في يده الوسيلة التي تعينه على ذلك . ويذهب بعض النقّاد الى اننا إنَّ درسنا مخلَّفات الفنانين العظام نجد ان اصحابها يميلون ميلاً ملحوظاً ليظهروا انفسهم في صورهم وتماثيلهم . ويقول مرجفسكي ان لينواردو داڤنشي قد اثبت نفسه على قماش صورة الجوكندا الشهيرة ملمحاً غير يسير من شخصيته ذاتها

***

وقد يصاب المرء بعاهة جسمية ملازمة فيكتنفه من الالم والحسرة ما يجعله يزداد توجهاً الى السالم من جسمه يوليه عبادته وهيامه ؛ كالمرأة التي تفقد احد ولديها فتزداد عكوفاً على الآخر وتعلقاً به . ولا نستطيع ان نفسر اعجاب لورد بيرون بوجهه ذلك الاعجاب الشديد الا اذا ادركنا أنه كان اعرج يحاول جهده ان يُضفي بجمال وجهه على هذا العرج

وقد لا يرفق المصاب بعاهة جسمية — كما ونق بيرون — الى بديل من العضو المصاب ليُضفي باكتماله على ذلك العضو ، فيتجه الى الناحية النفسية او العقلية يوليها هيامه وافتتانه . والتعاظم وهو ما يسمى بالانكليزية Megalomania هو شكل واضح من اشكال الهيام بالمحسنات العقلية او النفسية . وهو — لذلك — اظهر ما يكون في اصحاب العاهات الجسمية . فتراهم بعد ان تخذلهم اجسامهم يتوجهون الى الناحية النفسية او العقلية يتحسسون كل صفة من صفاتها ويقيسون كل ملكة من ملكاتها . فاذا ظهر لهم انهم على شيء من البروز في بعض هذه الصفات او الملكات عمدوا إلى الغلو في تقديرها وبالغوا في التفطن اليها واكثروا من التحدث عنها . ولا يُخامرك انهم في هذا يقولون خلاف ما يعتقدون او يقدرون لأنفسهم فهم مخلصون في ذلك كل الاخلاص ولا يهمهم اكتسبوا عطف الجمهور وتقديره ام خسروه كما في كثير من حالات الدفاع عن النفس الذي يتجه غالباً الى ارضاء النفس عن طريق ارضاء الغير عنها . ولهذا السبب عينه لا نشعر بهذا الميل في سلوك الناس واضحاً . فهو غالباً لا يتخذ صفة الاندفع والبروز كالدفاع عن النفس الذي يتحدّى غالباً مشاعر الناس ويثير انتباههم

***

على اننا نود ان نشير الى ان غير المصابين بعاهات جسمية لهم نصيبهم من التعاظم ايضاً . فالممثل الذي يبدع في تمثيل احدى الشخصيات التاريخية البارزة يجد من نفسه ميلاً الى صاحب تلك الشخصية ويستشعر كثيراً من الارتياح في اعادة مظاهرها في سلوكه . وهو اذا اعادها لا يعيدها شاعراً بانهُ ممثل مقلّد ليس غير ، بل هو يعيدها وكأنها جزء متمكّن من سلوكه ، فهذا نابليون في مظهره وذاك هنري الثامن في مسلكه وثالث لويس الرابع عشر في احاديثه وهكذا

وقد تقترن نزعة الدفاع عن النفس بالهيام بالذات . ولكن من السهل التفريق بينهما فالدفاع عن النفس يتجه الى ارضاء الناس واكتساب تقديرهم والهيام بالذات يتجه الى النفس في جميع اشكاله . وهذا يفسّر لنا اجمالاً لماذا لا نرتاح الى النظر الى انفسنا في صورة زرية او وضع شاذ رغماً عن ان عيناً واحدة لا تَرانا . وقليلون حقاً هم الذين يستمرئون الوقوف امام مرآة محدّبة او مقعّرة تعكس صورهم شوهاء مقلوبة رغم اقتناعهم بان هذه الحالات من التشويه هي حالات زائلة غير ملازمة . وقد ينفرد احدنا بنفسه في محل قفر فيجد من نفسه ميلاً الى اطلاق هذه النفس على سجيتها ويحب ان يتخلّص ولو قليلاً من اسر العادات والتقاليد ، فيشرع يأتي من الاصوات بكل نابركريه ومن الحركات بكل شاذ غريب . ولكن لا يلبث ان يثوب الى رشده بعد ان كان اقرب الى الخيال والجنون منهُ الى العقل ، ويستولي عليهِ شعور عميق بالخجل يعيده حالاً الى الاتزان والسكينة او الحركة في حدود الاعتدال . ونعتقد تمام الاعتقاد ان

الذين صوروا لنا اناساً انقطعوا عن العالم وبانقطاعهم عنهُ اهملوا نفوسهم لم يصوروا لنا الطبيعة البشرية تصويراً صادقاً . ويقيننا انهُ لو اتيح لروبنصن كروزو موسى للعلاقة ومرآة يرى على صفحتها سحنته وتوفّر له قدر معقول من الاطمئنان الجسمي والعقلي لما سمح لنفسه ان تنمو ذلك النمو الحر الذي يصفه لنا دي فو Defoe . فسلطة هذا الميل علينا ليست بالضئيلة ولا المحدودة غير انهُ مما يلطف من هذا الميل وينشأ من حدته ان لا كثرنا من شواغل الحياة ومهامّها ما يصرفنا عن التفكير في نفوسنا والانعكاف عليها . فنحن انسى ما نكون لمحاسننا او مساوئنا حينما ندفع في تيار الحياة الشديد غير ملوين على شيء . ونحن اقطن ما نكون لهذه المساوئ او المحاسن حينما نكون في عزلة او شبه عزلة عن تيار الحياة الجارف . ومن هنا ان المرأة ارسخ قدماً من الرجل في هذا الميل . فافق نظرها الضيق وقلّة مشاغلها العامة قد نصبا من نفسها لنفسها معبوداً . ومن هنا مقام المرآة في حياة المرأة . ولم تبتعد المرأة عن انوثتها المستعذبة الا حينما انساقت مع تيار الحياة الجارف . ولذلك عادت لا يهمها كثيراً الثناء على جمالها وعاد الانتقاد لبعض من اعضائها لا يستدر دموعها . وبالاجمال اضحى لا يرضيها ان تقف من الرجل موقفها القديم — موقف الصبي المدلّل

ومتى تزوجت المرأة وانجبت البنين ازدادت بعداً عن العكوف على نفسها وتحوّل اعجابها بنفسها الى الاعجاب بزوجها وبنيها . واذا انتقدتَ طفلاً بحضرة امهِ فلا تنسَ انك بهذا تنال من امه قبل ان تنال منهُ . لهذا كان خير ما تكتسب بهِ عطف الام ان تثني على بنيها ولا تغالي اذا قلنا ان جزءًا غير يسير من عاطفة الامومة مردُّه هذا الميل

***

ومما يدلُّ على التحول الذي طرأ على خلق المرأة ايضاً انها أصبحت ارحب صدراً لنقد واقبل للفكاهة من ذي قبل . والفكاهة هي من اوكد الوسائل لتقليل حدة هذا الميل . فالماجز الفكه يتجه بجونهِ وفكاهتهِ الى التقليل من قيمة الحياة والزراية عليها بحيث يهوّن على الناس مقدار ما يمتلكون منها ومقدار ما يخسرون . والمانح والساخر — كما يقول احد الكتاب — سواء : ذاك يأخذهُ بحد الحسام وهذا يأخذه بحد اللسان ، الا ان الواحد يأخذهُ ليستولي عليهِ والآخر ليحتقره ويزري عليهِ . ومما يحبب صاحب الفكاهة الى الناس انهُ لا يسخر من الحياة والناس الذين يستميتون في سبيلها فقط ، بل هو يسخر من الحياة ومن الناس ومن نفسهِ على السواء . وهذا ما يجعل الفكاهة مستحبة مقبولة عند اكثر الناس وان كانوا هم

الربع الخالي

فصل من كتاب تحت الطبع عن احوال نجد والحجاز

بقلم السيد فؤاد حمزة وكيل خارجية حكومة العربية السعودية

« الربع الخالي » اسم حديث لمنطقة شاسعة من الرمال كانت تعرف فيما مضى باسم رملة يبرين . قال ياقوت [1] : «يبرين رمل لا تدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة. وفي كتاب نصر : يبرين من اصقاع البحرين به منبران ، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج [2] ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان وهو فيما بينهما وبين مطلع سهيل

وقال الهمداني [3] : وعن يمين البحرين ودونها يبرين والظن موضع فيه نخل كثير لبني ودعة ويبرين نخل وحصون وعيون جارية وغير جارية ومياخ . وقال ايضاً [4] : يبرين في شرقي اليمامة وهي على محجة عُمان إن مكة وكأنها ادخل في محاذاة اليمامة الى الجنوب شيئاً وبينهما وبين حضرموت العجم بلد واسع لا يقطع ومنظرها من اليمامة بين المشرق والجنوب ؛ وما بين يبرين وبين البحر الرمال ولها طريق الى اليمامة وإلى البحرين ، وهي ارض منقطعة بين الرمال وهي ذات نخل كثير من الصغري والبرني وذات زرع قليل وبها بئق كبار على هيئة بعض البهرة وساكنها من لخوم العرب أي بطون العرب ويقال طخوم مثل لخوم ثم استخرجتها من أيديهم قشير ، ثم اخرجت القراطة بني قشير عنها

وأما ابعاد هذه المنطقة فهي غير محددة على وجه الصحة والمعروف بين العرب انها تبدأ من جنوبي واحة يبرين العامرة الآهلة مرة على مسيرة ثلاثة ايام منها نحو الجنوب وتمتد الى الهضاب الموازية لساحة البحر الهندي في الجنوب ، والى الجهة الغربية والغربية الجنوبية من هذه المقاطعة توجد مساحات شاسعة من الرمال الرقيقة المعروفة بالاحقاف ، وهذه يروى عنها انها مغارات تبتلع الاجسام الثقيلة التي تطؤها

وظل جهل الناس بهذه المنطقة المترامية الاطراف كبيراً بالرغم عن وجود كثيرين من البدو ممن اخترقوها في سيرهم من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وعاشوا فيها وذلك لعدم تدوين شيء عن احوالها أو نشره . وقد سمعتُ جلالة الملك عبد العزيز يذكرانهُ في بعض

---

(١) م ٨ ص ٤٩٤ (٢) المظنون انها الافلاج اليوم (٣) ص ١٣٧ صفة اوربا (٤) ص ١٦٥

سني ضيقه في ايامه الاولى كان يعتصم بأطراف الربع الخالي وانه اقام فيه مدة متوالية تقرب من اربعين يوماً ، وقد بُذلت جهود عديدة للوقوف على احوال هذه المنطقة وما حوته من اناس وحيوان ونبات وما فيها من جبال ووديان ومياه وغدران الى ان وفق في السنتين الاخيرتين رجلان من مجازفي الانكليز الى اختراقها أحدهما وهو المستر برترام توماس من الجنوب الى الشمال الشرقي مجتازاً اطراف الرمال الكثيفة الشرقية وثانيهما المستر سلت جون فلبي من الشمال الى الجنوب الى نقطة متوسطة ، كان وصلها المستر توماس واتجه منها غرباً الى منتهى وادي الدواسر

ولسنا هنا في معرض الدخول في تفاصيل الرحلتين الآنفتي الذكر ولا كيفية القيام بهما، وانما نكتفي بذكر أن المستر برترام توماس حاول اختراق منطقة الرمال الكثيفة عدة مرات ولم يتح له الوصول الى غرضه إلا في شتاء عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ ففي ذلك الوقت أكمل معداته للسفر من ظفار على شاطئ المحيط الهندي ماراً بسلسلة جبال القارة المشرفة على المحيط الهندي ومؤخرها يتصل بأقليم المهرة المعروف في تلك الجهات بنجد . وفي ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ كان بقرب شيصور [١] التي تبدأ منها المنحدرات الشمالية للبلاد النجدية هذه حيث المنتهى الجنوبي لمنطقة الرمال . وقد استغرق اختراقه الرمال من شيصور الى قرب شبه جزيرة قطر ما يقرب من شهر . وكانت طريقه على محاذاة الحافة الشرقية لربع الخالي الصحيح حيث تكثر المياه والآبار والخيران

وأما المستر فلبي فانهُ اتبع طريقاً آخر للسير . فسار من الهفوف (الحسا) في اواخر شهر يناير سنة ١٩٣٢ الى واحة جبرين ومنها اتجه جنوباً الى حيث يكون الربع الخالي في متوسط تقاطعه من كل الجهات عند بئر نيفا [٢] وانطلق من هناك في اتجاه شرقي مطرد الى مسافة ٢٥٠ ميلاً فوصل الى بلدة سليل في منتهى وادي الدواسر . ومن اجل التدقيق في العمل وربط النتائج التي حصل عليها هو بالنتائج التي حصل عليها المستر توماس في الشتاء السابق فقد وصل فلبي الى آبار شنة الواقعة على خط العرض ١٨ درجة و٥٩ دقيقة

وكان من نتائج الرحلتين الآنفتي الذكر أنهُ أمكن معرفة كثير من الحقائق الجغرافية والجيولوجية والاجتماعية لمنطقة الربع الخالي الشاسعة التي يجوز لنا أن نحددها بانها واقعة بين خطي العرض ١٨ و٢٤ من العرض الشمالي والخطين ٤٦ و٥٤ من الطول الشرقي

نعم ان الرحالتين توماس وفيلبي لم يتمكنا من زيارة كافة أصقاع الربع الخالي ؛ وبقيت أمام طلاب الارتياد مساحات اخرى يجب تعرف احوالها ، إلا أنهما وفقا بصورة جازمة الى ايضاح

(١) تقع على نقطة تقاطع خطي الطول الشرقي ٣° ٥٣ والعرض الشمالي ١٨° ١

(٢) تقع هذه الآبار عند نقطة تقاطع خطي الطول الشرقي ٤٩° ٣٥ والعرض الشمالي ١٩° ٥٠

المهم من طبيعة هذه البلاد وتكوينها وما فيها من تضاريس طبيعية واحوال عمرانية واجتماعية[١] مما نصفهُ بايجاز فيما يلي :

قال توماس [٢] يتألف الربع الخالي من أراض صحراوية يكاد يكون قسماها الشرقي والجنوبي الى حد يقرب من ثلث مساحتها كلها عبارة عن اراضي الهضبات والقسم الباقي عبارة عن أوقيانوس من الرمال المنتشرة نحو الشمال والغرب وتسمى الهضاب الجنوبية نجداً والشرقية صيحا في قسمها الشمالي وجادة الحراسيس في قسمها الجنوبي حالة كون المناطق الرملية معروفة باسم الرمل أو الرمال

وقد وجد المستر توماس أن حافة الرمال الجنوبية تمتد على محاذاة الساحل الجنوبي للبلاد العربية من رملة مغشن [٣] إلى شمال حضرموت في مسافة تتراوح بين ٢٠٠ — ٢٥٠ ميلا ، وان انحدار هذه الحافة هو من الجنوب الى الشمال ومن الغرب إلى الشرق مما يدل دلالة صريحة واضحة على كيفية نشوء هذه الرمال في الازمنة الجيولوجية واتصالها بالقارة العربية الافريقية التي كان البحر الكريتاسي يحدها من الشرق . وذكر أيضاً أن حافة الرمال من جهة المشرق تتجه إلى الشمال والشمال الشرقي اعتباراً من رملة مغشن السالفة الذكر على مسيرة أربعة أيام للجمال حتى قرن السحامة ومنها ترتفع شمالاً إلى قرب خليج فارس

وفي أواسط منطقة الرمال ترتفع سلسلة عروق الضحية الكلسية على شكل نعل فرس ترتكز قاعدته على هضبات المنطقة النجدية المتاخمة للمحيط الهندي ويمتد ساعده الغربي على محاذاة

---

(١) كان المستر برترام توماس وزيراً للمالية في حكومة سلطان مسقط ، فاتيحت له الفرصة للوقوف على أحوال القسم الجنوبي من بلاد العرب وزيارة بعض الاماكن البعيدة عن العمران ودراسة احوال تلك البلاد وما فيها . وقد اخترق الربع الخالي في أطرافه الشرقية عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ وكان قبل ذلك ببضع سنوات يواصل البحث والارتياد عن أحواله وأحوال سكانه وما يشبهم ، وقد وضع عن رحلاته العديدة عدة محاضرات ورسائل وكتباً عديدة أهمها كتابه عن اختراق الربع الخالي وقد سماه (العربية السعيدة) ونشر بمعرفة يوناثان كايب بلندن

وأما المستر سنت جون فلبي فان معرفته بالبلاد العربية مشهورة منذ ان كان موظفاً في الخلة العراقية أيام الحرب العمومية وقد وضع عن رحلاته في البلاد العربية ثلاثة مجلدات سمى الاثنين الاولين منها باسم « قلب البلاد العربية » والثالث باسم « بلاد الوهابيين » ومنذ بضع سنوات ترك خدمة حكومته وأقام في جدة متعاطياً التجارة وجل قصده من ذلك حسب كلامه أن يفوز بغيته العظمى يوماً ما وهو اجتياز الربع الخالي وارتياد مجاهله . وقد وفق في النهاية الى الوصول الى غرضه وتم له الفوز الاكبر بالقيام برحلته الجريئة في مطلع العام الحالي ١٩٣٢ . وقد وضع عن رحلته الاخيرة هذه كتاباً يصف فيه مشاهداته كما انه قدم تقريراً مفصلا حوى ملخص ما يهم الوقوف عليه فيما يتعلق بالربع الخالي . وقد كتبت هذه الاسطر قبل أن ينشر كتابه

(٢) العربية السعيدة ص ١٨٠

(٣) تقع رملة مغشن بين درجتي الطول الشرقي ٥٤ و ٥٥ ودرجتي العرض الشمالي ١٩ و ٢٠

خط الطول الشرقي ٤٩° إلى قرب خط العرض الشمالي ٢٠° وأما ساعده الشرقي فيسير على محاذاة خط الطول الشرقي ٥٣° إلى قرب خط العرض الشمالي ٢٢°٣٠' . وهذه المنطقة هي بحق منطقة الرمال الكثيفة في الربع الخالي ولا يسكن فيها من القبائل إلاّ المولغ في الهمجية والوحشية والمتحمل لشظف العيش ومتاعب الحياة . وأهم هذه القبائل أربعة . قبيلة آل مرة بأفخاذها ، وقبيلة آل كثير بفخذيها المعروفين : آل راشد وبيت أماني ؛ وقبيلتا العوامر والمناصير والاولى تسكن في الشمال والغرب والثانية في الجنوب والاثنتان الاخيرتان في الشرق والشمال الشرقي من الربع الخالي

ويمكن القول أن الربع الخالي يقسم البلاد العربية من الوجهة الجيولوجية ، ويؤلف بين أقسامها حدّاً فاصلاً بارز الصفات والتكوين . فقد أوضحنا في البحث العائد لطبقات الارض كيف أن البحر التي كانت في الاعصر الجيولوجية ممتدة من سواحل البحر الابيض المتوسط إلى الحماد فالنفود الكبير فالمنحدرات الشرقية لسلسلة جبال السراة كانت تلاطم في أطراف الربع الخالي مناطق أرضية تختلف من حيث التركيب الجيولوجي عن جاراتها . فما كان واقعاً من البلاد العربية إلى الغرب والشمال الغربي والجنوب من الربع الخالي هو في الحقيقة قسم من المنطقة الافريقية جيولوجيًّا حالة كون ما كان منها واقعاً الى الشرق والشمال الشرقي منه هو من حيث التكوين الجيولوجي جزء من بلاد إيران ، وقد وضح ذلك من تركيب الصخور والطبقات الارضية في هذه المناطق من البلاد العربية . وأما تكوين الربع الخالي نفسه فمن غير الممكن تعيين صلته بأي القسمين إلاّ أنه مما أمكن جمعه من نماذج الرمال والصخور المأخوذة من جهات مختلفة فيه يمكن القول بأنه مكوّن من سطح كلسي الاصل تكسو الطبقات العليا منه رمال يشوبها كثير من حبيبات الكلس والجير ، وقد وجد توماس وفلبي بقايا متحجرات بحرية ومائية في جهات عديدة لا يدع وجودها مجالاً للشك في أن البحر كان في الأعصر الجيولوجية غامراً هذه المنطقة بمياهه المالحة في العصرين الجيولوجيين المعروفين باسم العصر الايوسيني والكريتاسي

وأما ارتفاع الربع الخالي عن سطح البحر فيختلف كثيراً بالنسبة إلى المواقع فهو في الجنوب أعظم ارتفاعاً منه في الشرق والشمال إذ بينما يكون ارتفاع الهضبات الجنوبية عند جبال القارة ٢٠٠٠ قدم فان ارتفاع المنطقة الواقعة على حافة الرمال لا يزيد على ١١٠٠ قدم وقوة الانحدار لا تزيد على ٩٠٠ قدم في مسافة لا تبلغ مائة ميل ، ومن حافة الرمال الجنوبية إلى حافتها الشمالية عند بنبان [1] يبلغ مجموع الانحدار ٩٠٠ قدم في مسافة تقرب من ٣٠٠ ميل . ومن المفيد

(١) بنبان واقعة على نقطة تقاطع خط الطول الشرقي ٥٠°١١' بخط العرض الشمالي ٤٠'١١°٢٩

هنا أن نذكر وصف المنطقة التي اخترقها المستر توماس من حيث الارتفاع وعرض كل قسم على حدة ننقله عن كتابه الآنف الذكر مبتدئين فيه من الجنوب الى الشمال :

المسافة بالاميال	نوع الارض
٢٠	١ أرض مرتفعة ذات لون احمر تكثر فيها الاكثبة
٤٠	٢ أرض مرتفعة أقل تضريساً ذات رمل احمر وفيها تلال تشبه نعل الفرس
١٠٠	٣ سلاسل بيضاء متوازية تعترضها أودية ذات رمل احمر
٧٠	٤ رمال متماوجة ذات لون ابيض
٥٠	٥ رمال متماوجة ذات لون ابيض فيها تلال ذات لون احمر
١٠٠	٦ هضاب وسبخات وتلال حمراء على التوالي

ولم يتمكن التحقيق عن الرمال التي دعيت بالبحر الساقي ، وهي الرمال الرقيقة التي تبتلع الاثقال التي تطأها ، وانما قد تكرر ذكرها في جهات الاحقاف الى الغرب الجنوبي من الربع الخالي حيث ذكر الالماني فون فردي كثيراً عنها ، وأما توماس فانه ذكر ارضاً اخرى تدعى أم الصميم تبلغ مساحتها يومين على سير الجمل في كافة الاطراف فانها مغراق لا يمكن اجتيازها ، والغالب انها من نوع السبخات التي تصادف في سائر انحاء البلاد العربية ، فاذا كان الجوّ رطباً كان العبور منها مستحيلاً لرخاوة طينتها وقلة مقاومتها للاثقال

وأما المياه في الربع الخالي فانها قليلة بل معدومة في جهاته الغربية وكلما اتجه الى الشرق ازدادت مقدار المياه وقل عمقها داخل الارض . وقد كانت طريق المستر توماس في منطقة يمكن ان تدعوها بحق كأنها حافة الربع الخالي الحقيقي الشرقية. فهذه المنطقة محفوفة بالآبار والخيران إلاّ أن أكثر مائها مرٌّ لا يستساغ مطلقاً ويبلغ عمق البئر في بعض الاماكن ٣٠ باعاً أو اكثر. ويقل هذا العمق في الجهات الشرقية إلى أن يصبح ضحضاحاً قليل العمق بالمرة . ويمكن قسمة المياه إلى ثلاثة أقسام : ١ الغدران والخبارى التي يجتمع في باطنها ماء المطر ٢ الآبار العظيمة العمق ذات الماء الذي يمكن شربه ٣ الآبار المتوسطة أو القليلة العمق وهي ذات ماء ملح أجاج لا يشرب . فالمنطقة التي اجتازها المستر توماس غنية بالآبار من النوعين بينما ان المنطقة التي اخترقها فلبي من نيفا إلى سنيل وتبلغ أكثر من ٢٥٠ ميلاً معدومة من الماء من جميع أنواعه

ونظراً لانعدام الماء (ما عدا أيام الامطار) في المنطقة الواقعة الى الغرب من الطريق التي سلكها توماس وهي المنطقة التي يصح أن يطلق عليها اسم الربع الخالي فان الحياة الحيوانية

والنباتية تكاد تكون معدومة فيها . وقد ذكر المستر فلبي انه بعد خروجه من واحة جبرين لم يشاهد على طول الطريق الممتد الى اواسط الربع الخالي ثم من فيفا الى سليل أي انسان كان، مع ان المدة كانت ٥٣ يوماً على سير الابل . والذي يتراءى لنا ان قلة ارتياد البدو لهذه المنطقة انما هو ناشيء في الغالب عن قلة المياه والمراعي اكثر مما هو ناشيء عن المفاوز والمخاطر . فالمرور من جهات مسقط وعُمان وظفار وحضرموت إلى شمال الجزيرة وغربها أمر لا صعوبة فيه إلاّ من جهة قلة المياه والمراعي ؛ وكانت محجة عمان الى مكة تمر وسط الربع الخالي إلى يبرين ومنها إلى الافلاج ؛ وهنالك طريق اخرى ما بين نجد والمحيط الهندي عن طريق أواسط الربع الخالي ايضاً . وهذه الطريق هي التي ورد ذكرها في الاساطير القديمة أن المر واللبان من ظفار ، كانت القوافل تجلبه منها . وقد انعدمت الطرق التي كانت تخترقها القوافل ، وضاعت آثارها ، أولاً لهجرها بعد اكتشاف الطرق البحرية ، وثانياً لأن الرياح الشديدة الهبوب تسفي الرمال بشدة فتغير معالم الأرض وطبيعتها وتنقل الاكثبة الرملية من مكان الى آخر

وقد ذكر لنا بعض من قابلنا من البدو الذين زاروا تلك الانحاء أن عشب الربع الخالي وماءه يجعلان دم الحيوان أسود فاحماً ، ولم يتسنّ لنا تعليل هذه الظاهرة الفسيولوجية إلاّ بملوحة العشب والماء

وأما من حيث العمران فقد كان الشائع عند البدو ان في الربع الخالي آثار عمران عديدة خلفها الاقدمون من حضارات بائدة ، وكانوا يتناقلون أقوالاً متناقضة عن وجود خرابات في وبار القريبة من بئر مغينمة التي زارها المستر فلبي ووجدها بئراً غزيرة الماء ، وكان المقول ان وبار [1] هذه تقع على بعد مرحلتين

ثلاث من واحة جبرين وعلى طريق القوافل التجارية من ظفار وأنها كانت تظهر وتختفي بفعل الرياح الموسمية التي تقشع الرمل عنها فتظهر آثار خرائب وقلاع وقصور عديدة حتى دعيت باسم قصور أم الحديد والحديدة . وقد حقق المستر فلبي بنفسه عن هذه الاشاعات وزار المكانين المشار اليهما وهما يقعان ما بين درجتي الطول الشرقي ٥٠° و ٥١° والعرض الشمالي ٣٠° و ٢١° و ٢٢° فوجد أن ما كان يسميه البدو آثار عمدان وخرائب قصور دامرة إن هو إلاّ بقايا مخروط بركاني عظيم خمد منذ أزمنة متطاولة وبقيت من آثار اندفاعه متحجرات بركانية محروقة ثقيلة الوزن وبلون الحديد فكان البدو يظنونها آثار قلاع وخرائب. وقد جلب المستر فلبي معه بعض حجارة هذه المنطقة وجلب أيضاً حبوب الدخان البركاني المتبلور الذي يسميه البدو باللؤلؤ الاسود ، وشاهد كاتب الاسطر هذه الحبوب فاذا بها أصغر من حجم الحمص بقليل خفيفة الوزن سوداء اللون براقة المظهر

(١) قال ياقوت ج ٨ ص ٣٩٢ ان وبار كانت من محال عاد بين رمال يبرين وحضرموت ونجران واقليم مهرة

وسيكون من آثار رحلتي توماس وفلبي الفنيين لخصها ما كان من تنائجهما العلمية أن البياض الذي اعتاد الناس تركه على خرائط البلاد العربية باسم « الربع الخالي » سيملأ باسماء الاماكن والآبار والهضاب والرمال المختلفة وستنقص الحماسة التي كان يشعر بها جميع من يعنى بالبلاد العربية لمعرفة حقيقة هذا القسم ، وتصبح اسماء مقيسة وشنة ونيفا وأبو بحر وهدبة ودكاكة وبني زيدان والعويرق وغيرها من الاسماء المعتادة كالدهناء والصمان وخف وغيرها

خامساً — منطقة الدهناء . قال ياقوت في معجمه [1] وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها بين كل جبلين شقيقة وطولها من حزن بنـوعة الى رمل يبرين . وهي من أكثر بلاد الله كلأ مع قلة مطر ومياه ، واذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها، وقد جعلوا رمال الدهناء بمنزلة بعير وجعلوا أقفاءها التي شخصت من عجمتها نحو البنـوعة ثفناً كثفن البعير وهي خمسة أجبل على عدد الثفنات فالجبل الاعلى منها الأدنى الى حفر بني سعد واسمه خشاخش ، والجبل الثاني يسمى حُماطان ، والثالث جبل الرمث ، والرابع معبر ، والخامس جبل حُزوى

***

وقال الويس موزيل [2] : الدهناء فرع من النفود لا يتجاوز عرضها الثلاثين كيلومتراً لكنها تمتد الى مسافة مئات الكيلومترات ، وتبدأ في الشمال من نقطة واقعة على بعد خمسين كيلومتراً عن درب الحج من جهة العراق عند طريق المربط الفاصل بينها وبين النفود وليست رمال الدهناء شاهقة ولا يتكوّن فيها قعور وطعوز وافلاق كالنفود ولكن فيها النوازي وهي سهول رملية رملها ضحضاح يستر طبقة صخرية منها أرض لبيد وفيها ايضاً الدحول [3]

ومياه الدهناء حالياً قليلة ولكن فيها آثار آبار حفرها الاقدمون في اراضيها وطمرتها الرمال الآن

وقال فلبي [4] : ان الدهناء عبارة عن سلاسل رملية وآكام وكثبان متقطعة متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٠٠ — ١٥٠٠ قدم ، وتخترق الطريق الموصلة بين الحسا والرياض عند جسرا من جهة المشرق وبعد مسيرة نحو ثمانية أميال يصل المار الى سلسلتي بني بدال وبعد هذه تشتد كثافة رمل الدهناء ويصبح السير فيها اكثر صعوبة من الاول حتى يصل الى مزعلات التي يبلغ عرضها نحو ستة أميال وبعدها من المنطقة الاولى نحو عشرة أميال وأما القادم من الكويت

(١) مجلد ٤ ص ١١٥
(٢) تمان نجد ص ١٦٠
(٣) الدحل شق في باطن الطبقة الصخرية بين الصمان والدهناء يجتمع فيه ماء المطر ويظل فيه مدة
(٤) كتاب جزيرة العرب مجلد أول ص ٤٩ و ٢٧٣

والعراق بطريق البدية فانهُ يصل الى عريق الدحول الذي هو مبتدأ الدهناء من هذه الجهة ولكنهُ ليس منها بل لا بد للسافر من السير مقدار ستة أيام أو سبعة لكي يصل الى الدهناء الحقيقية ويحتاج قطع الدهناء من عريق الدحول الى قطر ما يقرب من مسيرة يوم وبُعد أحد الموقعين عن الآخر يبلغ خمسة وعشرين ميلاً منها ١٥ ميلاً ذات رمل كثيف صعب المرور. وقد ذكر فلبي طريقين من هذه الجهة وعدَّ من أقسام الدهناء مربط ومخيط وأرض عقل يفصل بينها خبوب أهمها خب النوم وخب الرضم

***

ونقول ان لفظ الدهناء يطلق على أسياف رملية منفصلة عن النفود الشمالي وواصلة بينهُ الاَّ في مسافة قصيرة بين النفود الجنوبي الكبير المسمى بالربع الخالي وتنتشر الدهناء بشكل حبال وخيوط وألسنة رملية بينها فجوات صلبة والدهناء بمجموعها تفصل بين مرتفعات العارض والقصيم والسدير وبين سواحل الحسا والكويت ويرى بعضهم وجوب اطلاق اسم الدهناء على القسم المتوسط من جبل السلسلة الشرقية من هذه المنطقة. وجبال الرمال الدهناوية عائق من أهم العوائق التي تمنع المسير إذ أنها مؤلفة من سلسلة من الاكثبة قد تكون متصلة وقد تكون موزعة بشكل غير منتظم ولا متسلسل غير ان الذي يجعل اختراق هذه الاصقاع ممكناً هو كون هذه الاسياف قليلة العرض وبين الواحد والآخر خبٌّ صلب القاع وكون عرض الدهناء كلها ليس عظيماً جداً تبدأ الدهناء من جوار آبار لينة في الباطن وتمتد الى الشرق الجنوبي والجنوب مسافة لا تقل عن ٦٠٠ ميل قبل أن تبتلعها لجة رمال الربع الخالي ، ولا يبلغ عرضها في مبدإها الشمالي أكثر من ١١ ميلاً ولكنها على بعد ٤٠ ميلاً من الجنوب عن لينة تستعرض وتصبح ١٥ ميلاً ويبلغ ارتفاع بعض كثبانها ٥٠ قدماً وتسير من هذه الجهة في وجهة جنوبية شرقية الى مسافة ١٠٠ ميل حيث يكون عرضها ١٥ ميلاً ايضاً وهنا تتقاطع مع وادي الرمّا (وادي الرمّا بخلاف من يقرأه بالرمة) وتظل على ذلك الشكل الى مسافة خمسين ميلاً اخرى ثم تبتدىء بالانقسام الى الحبال التي هي الظاهرة المميزة لها وتمسح هذه الحبال بعد مسافة قصيرة ارومة ويختلف عرض كل حبل من نصف ميل الى ارومة اميال بينما يكون عرض السهل الخب الفاصل بين الحبال ما يقرب من نصف ميل الى خمسة اميال ايضاً

ثم يزيد عرض الدهناء كلما اتجهت للجنوب الى ان تبلغ معظمها حيثما تنقسم الى سبعة حبال . وتسير الدهناء مسافة اخرى في اتجاه جنوبي الى مسافة ١٢٠ ميلاً أخرى حيث تقطعها طريق الحسا — الرياض وهنا يكون عرضها ٨ اميال فقط

ويحد الدهناء من شرقيها مقاطعة سهلة مرتفعة تعرف بالصمان سأتي على وصفها فيما يلي والطرق المطروقة التي تخترق الدهناء من الشرق الى الغرب اهمها ثلاث: احداها وأقصاها

نحو الشمال الطريق التي تصل بين العراق والكويت من جهة الديدبة وهي ممتدة من عريق الدحول الى بطرا ، والثانية من الكويت بطريق الصافة ووادي الرمة الى الوشق والقصيم ، والثالثة من الحسا الى الرياض عن جسرا و بني بدالي ومزعلات الى ابي جفان فالرياض . وقد عد الشيخ يوسف ياسين هذه العروض فوجدها من حفر بني سعد الى العمان

(١) — عريق عنق الجمل
(٢) — عريق ابي ثمام
(٣) — عريق الحمراني
(٤) — السراوى الاول
(٥) — السراوى الثاني
(٦) — جهام
(٧) — الدحول او حجلان[1]

سادساً — منطقة الصمان : هذه هي المنطقة الجغرافية السادسة في المملكة اعتباراً من ساحل البحر الاحمر : وهي واقعة بين الدهناء غرباً والمنطقة السهلية الساحلية شرقاً، وتختلف عرضها من ٥٠ إلى ٩٠ ميلاً ، وهي في الشمال أعرض منها في الوسط والجنوب ، ويبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٥٠ قدماً

أما ارض هذه المنطقة فمن الممكن حسبانها كامتداد لمنطقة سهول الحجرا وتتكوّن من الحجر الرملي على شكل تلال متقاربة في بعض أنحائها أحجار كلسية . ومع أن الصمان هضاب كما ذكرنا فان فيها مساحات شاسعة مؤلفة من سهول تنحدر تدريجاً في هبوطها الى جهة الساحل. ويوجد بقرب هذه المنطقة مجمع ثلاث آبار مهمة : الخفر والصافة والوبرا ، ولكن الصمان يغلب عليه الجفاف ولا يوجد فيه ماء يذكر إلاّ ما تجمع بعد الامطار

سابعاً : المنطقة الساحلية الشرقية يبلغ عرضها خمسين ميلاً وهي أرض رملية تشبه في تكوينها أرض التهائم في جهة الساحل الغربي وهي قليلة الانبات إلاّ في الواحات الواقعة في أطرافها وهي القطيف والحسا . والمياه في هذه الواحات كثيرة جداً وقد أطلق اسم الحسا على هذه المنطقة من كثرة الاحساء (واحدها حسو) وهو الينبوع الذي يمكن حفره على مسافة قريبة من سطح الارض

---

(١) يجاز كاتب هذه الاسطر الدهناء في طريقه من الكويت الى الرياض بالسيارة يوم ١٤ يوليو ١٩٣٢ وكانت طريقة السير كما يأتي : الكويت — قرية الطيا — منيصفة — الحمير — أم الصفافير الهبريات — ضلع كارة بالفرج — دحل أبا الجرفان — خباري التهايل — دحل الفشاي — عريق الدحول المرباخ وهو اول الدهناء — عرق جهام — خبية الجندلية — عرق السرو وخبته — عرق الروكب وخبته عرق تمر وخبته — عرق حمراوي وخبته — انتهى ومنها الى رماح ومنها الى الرياض

معنى الجاذبيـــة

لنظرية معروضة للتدريس

حتمية فراغ كل مركز . فراغ مركز الشمس . وفراغ مركز المجرة . وفراغ مركز الكون الاعظم

لفريد الحداد

في هذا الجدول نرى في الحقل الاول ابعاد السيارات عن الشمس بمقياس بُعْد الارض عنها ، باعتبار ان بعد الارض واحد . فبُعْد المريخ كبعد الارض مرة ونصف مرة تقريباً . وبُعْد المشتري خمس مرات وخُمْس وهلمّ جرًّا . وفي الحقل الثاني سرعة كل سيّار في الثانية . وفي الحقل الثالث مدّة دورة كاملة لكل سيار بحساب الوقت على الارض

جدول ابعاد السيارات وسرعاتها ومدات دوراتها

اسم السيار	بعده عن الشمس بالنسبة لبعد الارض	سرعته بالاميال بالثانية	مدة دوراته بالنسبة لمدة الارض اي سنة ارضية
عطارد	٠٫٣٩	٢٩٫٧	٠٫٢٤
الزهرة	٠٫٧٢	٢١٫٧	٠٫٦٢
الارض	١٫٠	١٨٫٥	١٫٠
المريخ	١٫٥٢	١٥٫٠	١٫٨٨
المشتري	٥٫٢٠	٨٫١	١١٫٨٦
زحل	٩٫٤٥	٦٫٠	٢٩٫٤٦
اورانوس	١٩٫١٩	٤٫٢	٨٤٫٠١
نبتون	٣٠٫٠٧	٣٫٤	١٦٤٫٧٨
بلوتو	٣٩٫٥٨	٢٫٩	٢٤٨٫

حاشية : الارض تبعد عن الشمس ٩٣٠٠٠٠٠٠ ميل فاذا ضربت الاعداد في الحقل الاول بهذا العدد حصلت على الابعاد بالاميال

ولكن اذا درسها درساً رياضيًّا اتضح لهُ : اولاً ان بين البعد والسرعة والمدة لكل سيار تناسباً رياضيًا تامًّا . وثانياً ان بين السيارات انفسها تناسباً رياضيًّا ايضاً لهُ قاعدة عامة تتمشى كلها عليها ؛ واساس هذه القاعدة ناموس الجاذبية . وبمراعاة هذه القاعدة يمكن التوصل الى حقائق علمية ذات شأن

ان ذلك التناسب المشار اليهِ يرينا ان سرعة السيار وبعدهُ مرتبطان احدهما بالآخر كل الارتباط بحيث يتضح لنا ان سرعة اي سيّار تقرّر بعدهُ عن الشمس ، او بالعكس ان بعده يقرّر سرعته . وكلا البعد والسرعة يقرران مدة دورته . فهو معلوم ان البعد يمثل نصف قطر (شعاع) الدائرة التي يدورها السيار حول الشمس ، وان بين الشعاع والدائرة نسبة ثابتة وهي ان مقسوم الدائرة على الشعاع يساوي ٦٫٢٨٣١٦ اذا ضربت كل بُعد من ابعاد السيارات بهذا العدد حصل طول المسافة المستديرة التي يسيرها السيار

ناموس النسبة بين البعد والسرعة

ان ناموس الجاذبية الذي اكتشفهُ نيوتن ينصُّ على ان قوتي التجاذب بين جرمين تتناسبان مربعي بعدَيْهما بالقلب، اي ان نسبة قوة الجذب في الواحد الى قوة الجذب في الثاني كنسبة مربع بعد الثاني الى مربع بعد الاول عن المركز الذي ينجذب اليهِ الجرمان هكذا : —

$$\frac{\text{و}}{\text{وو}} = \frac{\text{شش}^{٢}}{\text{ش}^{٢}}$$

بحيث ان و ترمز عن قوة جذب الجرم الاول نحو المركز

وو ترمز عن قوة جذب الجرم الثاني نحو المركز

ش ترمز عن بعد الجرم الاول عن مركز التجاذب

شش ترمز عن بعد الجرم الثاني عن مركز التجاذب

وقد اخترنا الحرف ش لانهُ اول حرف من «شعاع» أي نصف قطر الدائرة ، وهو يمثل البعد عن المركز

ثم ان ناموس فعل القوة المركزية على الجسم المتسارع يعبَّر عنهُ بهذه المعادلة المقررة في كتب الطبيعيات

و = $\frac{\text{س}^{٢}}{\text{ش}}$ باعتبار ان س ترمز عن السرعة أي ان القوة تساوي مربع السرعة مقسوماً على البُعد . فمن هاتين المعادلتين استخرجتُ المعادلة التالية : —

$\frac{\text{ش}}{\text{شش}} = \frac{\text{سس}^{٢}}{\text{س}^{٢}}$ أي ان نسبة بعد الجرم الاول عن الشمس الى بعد الجرم الثاني عنها كنسبة مربع سرعة الثاني الى مربع سرعة الاول بالثانية . وبالنسبة هكذا :—

ش : شش : سس^{٢} : س^{٢}

باعتبار ان س = سرعة السيار الاول

سس = سرعة السيار الثاني

وقد ارجأت البرهان على هذه المعادلة الى آخر هذا المقال لمن يود ان يتحققهُ

بحسب هذه المعادلة نستطيع ان نستخرج بعد السيار عن الشمس اذا عرفنا معدل سرعته في الثانية . او بالعكس نستطيع ان نستخرج السرعة اذا عرفنا البعد . مثال ذلك ان بعد المريخ عن الشمس يساوي تقريباً بعد الارض عنها مرة ونصف (١٫٥٢) فما هو معدل سرعته ؟

بابدال الارقام بالاحرف لنا : —

$$\frac{\text{١ (بعد الارض)}}{\text{١٫٥٢ (بعد المريخ)}} = \frac{\text{ك}^{٢}\ \text{(معدل سرعة المريخ)}}{(\text{١٨٫٥})^{٢}\text{معدل سرعة الارض}}\ \text{(بالثانية)}$$

بعملية جبرية بسيطة لنا : ١ × (١٨٫٥)^{٢} = ١٫٥٢ ك^{٢}

او ك^{٢} = $\frac{(١٨٫٥)^{٢}}{١٫٥٢}$ ك = ١٥ وهي سرعة المريخ

ولنفرض اننا نعرف سرعة المريخ ونود ان نعرف بعده فتكون المعادلة هكذا :

$\frac{١}{ك} = \frac{(١٥)^{٢}}{(١٨٫٥)^{٢}}$ ك = $\frac{(١٨٫٥)^{٢}}{(١٥)^{٢}}$ = ١٫٥٢ وهو بعد المريخ

* * *

يمكن القارئ ان يمتحن هذه المعادلة في جميع السيارات المذكورة في الجدول على هذا النحو فيجدها صحيحة [١]

والآن لنفرض ان سياراً او جسماً يسير على بُعد نصف من مئة (من بعد الارض) عن مركز الشمس (وحينئذٍ يكون على بعد بعض الوف الاميال عن سطح الشمس[٢]). فكم يجب ان تكون سرعته لكيلا يسقط على سطح الشمس او يشرد عنها ؟

بحسب معادلتنا التي نحن بصددها لنا : —

$\frac{١}{٠٫٠٠٥} = \frac{ك^{٢}}{(٢١٨٫٥)}$ بالجبر ك^{٢} = $\frac{٣٤٢٫٢٥}{٠٫٠٠٥}$

ك = ٢٦٣ ميلاً تقريباً سرعة الجرم المفروض بالثانية

اذا ضربنا مضاعف بعده عن مركز الشمس[٣] بالعدد ٣٫١٤ (الذي هو نسبة المحيط الى القطر) حصلنا على طول المدار الذي يدور فيه الجرم . ثم اذا قسمنا الحاصل على ٢٦٣ (معدل سرعته الذي استخرجناه) عرفنا في كم ثانية يتم دورته ؟ هكذا : —

$\frac{٢ \times ٤٦٥٠٠٠ \times ٣٫١٤}{٢٦٣}$ = ١١١٠٤ ثانية تساوي ٣ ساعات ٦ دقائق تقريباً مدة دورته حول الشمس عن ذلك البعد عنها

والآن لنفرض ان جسماً في قلب الشمس يدور حول مركزها بسرعة النور او سرعة الامواج الكهربائية المغنطيسية التي هي كسرعة النور (لان النور نفسه من صنف هذه الامواج) — فكم يجب ان يكون بعده عن مركز الشمس ؟

---

(١) وقد امتحنتها في اقمار المشتري بالنسبة الى بعدها عن مركزها فوجدتها صحيحة

(٢) نصف قطر الشمس يساوي ٤٣٢٥٠ ميلا . ونصف مئة من بعد الارض عن مركز الشمس يساوي $\frac{٩٣٠٠٠٠٠}{٢}$ = ٤٦٥٠٠٠ فالفرق بينهما ٤٣٢٥٠ ميلا وهو بعد الجرم المفروض عن سطح الشمس

(سرعة النور ١٨٦٠٠٠ ميل بالثانية)

$$\frac{١}{ك} = \frac{(١٨٦٠٠٠)^{٢}}{(١٨٠٥)^{٢}} \text{ بالجبر } ك = \frac{١}{١٠١٠٨٢٩١٦} \text{ من بعد الارض عن الشمس}$$

ولكن بعد الارض عن الشمس الذي عبرنا عنهُ بوحدة ١ هو ٩٣ مليون ميل ، اذاً

$$ك = \frac{٩٣٠٠٠٠٠٠}{١٠١٠٨٢٩١٦} \text{ ميل اي } \frac{٩٣}{١٠١} \text{ تقريباً. او قل « ميل » بالتقريب}$$

فراغ المركز

بناء على عبارة لورنتز التي شرحناها في مقال سابق وهي : —

$$\sqrt{١ - \frac{س^{٢}}{ن^{٢}}}$$

لا يمكن ان توجد في الوجود سرعة تضاهي سرعة النور او سرعة الامواج الكهربائية المغنطيسية ، لان الجسم الذي يسير بسرعة النور يتقلص الى ان يفنى بتاتاً — بالبرهان ، افرض ان سرعة الجسم تساوي سرعة النور فتكون ن = س وتكون :

$$\frac{س^{٢}}{ن^{٢}} = ١ \text{ اذن } \sqrt{١ - ١} = ٠ \text{ صفراً اي عدماً}$$

واذا فرضنا ان سرعة الجسم اكثر من سرعة النور فتصبح عبارة لورنتز بلا معنى . ففيما تقدم كفاية للبرهان على انه يستحيل ان توجد سرعة اكثر من سرعة النور ومن سرعة الامواج الكهربائية المغنطيسية — وبالتالي يستحيل ان توجد حول مركز الشمس مادة على بعد عنه اقل من الميل . لانها اذا كانت اقرب من هذه المسافة يجب ان تكون اسرع من النور ، وهو امر مستحيل . اذن حول مركز الشمس على بعد نحو ميل فراغ مطلق بل ظلام دامس ، لان اشعة النور لا تتجاوز ذلك الميل نحو المركز بتاتاً ، ولا يمكن ان يوجد في تلك النقطة المركزية اية مادة ، لانه لا بد ان تصدر منها امواج كهربائية مغنطيسية . وهذه لا تستطيع ان تتعجل بسرعة اكثر من سرعة النور . ووجودها اقرب من ميل الى المركز يحتم عليها ان تكون اسرع من النور ، فاذن يحتم عليها الفناء هناك

نتائج هذه القضية

هذا البرهان الرياضي الذي توصلنا اليه بالحساب المتقدم بسطهُ يطابق بعض نظريات علماء العصر ومنها اولاً ، ان اعماق بطن الشمس لا تشتمل على ذريرات Atoms لان الذريرات لا تحتمل تلك

السرعة الفائقة بل تتحلل قبل ان تصل اليها، وانما هناك كهارب (الكترونات) دائرة بسرعة فائقة تصدر امواجاً كهربائية مغنطيسية على بعد نحو ميل عن مركز الشمس . ولا يحتمل ان تكون هناك بروتونات لان تكوُّن البروتون يستلزم ان تكون الذرية تامة ، وهو امر مستحيل لما تقدم شرحه . وازنجح ان الكهارب انفسها هناك قليلة لانها وهي كلها سلبية تتدافع فتتباعد عن مركز الشمس مضطرة . وانما هناك على الاكثر امواج كهربائية مغنطيسية

ينتج ايضاً ان الامواج النورية والامواج الكهربائية المغنطيسية تقطع $\frac{١٨٦٠٠٠}{٢ \times ٣٦١٤} =$ نحو ٣٠ الف دورة حول الشمس في ثانية واحدة

ثانياً ، ان اي مركز تدور حوله مادة لا بد ان يكون فارغاً فراغاً مطلقاً . فمركز الارض ومركز كل جرم لا بد ان يكون هكذا فارغاً . كذلك مركز المجرة لا يمكن ان يكون فيه اجرام بتاتاً . واذا عرفت سرعة الاجرام التي حول ذلك المركز فربما عرف بُعدُها عنه

ثالثاً ، ان هذه النتيجة التي توصلنا اليها تطابق نظرية اينشتين بان الحيز الذي تشغله الاكوان المادية يجب ان يكون جوفه فارغاً ، ومركزه فراغ مطلق أو عدم

رابعاً ، ان هذه النتيجة تطابق نظرية الجاذبية الجديدة وهي ان القوة التي تجذب الاجرام الى المركز ليست قوة جاذبة واردة من المركز الى المحيط بل هي قوة واردة من محيط غير متناه الى المركز — هي قوة في الجو الجاذبي الذي تنشره في المواد والاجرام انفسها فتدفعها نحو مركز مشترك بينها . وليست القوة للمركز نفسه . فحيثما وجدت مجموعة من المواد أو الاجرام توازنت حول مركز مشترك بينها وهو الذي يسمونهُ مركز الثقل . لهذا السبب لا يكون مركز الشمس مركزاً للنظام الشمسي الاَّ نادراً بل يغلب ان يكون بعيداً عنه قليلاً أو كثيراً حسب وضع السيارات حول الشمس كما هو مقرر عند الفلكيين

ملاحظة جوهرية

بقيت ملاحظة جوهرية لا بد من ذكرها تمادياً لتوهم القارىء شيئاً مناقضاً للحقيقة ، وهي : — نعم ان هذه القاعدة التي هي محور بحثنا تنسحب عليها جميع مجموعات الاجرام ومجموعة المجرة ، ومجموعة الكون الاعظم . ولكن النسبة العددية التي رأيناها في النظام الشمسي ليست بالضرورة مطردة في جميع مجموعات الاجرام . فاذا كانت السرعة في النظام الشمسي على بعد ٩٣ مليون ميل هي ١٨٫٥ ميل في الثانية (سرعة الارض) فقد لا تكون كذلك في أي مجموعة أخرى غير مجموعة النظام الشمسي ، بل قد تكون اكثر أو اقل . وانما مهما كانت اكثر أو اقل فنسبة السرعة بين اجزاء المجموعة الى ابعادها تبقى ثابتة ومطابقة للمعادلة التي شرحناها آنفاً . فالاختلاف بين مجموعات الاجرام هو في النسبة العددية فقط بين البعد والسرعة . واما النسبة العددية بين جرم وجرم فعامة لجميع الاجرام . والامر الذي يقرر هذه النسبة العددية لكل مجموعة هو

مقدار مواد تلك المجموعة . لان الجاذبية لا تتوقف على البعد فقط بل على كمية المادة في الاجرام المتجاذبة ايضاً ، لذلك لا يكون الفراغ متساوياً في مراكز جميع المجموعات بل يختلف باختلاف قدر موادها. فالفراغ في قلب المجرة اوسع جداً منه في مركز النظام الشمسي، وتكون سرعات الاجرام في المجرة بنسبة بعضها الى بعض اقل . وعلى هذا الاعتبار نفسه يكون الفراغ في قلب الكون الاعظم اعظم جداً . اعرض هذه النظريات للقراء بكل تحفظ . فاذا لاح لاحد منهم اعتراض، او اذا كان قد عثر على بحث كهذا من قبل فممتن جداً له اذا كان يتكرم بنشره

البرهان على صحة المعادلة

في الطبيعيات : القوة المركزية التي تفعل في جسم متسارع تساوي مربع السرعة مقسوماً على البُعد . هكذا :

$$\text{و} = \frac{\text{ص}^2}{\text{ش}} \text{ (معادلة اولى)} \qquad \text{وو} = \frac{\text{سس}^2}{\text{شش}} \text{ (معادلة ثانية)}$$

باعتبار ان س ، سس رمز سرعة الجرم الاول ، والجرم الثاني

ش ، شش رمز بعد الجرم الاول ، وبعد الجرم الثاني عن المركز

وبحسب ناموس جاذبية نيوتن و : وو : : شش^2 : ش^2 (اي نسبة قوة جذب الاول الى قوة جذب الثاني كنسبة مربع بعد الثاني الى مربع بعد الاول)

ابدل في قاعدة نيوتن هذه قيمتي كل من و ، وو الثنين في المعادلتين السابقتين . هكذا :

$$\frac{\text{ص}^2}{\text{ش}} : \frac{\text{سس}^2}{\text{شش}} : : \text{شش}^2 : \text{ش}^2 \quad \text{وبالجبر لنا}$$

$$\frac{\text{س}^2\text{ش}^2}{\text{ش}} = \frac{\text{شش}^2\,\text{سس}^2}{\text{شش}} \quad \text{او} \quad \text{س}^2\text{ش} = \text{شش}\,\text{سس}^2$$

اقسم جانبي المعادلة على سس^2 ش فلك $\frac{\text{ص}^2}{\text{سس}^2} = \frac{\text{شش}}{\text{ش}}$ وهي معادلتنا التي نحن بصددها.

لكبلر الذي سبق عصر نيوتن هذا الناموس

ق^2 : قق^2 : : ش^3 : شش^3 باعتبار ان ق = مدة دوران السيار الواحد

قق = مدة دوران السيار الآخر

ويمكن برهنة معادلتنا بمعادلة كبلر هذه ايضاً لو يسمح المقام. كذلك معادلة كبلر تمكن برهنتها من معادلة نيوتن ايضاً

شبرا — مصر

الدمعة الخرساء

لشبلي الملاط

سمعتْ عويل النائحاتِ عشيةً ... في الحيّ ، يبتعث الأسى ويثيرُ
يبكين في جنح الظلام صبيةً ، ... أن البكاء على الشباب مريرُ
فتجهمت وتلفتت مرتاعةً ... كالظبي ايقن انه مأسورُ
وتحيرت في مقلتيها دمعةٌ ... خرساء ، لا تهمي وليس تغورُ
فكأنها بطلٌ تكنّفه العدى ... بسيوفهم ، وحسامه مكسورُ
وجمت فأسى كلُّ شيء واجمٌ ... النور والاظلال والديجورُ
الكون اجمع ذاهلٌ لذهولها ... حتى كأنَّ الارض ليس تدورُ
لا شيء مما حولنا وأمامنا ... حسنٌ لديها ، والجمال كثيرُ
سكت الغدير كأنما التحف الثرى ... وسها النسيم كأنه مذعورُ
وكأنما الفلك المنوّر بالقعُ ... والانجم الزهراء فيه قبورُ
كانت تمازحني وتضحك فاتهى ... دور المزاح ، فضحكها تفكيرُ
قالت وقد سلخ ابتسامتها الاسى ، ... صدق الذي قال — الحياة غرورُ
اكذا نموت وتنقضي احلامنا ... في لحظة والى التراب نصيرُ ؟
وتموج ديدان الثرى في اكبدٍ ... كانت تموج بها المنى وتمورُ
خيرٌ اذن منا الألى لم يولدوا ... ومن الانام جلامدٌ وصخورُ
ومن الصيون نكاحٌ ومراودٌ ... ومن الشفاه مماحق وذرورُ
ومن القلوب الخافقات صبابة ... قصبٌ ، لوقع الريح فيه صفيرُ

* * *

وتوقفتْ ، فشعرتُ بعد حديثها ... ان الوجود مشوّشٌ مبتورُ
الصيف ينفث حرّهُ من حولنا ... وانا احسُّ كأنني مقرورُ

ساقت الى قلبي الشكوك فنغّصت ليلي ، وليس مع الشكوك سرور
وخشيت ان يغدو مع الريب الهوى كالرسم لا عطرٌ وفيه زهورُ
وكدمية التمثال حسن رائعٌ ملء العيون وليس ثمّ شعورُ
فاجبتها : لكن لديدان الثرى اجسامنا ؛ ان الجسوم قشورُ
لا تجزعي فالموت ليس يغيرنا فنحن اياب بعده ونشورُ
انّا سنبقى بعد ان يمضي الورى ويزول هذا العالم المنظورُ
فالحب نور خالدٌ متجدد لا ينطوي الاّ ليسطع نورُ
وبنو الهوى احلامهم ورؤاهم لا اعين ومراشف ونحورُ
فاذا طوتنا الارضُ عن ازهارها وخلا الدجى منا وفيه بدورُ
فسترجعين خيالة معطارة انا في ذراها بلبلٌ مسحورُ
يشدو لها ويطير في جنباتها فتهش اذ يشدو ، وحين يطيرُ

* * *

او جدولاً مترقرقاً مترنماً انا فيه موج ضاحك وخريرُ

* * *

او ترجعين فراشةً خطّارة انا في جناحيها الضحى الموشورُ

* * *

او نسمة ، انا همسها وحفيفها ، ابداً تطوّف في الربى وتدورُ
تغشى الخمائل في الصباح بليلةً وتؤوب حين تؤوب وهي عبيرُ

* * *

او تلتقي عند الكثيب على رضىً وقناعةٍ ، صفصافة وغديرُ
تمتد فيه وفي ثراه عروقها ويسير تحت فروعها ويسيرُ
ويغوص فيه خيالها فيلفه ويشف فهو المنطوي المنشورُ
يأوي اذا اشتدّ الهجير اليهما الناسكان : الظبي والعصفورُ

لهي سكينتها ورأف ظلها والماء ان عطشا لديه وفيرُ
اغجوبتان — زبرجد متهدّلٌ نامٍ ، تدفق تحته البلّورُ
لا الصبح بينهما يحول ولا الدجى فكلاهما بكليهما مغمورُ
تتعاقب الايام وهي نضيرة مخضرة الاوراق ، وهو غيرُ
فالدهر اجمعه لديها غبطة والدهر اجمعه لديه حبورُ

* * *

فتبسمت، وبدا الرضى في وجهها اذ راقها التمثيل والتصويرُ
عالجتها بأنوثةٍ فهي قريرةٌ ولكم افاد الموجع التخديرُ
ثم افترقنا ضاحكين الى غدٍ وانشب شمس فوقنا وتشيرُ
هي كالمسافر آب بعد مشقةٍ وأنا كأني قائد منصورُ

* * *

لكنني لما اويتُ لمضجعي خشُن الفراش عليَّ وهو وثيرُ
واذا سراحي قد وهت وتلجلجت انفاسه فكأنهُ المصدورُ
وأجلتُ طرفي في الكتاب فلاح لي كالرسم مطموساً وفيه سطورُ
وشربت بنت الكرم احسب راحتي فيها فطاش الظنُّ والتقديرُ
فكأنني تلك وهت امراسها والبحر يطغى حولها ويثورُ
سلب الفؤاد مروّاده والجفن الكرى، ثم عرا ؛ فكلاهما موتورُ
حامت على روحي الشكوك كأنها وكأنهن قريسة وصقورُ
ولقد لجأت الى الرجاء فعقني اما الخيال فخائب مدحورُ
يا ليل اين النور ؟ اني تائهٌ سُرْ بنبئني. ام ليس عندك نورُ؟
« اكذا نموت وتنقضي احلامنا في لحظةٍ والى التراب نصيرُ »
« خير اذن منا الألى لم يولدوا ومن الانام جنادل وصخورُ »

[عن مجلة السمير]

السياسة البريطانية الفارسية

نظرة تاريخية (*)

يوسف رزق الله غنيمة وزير مالية العراق سابقاً

انبأتنا البرقيات بقرار الحكومة الفارسية التي اتخذته في الغاء امتياز دارسي لاستخراج النفط . وكان لهذا القرار دويّ في أربعة اقطار المعمورة رددته الاندية السياسية بشيء كثير من الاهتمام . لما له من الخطورة السياسية نظراً إلى موقف بريطانية العظمى في الشرق في المستقبل ولما لهذا الحادث الكبير من النتائج البعيدة المرامي في نهضة الدول الشرقية . فالسياسيون والاقتصاديون والماليون وعلماء الحق والاجتماع يرقبون هذا الامر بعيون ساهرة ويدرسون تطوّر هذه القضية مليًّا . وتعلق صحف العالم عليه الملاحظات والحواشي كلٌّ بحسب نزعتها وامالها السياسية لاستغلال الموقف . واملنا ان تحل هذه الازمة على اسس التفاهم بين الدولتين ذات الشأن بروح الوداد والتفاهم قبل صدور هذا المقال الذي كتبناه لمعالجة السياسة البريطانية الفارسية من الوجهة التاريخية ليس الاّ وهو بعيد عن المؤثرات السياسية الحاضرة . ولنعطف بنظرة على مشروع دارسي واعمال شركة النفط الفارسية التي شاهدناها في زيارة تلك الانحاء قبل بضع سنوات وعليه نقول :

إذا بحثنا في الصلات السياسية بين الدولتين رأيناها ترتقي الى بضعة قرون غبرت . ففي سنة ١٥٥٨ — ١٥٦٣ كان قد بعث القيصر الروسي ايفان الهائل انطوني جنكنز الانكليزي سفيراً عن دولته الى بخارى وبلاد فارس . فرجع هذا الرجل الى بلاده بريطانيا في سنة ١٥٦٥ ونشر فكرة جديدة بين مواطنيه ترمي الى الشروع بالتجارة مع بلاد فارس عن طريق روسية ولم تكن يومئذ فكرة التجارة عن طريق خليج فارس ومضيق هرمز قد خالجت احداً من الانكليز ولهذا نرى تلك الفكرة قد تأخر نضوجها بعد هذا بنصف قرن

تماطلت احدى الشركات الانكليزية التجارة مع ايران ونالت بعض بوادر النجاح الاّ ان

(*) اعتمدت في هذا المقال على المصادر الآتية : (١) Persian Gulf : Published by The Lord Curzon : Persia (٣) Sykes : A History of Persia (٢) Foriegn Office. No. 78 Sir J. (٥) A. V. W. Jackson : Persia Past & Present (٤) and the Persian Question L. Hartelet : Complete Collection of Treaties etc. (٦) Malcolm : History of Persia E. G. Browne : (٨) Sir H. C. Rawlinson : England and Russia in the East (٧) Persian Revolution (٩) مقال لي في جريدتي « السياسة » البغدادية ١٦ ايار ١٩٢٥ (١٠) جرائد ومجلات في فترات مختلفة

الفوضى التي ضربت اطنابها في الاقطار الفارسية يومذاك والعواصف التي ثارت فضلاً عن هجمات القرصان اضطرتها الى الكف عن الاعمال بعد ان مُنيت بخسائر فادحة وذلك سنة ١٥٨١. وكان طريق هذه الشركة بحر قزوين

لم يكن هذا الاخفاق في التجارة البريطانية في بلاد فارس الاَّ وقتيًّا . لان الانكليز وجَّهوا انظارهم الى تجارة فارس عن طريق الخليج بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية في عهد الملكة اليصابات سنة ١٥٩٩ . تلك الشركة التي كان لها شأن خطير في التجارة والسياسة البريطانيتين

بعثت هذه الشركة سنة ١٦١٤ رجلاً تاجراً من سورات اسمه ستيل ذا خبرة باسواق العجم اكتسبها من سفر قام به من حلب الى الهند عن طريق البر مارًّا ببلاد فارس . وارسلت الشركة معه المستر كروثر . فوصلا اصفهان وهي عاصمة البلاد يومئذ وقدما رسائل التوصية التي كانا يحملانها الى السر روبرت شيرلي فنالا بوساطته ثلاثة مراسيم (فرامانات) من الشاه عباس يأمر بها حكام المرافىء بمدّ ايدي المساعدة للسفن الانكليزية

لم يكن الطريق ممهداً لنجاح الانكليز في خليج فارس لان البرتغاليين كانوا قد استولوا منذ اوائل القرن السادس عشر على مضيق هرمز ونالوا الكلمة الراجحة في النفوذ السياسي في الخليج وعلم الانكليز منزلة البرتغاليين هناك وقدروا الموقف حق قدره وظهرت لهم المزاحة البرتغالية باتم مظاهرها فرأوا ان لا مندوحة لهم عن محاربة البرتغاليين ان ارادوا نجاحاً في تلك الديار فخاضوا معامع القتال من سنة ١٦١٦ الى سنة ١٦٢٥ وحدثت وقائع في اثناء ذلك انتهت بانخذال البرتغاليين ومغادرتهم مضيق هرمز مغادرة لا عودة بعدها . واحتلَّ الانكليز المضيق برضاء الفرس يسندهم في ذلك والي فارس الامام قولي خان بن الله وردي من اعز انصارهم ومواليهم فعقد حلفاً معهم جاء في شروطه : قسمة الغنائم مناصفةً بين الانكليز والعجم . قسمة مكوس هرمز مناصفة بين الطرفين المتعاقدين . استثناء الانكليز من الضرائب . اطلاق الاسرى المسلمين وتسليمهم الايرانيين واطلاق الاسرى المسيحيين وتسليمهم الانكليز . اشتراك العجم في نفقات الاسطول ودفع نصفها

وفي سنة ١٦٢٥ اعاد البرتغاليون الكرة على الانكليز في الخليج فهجم القائد البرتغالي الجديد على الجيش الانكليزي وحرق السفينة الانكليزية التي عملت لبندر عباس ووقعت طائفتها بايدي البرتغاليين فاجهزوا عليهم وقتلوهم شرّ قتلة ولم يخلص منهم الاَّ رجل واحد . وفي سنة ١٦٣٠ حاول البرتغاليون ان يسترجعوا مضيق هرمز ولكنهم اخفقوا

وكان استيلاء الانكليز على هرمز ذا شأن كبير في تثبيت نفوذهم في الهند وبلاد فارس . وكان الفرس يميلون آنئذ الى الانكليز لانقاذ بلادهم من سيطرة البرتغاليين . ويروى عن الشاه عباس انه قال لولا مساعدة الانكليز لما تمكنا من استرجاع هرمز

وفي سنة ١٦٢٧ كانت بعثة السر دومر كوتن والسر روبرت وهربرت شرلي . ذهبوا الى اصفهان واذ لم يكن الشاه هناك سافروا الى اشرف في مقاطعة مزندران فاحتفى بهم الشاه عباس كل الحفاوة واكرم شؤاهم وشرب نخب ملك الانكليز ووعدهم بابتياع بضاعات انكليزية يسدد ثمنها بتصدير عشرة آلاف بالة حرير فارسي في شهر كانون الثاني (يناير) من كل سنة . وقامت الشركة الهندية الشرقية الانكليزية باعمال تجارية عظيمة في خليج فارس ونالت امتيازات واسعة النطاق من ملوك فارس فكان لها بيت في بندر عباس اغلق سنة ١٧٦١ واسست غيره في بوشهر سنة ١٧٦٣ ونالت مرسوماً في ٢ تموز (يوليو) من تلك السنة من الشاه كريم خان يخولها امتيازات كثيرة ومنها :

(١) اجار لها ابتياع اراض في بوشهر وفي مواضع اخرى من الخليج قدر ما تتطلبه اعمالها وسمح لها ان تعزز ابنيتها بالمدافع (٢) استثنى البضاعات الواردة الى بوشهر والصادرة منه من المكس (٣) منع الشعوب الاوربية الاخرى من استيراد بضاعات الصوف (٤) حتم دفع الديون الى التجار البريطانيين وغيرهم (٥) اعترف بحق الانكليز في شراء البضاعات وبيعها (٦) منع التجارات السرية (٧) منح حرية الدين (٨) وحق اعادة الفارين (٩) استثنى سماسرة الشركة وخدامها وغيرهم من المنتسبين اليها من دفع الضرائب والرسوم (١٠) واعترف بحق الانكليز ان يمتلكوا الاراضي المملوكة باسعار معقولة والاراضي الاميرية مجاناً للدور والجنان

ولما احتل شاه كريم خان البصرة سنة ١٧٧٥ — ١٧٧٦ جامل كل المجاملة القنصلية البريطانية هناك

نرى في هذه المطاوي النفوذ البريطاني يعظم في الخليج الفارسي فالبرتغاليون تركوه في سنة ١٧٢٠ وعقبهم الهولنديون سنة ١٧٦٦ فبقيت بريطانية الدولة الاوربية الوحيدة المستأثرة بالنفوذ هناك . ولذلك نرى فرنسة تحاول ان تعرقل هذا الموقف الممتاز فارسلت بضع بعثات سياسية بين سنة ١٧٩٦ و١٨٠٩ الى الدولة الفارسية لعقد معاهدة تحالف هجومية ودفاعية ضد بريطانية العظمى وروسية . وتوصلت في سنة ١٨٠٧ الى عقد محالفة تنازلت فيها الدولة الفارسية عن جزيرة خارك لفرنسا ولكن يُظَنُّ ان هذه المعاهدة لم يقرها الشاه

قد حان لنا ان نتكلم عن السفير الانكليزي ملكم وبعثته الاولى الى بلاد العجم سنة ١٨٠٠ . كان هذا الرجل شجاعاً فأحبه الايرانيون ورحبوا به وكانت شهرته قد سبقته الى طهران قبل ان يصلها وكانت يومئذ جموع امير الافغان تهجم على الهند فتمكن « ملكم » من عقد معاهدة مع فتح علي شاه تنص على تعهده بأن لا يعقد معاهدة مع امير الافغان ما لم يكف هذا عن الطمع في ممتلكات بريطانيا الهندية وتتعهد بريطانيا مقابل ذلك ان تقدم للدولة الفارسية العتاد ان هجم الافغان والفرنسيون على بلادها ، على ان يعفي الشاه البريطانيين

والهنود من دفع الضرائب في المراقىء . وتمرُّ البضائع الانكليزية كالحديد والفولاذ بالبلاد الفارسية معفاة من المكس

وفي سنة ١٨٠٢ بعث فتح علي شاه وفداً الى الهند برآسة الحاج خليل خان الا ان خادمه قتله . وبعد خمس سنوات بعث وفداً ثانياً برآسة آغا نبي خان

كانت تجارة الرقيق واسعة النطاق في خليج فارس في بدء القرن التاسع عشر ولم يكن هناك قانون يوقف تمادي النخّاس عند حد معلوم فيما يسببه من الاذى والالم للابوين والاقارب الذين يسرق اولادهم وفلذات اكبادهم . فأتت الحكومة البريطانية تريد القضاء على هذه التجارة بالبشر معتمدة على ما لها من الولاء والوداد في قلوب جميع سكان الخليج. فعقدت معاهدة عامة سنة ١٨٢٠ وعقبتها معاهدات واتفاقات خاصة مع امارات الخليج ومع تركيا وفارس، غايتها تضييق نطاق هذه التجارة . وأخذت حكومة الهند على عهدتها كل الوسائل الواجبة لتنفيذ احكام المعاهدات والاتفاق. فكلفها هذا الواجب الشاق الشيء الكثير من النفوذ والمال

واخذت على عهدتها ايضاً مطاردة القرصان واقرار الامن في خليج فارس ومشارفه وتنويره ووضع العوّامات فيه تسهيلاً للملاحة فيه . فكانت هذه كلها عوامل رسوخ السياسة البريطانية في الخليج وامتداد نفوذها في الامارات القائمة على ساحليه . وتوصلت هذه الدولة بدهاء ساستها الى عقد معاهدات مع الدولة الفارسية في السنوات ١٨٠١ و ١٨٠٩ و١٨١٢ و١٨١٤ . وفي هذه المعاهدة الاخيرة تعهدت بريطانية بان لا تتدخل في اي اختلاف يحدث في داخل بلاد العجم وان تحترم ملكية الدولة الفارسية وسلامتها وتعهدت ايضاً مساعدة الشاه في خليج فارس بالسفن الحربية والجيوش ان كان ذلك مناسباً وقابلاً للتنفيذ

ولما انتهزت بريطانية بعثتها سنة ١٨٠٩ على الكوارئم رأت من مصلحتها ان توسّع نطاق اعمالها على الساحل الفارسي حيث التجأ بعض القرصان الذين لهم شركاء في اعمالهم. فساعدت الحكومة الفارسية البريطانيين في مهمتهم هذه فدمّر الانكليز ميناء لنجه وزار اسطولهم بعض المواضع في الساحل

وفي سنة ١٨٢٠ أُنزلت حامية بريطانية في جزيرة كشم باجازة من سلطان مسقط فاحتجّ الشاه على هذا الاحتلال . وفي سنة ١٨٢٨ طلب شيخ بوشهر سرًّا الحماية البريطانية واعرب عن استعداده للقيام باي تعهد يراه الممثل البريطاني موافقاً . الا ان حكومة بمبي رفضت هذا الطلب الذي عدّته لا يتفق والمعاهدات البريطانية الفارسية

وقام خلاف بين الدولة العثمانية وفارس في قضية الحدود بين المملكتين فتألفت لجنة مختلطة من الانكليز والروس في سنة ١٨٢٣ لحلّ هذه المعضلة المعقدة نظراً الى تكوين الاراضي ووجود الهضاب والآكام فيها والى ان سكانها من القبائل الرحّل . فانفضت اعمال هذه اللجنة

الى معاهدة أرض روم التي وقعت سنة ١٨٤٧ . جاء في نصها : على الطرفين المتعاقدين ان يتركا شقة من الارض المتنازع فيها تبتُّ في حدودها لجنة تؤلف لهذه الغاية . فاجتمعت اللجنة الجديدة في ١٨٥٠ و١٨٥١ في بغداد والمحمَّرة ولكنها لم تتوصل الى نتيجة بانة فاقترح الورد بامرستون سنة ١٨٥١ ان يعهد الى ممثلي تركية وفارس تخطيط الحدود العامة في الاستانة يساعدهم في مهمتهم اعضاء اللجنة قبل اقتراحه ودامت اعمال البحث والمساحة حتى سنة ١٨٦٥ فأقرّوا الحدود وشرط الاتفاق ان كل خلاف يحدث في الحدود يرجع في حله الى تحكيم انكلترا وروسيا. وبناء على احكام هذا الاتفاق نظر في الخلاف الذي حدث سنة ١٩٠٧ بين تركية وفارس فتألفت لجنة مختلطة سنة ١٩١٤ قبيل الحرب العامة قوامها اعضاء من الانكليز والروس والعثمانيين والفرس فبتت في هذه القضية وفي تعديل الحدود فاعيدت الى العثمانيين شقة من الارض في جوار خانقين تعرف « بالاراضي المحوَّلة » . وعلى اثر الحرب العامة وانفصال العراق صارت هذه الاراضي من املاك الحكومة العراقية وفيها ينابيع النفط الذي منح امتيازها الى شركة خانقين وهي فرع من شركة النفط البريطانية الفارسية

قامت الحكومة الفارسية بحركات عسكرية وجهتها هراة وذلك سنة ١٨٣٧ — ١٨٣٨ فارسلت الحكومة البريطانية بعثةً الى خليج فارس واقامت قوةً في جزيرة خارك حتى نزلت الحكومة الفارسية على رغبة الحكومة البريطانية . فلنقف قليلاً هنا لخطورة هذا الحادث فاذا نرى ؟ نرى ان حرباً سجالاً قامت بين مملكة فارس والافغان . وكانت روسيا تعضد ايران ليتسنى لها بسط نفوذها على الافغان وتقاوم من هناك بريطانيا في الهند . ومما لا ريب فيه ان هذا الموقف كان يؤثر في السياسة البريطانية فتضاربت المنافع الروسية البريطانية في آسية الوسطى وانتبهت كل من الدولتين الى تنشيط سياستها في تلك البلاد ونشأت المزاحمة واشتدَّ النضال السياسي بينهما وكانت كلٌّ منهما تحاول ان تنتصر على الاخرى . فكانت روسيا تحمل المملكة الفارسية على الاستيلاء على هراة من بلاد الافغان اما بريطانيا فكانت تمنع الفرس ان يستَرجعوا بلادهم من الروس تلك البلاد التي خسروها في حرب سبقت ويغضّوا النظر عن حرب الافغان . وفي سنة ١٨٣٢ كانت قد عظمت المنافع البريطانية في فارس فارسلت الهند عتاداً وسلاحاً الى الشاه ثم بعثت بعثة عسكرية في سنة ١٨٣٤ ورافق تلك البعثة بعض الضباط الشهيرين ومنهم رولنصن وستورت وشيل ودارسي تود. الاّ ان هذه البعثة لم تفلح كثيراً في مهمتها ولم تأتلف والضباط الفرس . فتركت بلاد فارس سنة ١٨٣٦ وحدث بعد ذلك بسنتين بعض اختلاف بين الدولتين حتى اضطرَّ السفير السر جون ماك نيل ان يغادر بلاد فارس وقطعت العلاقات بين المملكتين

وكان محمد شاه علة توتر الصلات لانهُ كان ميّالاً الى الروس واقعاً تحت نفوذهم خلافاً لسلفه

فتح علي شاه المجال الى الانكليز وصديقهم الحميم

بقيت الرقابة شديدة بين البريطانيين والروس في قضية الحرب بين الفرس والافغان وكان السياسيون البريطانيون يحاولون اقناع الشاه في رفع الحصار عن هراة اما الروسيون فكانوا يبذلون مساعيهم لتثبيت الحصار وتشديده وتنشيط العداء بين الدولتين الشرقيتين الافغان وفارس . واضطرّ اخيراً الشاه ان يرفع الحصار عن هراة ويوافق سياسة السفير الانكليزي السرجون مالك نيل

علينا ان نذكر هنا ان محمد شاه كان قد بعث الى لندن مندوباً عنهُ اسمهُ حسين خان ليرفع الشكوى من السفير البريطاني الى الحكومة المركزية . وكان يومئذٍ اللورد پامرستون وزيراً للخارجية الاّ ان اللورد پامرستون عضد السفير البريطاني فاضطر مندوب الشاه ان يوقع كل الشروط التي طلبها وزير الخارجية البريطاني لرجوع صلات الدولتين

وقد جاء في المادة السادسة من معاهدة باريس عبارة تدل دلالة صريحة على نفوذ بريطانيا ونجاحها في قضية هراة واليكها : « في حال حدوث اختلاف بين حكومة فارس وبلاد هراة والافغان تتعهد حكومة فارس بان تحيل القضية الى الحكومة البريطانية لتحلّها بالتوسط الودي . ولا تأخذ بيدها سلاحاً الاّ اذا اخفقت نتائج هذا التوسط الودّي »

وحدث في سنة ١٨٥٤ خلاف بين بريطانيا العظمى والمملكة الفارسية لم يُعتدَّ بموادره الاّ ان الامر استفحل بعد ذلك . وكان منشأ هذا الخلاف ان السفارة البريطانية عيّنت مرزا هاشم خان سكرتيراً للغة الفارسية فيها وكان هذا من موظفي الحكومة الفارسية وقد تركَ وظيفته قبل بضع سنوات فلم يرق ذلك حكومته . فاشتد الخلاف حتى افضى الامر في سنة ١٨٥٥ الى ان يترك السفير البريطاني المستر مري طهران ويقطع الصلات السياسية بعد مفاوضات عقيمة بينهُ وبين الصدر الاعظم . فظن الصدر الاعظم ان الوقت حان للاستيلاء على هراة

على اثر ذلك عقد الانكليز اتفاقاً مع الافغان وعقبه اتفاق ثان في سنة ١٨٥٦ لان الفرس استولوا على هراة واراد الافغانيون اخراجهم وفي سنة ١٨٥٦ — ١٨٥٧ حاربت بريطانيا الفرس وقصدها من ذلك اخلاء هراة ليس الاّ . فبعثت حملة برأسها السر جج . اوترم الى الخليج الفارسي واستولت على بوشهر في سنة ١٨٥٦ وعلى المحمرة سنة ١٨٥٧ واحتلت القوات البريطانية جزيرة خارك من سنة ١٨٥٦ الى ١٨٥٨

وقبل حملة كاروون والاستيلاء على المحمرة كان قد تمّ الاتفاق بين الدولتين وعقدت معاهدة الصلح في باريس وهي المعاهدة التي ذكرنا احد بنودها قبيل هذا . وبموجب هذه المعاهدة نال البريطانيون امانيهم وأخلى الفرس هراة كما انهم نالوا سائر الشروط التي طلبوها ولم يصل خبر هذه المعاهدة الى السر اوتر رئيس حملة الخليج إلاّ متأخراً لقلة وسائل المخابرة ولفقدان التلغراف

يومئذٍ واشترط في هذه المعاهدة ان يعامل البريطانيون في فارس معاملة اكثر الشعوب حظوى . وبعد تصديقها سحب البريطانيون قواتهم من بلاد فارس . وكانت هذه المعاهدة الثانية بين بريطانيا وحكومة الشاه وأول معاهدة عقدت بين الطرفين كانت سنة ١٧٥١ لتغييق نطاق النخاسة كما جاء قبيل هذا

ان النفوذ الذي ناله الانكليز في بلاد الشاه من هذه الحملة زاد بعد ذلك لما مدّ الانكليز خطوط البرق في تلك الديار بين السنوات ١٨٦٨ و ١٨٧٠ . واول مدير تولى شؤون الخطوط البرقية السر فردريك غولدسمث فابلى البلاء الحسن في مهمته وتغلب بهمته على عقبات خطيرة لانهُ لم يكن في غربي كوادر سلطة حكومية يرجع اليها ومساعيه ومعاونة الميجر لوفت تحددت التخوم بين بلوجستان وفارس فأقرّها الشاه بعد ذلك

ان قضية سجستان كانت المعضلة الاولى التي قامت بعد عقد معاهدة باريس . فكانت هذه الكورة من املاك الحكومة الفارسية ثم انتقلت الى الافغان فقندهار فهراة ثم عادت فاعترفت بسيادة الحكومة الفارسية عليها وفي سنة ١٨٦١ — ١٨٦٣ طلبت هذه الدولة من بريطانيا العظمى ان تتوسط في المحافظة على سجستان من اعتداء الافغان عليها . فأجابت الحكومة البريطانية انها لا تعترف بسيادة الشاه في سجستان ولهذا لا تتمكن من التوسط . فافضى الامر الى نشوب الحرب بين مملكة فارس والافغان فاقترحت آنئذ بريطانية العظمى الرجوع الى التحكيم عملاً بالمادة السادسة من معاهدة باريس . فتألفت لجنة في سنة ١٨٧٢ يرأسها السر فردريك غولد سميث وسافرت من بندر عباس والتحق بها في سجستان القائد بولك ممثل اللورد مايو حاكم الهند العام والدكتور بلو المستشرق الشهير

وكان حكم هذه اللجنة انها قسمت سجستان قسمين سجستان الحقيقية وسجستان الخارجية فأقرّت الاولى لفارس والثانية للافغان وهي شقة من الارض واقعة في ضفة نهر هلمند اليمنى فاخذ هذا النهر منذ سنة ١٨٩١ بتغيير مجراه ولهذا تألفت لجنة ثانية في ١٩٠٣ — ١٩٠٥ للبت في هذه القضية برآسة الكولونيل (السر) هنري مكمهون

وفي سنة ١٨٧١ عين الشاه المرزا حسين خان رئيساً للوزارة وكان هذا سفيراً في الاستانة قبل ان يتولى الوزارة . وكان من خططه السياسية التي رسمها لوزارته ان يحترم معاهدات فارس وروسيا ويعهد بشؤون مهنة البلاد الى بريطانيا العظمى . وتنفيذاً لهذا المنهج اراد ان يوجد احتكاراً عظيماً وان يبني بوارده الخطوط الحديدية ويستثمر المعادن ويؤسس مصرفاً وطنياً فعهد بهذا الامتياز الى البارون جوليس دي رويتر الذي كان من رعايا الدولة البريطانية . الا ان هذا الامتياز العظيم ألغي بعد ان زار ناصر الدين شاه اوربا وكلم الاختصاصيين به فسمع من الاستياء ما لم يدر في خلده قبلاً . ولاسيما استياء الاندية العليا في عاصمة الروس وحتى

في لندن نفسها . وفي سنة ١٨٨٩ عقدت روسية معاهدة مع الشاه تعهد فيها انشاء ان لا يمدّ خطوطاً حديدية في فارس في اثناء عشر سنوات ثم مدت هذه المدة الى سنة ١٩١٠

لم يأخذ رويتر تعويضاً عن انتهاء هذا الامتياز من الحكومة الفارسية الاّ ان الشاه منحه سنة ١٨٨٩ امتياز البنك الشاهاني الايراني . واشتدّت في هذه الحقبة المزاحمة بين البريطانيين والروس في بلاد فارس واخذت تعظم خطورتها سنة بعد سنة اذ كل منهما نشطت لترويج منافعها هناك . وبذلت بريطانيا العظمى جهودها لتفتح نهر كارون للملاحة والتجارة الاجنبيتين وتوصلت في هذه السنة الى غايتها بالرغم من مقاومة الحكومة الفارسية فجرت بواخر لنج نهر كارون

ويروى ان في عهد الشيخ مزعل (١٨٨١ — ١٨٩٧) كانت حرائق المحمرة باشراف بريطانية بغاية توسيع نطاق التجارة ولمقاصد أخرى وبعد انتيالهِ سنة ١٨٩٧ تولّى المشيخة على المحمرة أخوه الشيخ خزعل ولم يكن هذا على وئام مع الحكومة الفارسية المركزية ولهذا نراه في سنة ١٨٩٨ يطلب حماية الدولة البريطانية فرفض طلبه ولكن الحكومة البريطانية وعدته بأن سفيرها في طهران يعضده عضداً مستمراً . وفي سنة ١٩٠٢ استأنف طلب الحماية البريطانية ونظراً الى مطامع روسية واعمالها السياسية في المحمرة فوّضت بريطانيا العظمى سفيرها في طهران ان يتعهد للشيخ بالتأييد البريطاني لهُ وفي سنة ١٩٠٣ جدد هذا العهد . وجاء في رسالة السر هردنك السفير البريطاني الى الشيخ خزعل المؤرخة ٧ ديسمبر ١٩٠٢ ما يأتي :

نحمي المحمرة من كل هجوم بحري تقوم به دولة اجنبية مهما كانت حجة التدخل التي تدّعي . وما زلتم مخلصين للشاه وتعملون بمشورتنا فنحن ايضاً نستمر على معاونتكم ومعاضدتكم

وبقي الصراع السياسي مستمراً بين بريطانيا العظمى وروسيا فقامت روسيا بمظاهرات بحرية في خليج فارس وارسلت بعثة الطاعون الى جنوبي فارس وأسست في سنة ١٩٠٠ شركة الملاحة البخارية والتجارة الروسية وسيرت البواخر بين اوديسة والبصرة وانشأت البيوت التجارية في الخليج وكانت حكومة روسيا تعاون هذه الشركة معاونة مالية

وكانت روسيا تحاول الفوز بقاعدة بحرية في خليج فارس مما دعى اللورد لنسدون الى بيان السياسة البريطانية ذلك البيان الذي اكده السر ا . كري في مطاوي مفاوضات الاتفاق الانكليزي الروسي سنة ١٩٠٧ . وكانت هناك اسباب اخرى مهّدت الطريق لتثبيت النفوذ الروسي مما لا يسعنا الخوض فيها لضيق المقام ومنها القروض الفادحة اقترضتها روسيا الفرس

ولظن ان سفر اللورد كرزن في خليج فارس يومئذ كان لمقاومة الخدمات التي انتابت النفوذ البريطاني الادبي والمادي في خليج فارس . وكان كذلك نتائج مرضية لسفر نائب ملك الهند في خليج فارس سنة ١٩٠٣ اذ كان يخفره اسطول الهند الشرقية . وجاء هذا السفر

مؤيداً لبيان اللورد لنسدون وزير الخارجية البريطاني في مجلس اللوردات جاء في ذلك البيان:

«اقول ولا اتردد انهُ يجب علينا ان نعدّ بناء قاعدة بحرية او مرفأ محصن في خليج فارس تهديداً خطيراً لمنافع البريطانية مهما كانت الدولة التي تقوم به ويجب علينا حقاً ان نقاومه بكل ما لدينا من الوسائل» . فنشّط هذا البيان الموظفين البريطانيين في بلاد العجم وقوّى عزائمهم . ولا نغفل هنا عن ذكر التأثير العظيم الذي احدثه تولّي اللورد كرزن منصب نائب الملك في الهند، ففي عهده فتحت قنصليات جديدة وبعثت بعثات تجارية الى جنوب شرقي فارس ونشطت التجارة البريطانية هناك

ولما اتخذت هذه الوسائل الفعّالة علا تدريجاً نفوذ بريطانيا في فارس وجاءت الحرب الروسية اليابانية وتائجها المؤلمة لروسية مروّجة للسياسة البريطانية في مملكة الشاه فأضطرت روسيا آنئذ الى تغيير سياستها مع بريطانيا في خليج فارس

اشرنا آنفاً الى ان القرضين اللذين اعطتهما روسيا العجم سهلا طريق سياستها وزادا في نفوذها . وكان القرض بادىء بدء يفاوضون الانكليز في عقد القرض الاول الاّ انهم لم يوفقوا بسبب الاختلاف الناشىء آنئذ بين القومين في قضيتي شركة حصر التبغ والبنك الايراني لاستغلال المعادن

اخذت روسيا كمارك ايران (ما خلا كمارك الخليج الفارسي) ضمانة عن القرض الاول وطلبت في القرض الثاني تعديل المعاهدة الروسية الفارسية ووضع تعريف (تعريفة) جديد للكمارك . وبعد مفاوضة في هذا الموضوع توصل الطرفان الى اتفاق تجاري في نوفمبر ١٩٠١ وأقرّ هذا الاتفاق في ديسمبر ١٩٠٢ وتبادلا الوثائق الرسمية وبقي سره مكتوماً حتى فبراير ١٩٠٣ فباغتا باعلانه الجمهور

قابل الروسيون التعريف الكمركي الجديد بكل ارتياح وقابله التجار الانكليز متمعضين لانه كان يمس منافعهم بالاذى وعلى كل كان هذا التعريف انتصاراً باهراً لسياسة الدولة الشمالية

وكان موقف بريطانيا العظمى ازاء هذه القضية صعباً كل الصعوبة ولم يكن لها الاّ احدى طريقين اما ان تحتجّ على هذا الامر وتتحين الفرص لحمل الدولة الفارسية على ملافاته او تفاوض حكومة الشاه في عقد معاهدة جديدة حالاً لغلّ ايدي الروسيين في مناهضة السياسة البريطانية في فارس فرجحت الامر الثاني

بلغ بنا البحث الى امتياز دارسي . ففي سنة ١٩٠١ نال المستر دارسي امتيازاً من الحكومة الفارسية لاستغلال النفط في عربستان وتحول هذا الامتياز في سنة ١٩٠٩ الى شركة النفط الانكليزية الفارسية A. P. O. C وعقدت هذه الشركة اتفاقاً مع شيخ المحمرة ومدت الانابيب واقامت المصافي في جزيرة عبادان . وفي مايو من سنة ١٩١٤ ابتاعت الحكومة البريطانية

حصة كبيرة في شركة النفط الانكليزية الفارسية . والاختلاف القائم اليوم بين الحكومة الفارسية وبين الحكومة البريطانية على هذا الامتياز وسنفرد مقالاً في تاريخ هذه الشركة واعمالها ومشاهداتنا في ميدانها في عدد قادم

وفي سنة ١٩٠٢ زار الشاه مظفر الدين انكلترا وكان يتوقع ان ينال من الحكومة البريطانية وسام ربطة الساق الذي كان يحمله والده الا ان الحكومة البريطانية قدمت اليه صورة الملك ادورد مرصعة بالماس فرفضها وغادر انكلترا مستاء . ويقول احد كتبة الانكليز ان رجال القصر الفارسي عدوا هذا الامر استخفافاً بجلالة الشاه وانتقاصاً من منزلته فلافاة لما كان يعمت حكومة لندن في السنة التالية وفداً حمل الى الشاه الوسام المرغوب فيه

ورأينا النضال السياسي في بلاد فارس بين بريطانيا والدول الاخرى كالبرتغال وهولندة وروسيا وفرنسا وتزاحمها على بسط نفوذها على خليج فارس . ولاسيما روسيا فانها رقيبة بريطانية الدودة في هذه الحلبة . وقد كانت هذه الرقابة بين دولتين اوربيتين عظيمتين مصدر متاعب لحكومة فارس ومنشأ ازمات سياسية ولكنها كانت ايضاً في نفع مملكة العجم في ابان ضعفها وتشتت اوصال الحكم والادارة فيها لانها كانت تحافظ على كيانها باحكام التوازن السياسي بين البريطانيين والروس فتميل بسياستها الى جانب احدهما اذ ترى استفحال نفوذ الجانب الآخر ولا تزال دائبة في سياستها هذه حتى اليوم لا بل عمدت الى اسلوب جديد وهو اشراك بعض الدول في توظيف الاخصائيين الذين تحتاج اليهم في نهضتها فبينهم الالماني والبلجيكي والاميركي

ظهر في ميدان السياسة الفارسية الاوربية في اوائل القرن العشرين شعب جديد حسبت له بريطانيا العظمى الف حساب . ألا وهو الشعب الالماني فان نفوذ الالمان اخذ يتسع في الشرق الاوسط بامتياز خط حديد بغداد . فنص اتفاق سنة ١٩٠٣ مع تركيا على ان يمتد هذا الخط الى نقطة في خليج فارس . وكانت الامبراطورية الالمانية تعد الاسباب قبل ذلك لبسط نفوذها السياسي في الخليج بمختلف الوسائل السياسية والتجارية . فبدأ اسطولها بزيارة الخليج سنة ١٨٩٩ وأسس البيت التجاري ونكهوس ادارات له في مدن مختلفة في الخليج الفارسي . وفي سنة ١٩٠٦ بعثت شركة همبورك اميركا لاين بواخرها التجارية للنقل والملاحة بين اوربا والبصرة وعهدت بوكالتها الى ونكهوس . واخذ هذا البيت احتكار شراء اوكسيد الحديد من ابي موسى . ولم تخف صحافتها خطورة السياسة الالمانية . ونشطت المانيا في سنتي ١٩١٣ و ١٩١٤ لادخال الاسلحة والعتاد في الخليج

وفي سنة ١٩٠٦ ثار الشعب الفارسي على نظام الحكم الاستبدادي واراد الحكم الديمقراطي الدستوري فاضطهدت الحكومة القائمين بهذه الحركة حركة الاصلاح . فلجأ هؤلاء الى السفارة البريطانية وكان عددهم ١٢٠٠٠ نسمة ونيف فلم تنلهم ايدي الحكومة لتقبض عليهم ولم

يغادروا حمام الاّ بعد ان نالوا رغبتهم في عزل عين الدولة ورجوع المجتهدين الذين قدام هذا الرجل الى قم ونشر القانون الاساسي

لننتقل حالاً في بحثنا الى الحرب العامة . فان المملكة الفارسية بقيت محايدة ولم تشترك في الحرب العالمية الكبرى وفسحت مجالاً للدول المتحالفة والمؤتلفة تُنزل الجيوش في اراضيها فاحتلت الجيوش البريطانية ثغر بوشهر في ٨ اغسطس سنة ١٩١٥ وعينت له بريطانيا مندوباً سامياً موقتاً ووضعت السلطة يدها على البريد واستعملت الطوابع الفارسية باضافة العبارة الانجليزية Bushire under British Occupation «بوشهر تحت الاحتلال البريطاني» . ولمجموعة هذه الطوابع مقام في اعين هواة الطوابع ينالون باثمانها لقدمها وندرتها . وبعثت قوة لمحافظة ينابيع النفط في ميدان نفطون وتقدمت القوات الروسية التي كانت محالفة لبريطانيا العظمى من الشمال حتى بلغت حدود العراق لابل دخلت خانقين . وكان الشيخ خزعل شيخ المحمرة موالياً للانكليز يسهل لهم السبل . ثم تسنى للالمان والترك المؤتلفين التوغل في البلاد الفارسية بطريق كرمانشاه فهمذان بعد زوال الحكم القيصري من روسيا . وبعد الاحتلال البريطاني لبغداد تقدمت الجيوش الانكليزية في بلاد فارس من طريق كرمانشاه وتوغلت فيها . واقامت لها مصيفاً في كرند لا بل اتخذت هذه المدينة مقراً للاسر البريطانية سيدات واطفالاً

وبعد ان حطت الحرب العامة اوزارها توصل البريطانيون الى عقد معاهدة مع الفرس بمساعي السر پرسي كوكس سنة ١٩٢٠ يوم كان البرنس فيروز بن فرمان فرما وزير الخارجية الفارسية : الاّ ان البرلمان الفارسي لم يقرّ تلك المعاهدة . وتوصّل البلاشفة الى عقد معاهدة مع الفرس سنة ١٩٢١ فيها الشيء الكثير من التساهل وبهذه المعاهدة قضي على المعاهدة البريطانية الفارسية

بعد ان تولّى جلالة الشاه پهلوي عرش الاكاسرة وجّه انظاره الى الاصلاح السياسي والاداري والمالي فقضى على الامارات الاقطاعية في فارس لتثبيت الوحدة السياسية والادارية في مملكته ومن بين الامراء الذين أخرجهم من امارتهم الشيخ خزعل خان شيخ المحمرة صديق البريطانيين الحميم وأسس البنك المالي وحصر حق اصدار البنكنوت به بعد ان ارضى البنك الشاهنشاهي الايراني (المؤسس من رؤوس اموال انكليزية) بتعويض مالي ليتنازل عن حق اصدار البنكنوت . وكان آخر ما قامت به حكومة جلالة البهلوي الغاء امتياز دارسي وقد اودع حلّ القضية عصبة الامم ولا يزال امرها على بساط البحث . وسنكتب في تاريخ هذا الامتياز فصلاً كما وعدنا قبيل هذا وكل آت قريب

بغداد

العلم والاحوال الجوية

نظرية جديدة

تقلب الاحوال الجوية

يقيم علماء الجولوجية ادلّة مقنعة على ان الاحوال الجوية التي تحيط بالكرة الارضية لم تكن في الماضي ما هي عليه الآن ويثبتون انهُ أتى عليها ازمان قرس فيها البرد آناً وامتدَّ بساطا الجليد حول القطبين الى المناطق المعتدلة ، ودفىء الجوّ آناً آخر كما في بدء حقبة الحياة الحديثة (الكاينوزوية) اذ كانت درجة الدفء والرطوبة على سطح الارض اعلى مما هي عليه الآن وكان متوسط درجة الحرارة في اوربا يتباين من ٧٥° مئوية الى ٨٠° مئوية فكانت الاشجار الخامة ببلدان البحر المتوسط الآن تغطي لبلندا في شمال اوربا وجزيرة سبتسبرجن التي يتخذها قصّاد القطب الشمالي مقرًّا لبعوثهم ، وكلا البلدين — اي لبلندا وسبتسبرجن — من البلدان المشهورة بشدة بردها في هذا العصر

ولكن اذا طلبنا اليهم ان يبيّنوا لنا الاسباب الباعثة على عصور طويلة امتدَّ فيها رواق الدفء على سطح الارض ، او على عصور اقصر منها قرس البرد وغشي الجليد الكرة من القطبين الى منتصف المسافة بينهما وبين خطّ الاستواء ، حاروا في ذلك وتناقضت اقوالهم

فمنهم من يذهب الى ان سبب ذلك مرور الارض في اثناء سيرها في الفضاء خلال سديم كثيف ، حجب غبارهُ جانباً من نور الشمس وحرارتها ، فبرد سطح الارض فحدث ما يعرف بالعصر الجليدي . وان مرورها في اكثر من سديم واحد على هذا المنوال سبب حدوث العصور الجليدية المختلفة في ما هو معروف من تاريخ الارض الجولوجي . ويعترض على هذا المذهب بان الغبار الكوني الذي بيننا وبين الشمس الآن يسير جدًّا لا يمكن ان يكون لهُ بعض الاثر المذكور ، وان مرورنا في خلال سديم قد يفسر الانتقال من عصر بارد بعض البرد الى عصر بارد شديد البرد ، ولكنهُ لا يعلّل لنا حدوث عصور الدفء ، الاّ اذا امكننا ان نبيّن ان الارض آخذة في الدفء التدريجي ، وان المرور في خلال سديم يوقف هذا الفعل الى مدًى وهذا ما لم يثبتهُ العلماء حتى الآن . وثمة طائفة اخرى من العلماء تسند التقلب في متوسط الحرارة على سطح الارض وفي جوّها ، الى التقلّب في ما تطلقهُ الشمس من طاقة اشعاعها . وهو تعليل سهل ولكن هل هو تعليل صحيح ؟ اذ ليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بان الشمس تغيّر مقدار ما تطلقهُ من اشعتها زيادة ونقصاً في ادوار تبلغ مئات الالوف او الوف الوف من السنين

ظاهرة تسترعي النظر

والعلماء لا يعرفون ، ولا سبيل لهم لمعرفة المدى الذي استغرقهُ كلّ انقلاب من هذه الانقلابات في حالة جوّ الارض ، ولكنهم يستخرجون من الادلة الجولوجية ما يفهمهم بانهُ لما كانت البقاع اليابسة واسعة النطاق وسلاسل الجبال شاهقة الذرى والفعل البركانيُّ شديداً بوجهٍ عام ، كان الاقليم بارداً الى درجة الجليد. وانهُ على الضدّ من ذلك كان دافئاً جافّاً في العصور التي كانت فيها القارات صغيرة ، والجبال منخفضة وقليلة . فالعلاقة بين اتساع القارات وارتفاع الجبال وشدّة الفعل البركاني من جهة ، ونوع الاقليم من جهةٍ اخرى ، دليل على ان امتداد الغطاء الجليدي او ارتدادهُ في العصور الماضية ، لم ينجم عن مرور الارض في خلال سديم ، ولا عن تقلّب في مقدار ما تطلقهُ الشمس من طاقة ضوئها وحرارتها او اي سبب فلكيٍّ آخر

والراجح ان سبب التقلّب في حالة جوّ الارض بين الدفء والبرد ، سببهُ في الارض نفسها . فتغيّر الاقليم لم يكن سبباً في امتداد القارات او انكماشها ، وانما كان تحوّل القارات بين امتداد وانكماش ، والجبال بين ارتفاع وانخفاض وما يصحب ذلك من تغيّر في الرياح السائدة او تيارات البحار ، سبباً في تقلب احوال الجوّ المذكورة

حالة الارض الآن

فلننظر الآن في حالة الارض من حيث توزيع الارض اليابسة والمياه على سطحها لعلّنا نستطيع ان نتبيّن شيئاً من مستقبل الاحوال الجوية اذا حدث على سطحها حوادث جولوجية معيّنة

يظهر ان مساحة اليابسة على سطح الارض تبلغ الآن ما كانت عليهِ في بدء العصور الجولوجية السابقة التي تحسب عصوراً جولوجية . والراجح ان علوّ بعض الجبال يبلغ اعلى ما كانت عليهِ الجبال حينئذٍ . فاذا صحّ هذان الاستنتاجان فنحن في مفتتح عصر جليدي ، قد يكفي حدوث حادث جولوجي يسير ، لبدئهِ . فما عساهُ ان يكون ؟

الواقع ان ثمة اكثر من حادث جولوجي واحد من شأنهِ ان يفعل هذا الفعل ، ولذلك يصح ابتداء عصر جليدي جديد اكثر احتمالاً

فاذا افترضنا ان ترعة بناما شقّت شقّاً يجعل الاتصال بين المحيطين الهادىء والاطلنطي اتصالاً مباشراً بدلاً من اتصالها بواسطة احواض تتدرج ارتفاعاً وهبوطاً ، وجعل عرضها بضع مائة من الاميال ، لتحوّلت المياه الدافئة التي تسير في تيار الخليج من خليج المكسيك فتدفئ شمال اوربا — الجزائر البريطانية واسلندة وسبتسبرجن — الى المحيط الهادىء لان مستوى المحيط الاطلنطي اعلى من مستوى المحيط الهادىء ، ولقرس البرد في البلدان المذكورة

التي تدفئها هذه المياه . ولكنها تغطّى بعضها بالجليد على مدار السنة

او خذ النجد البحري الذي يفصل جزيرة جرينلندة باسكتلندة عن طريق جزيرة اسلندة وجزائر فاروز — وهو نجد تغمره مياه ضحضاحة — فانهُ اذا ارتفع هذا النجد فوق مستوى سطح البحر — كما كان على ما يظن في الماضي القريب — انقطعت كل صلة لمياه المحيط الاطلنطي الدافئة بالمحيط المتجمد الشمالي فيغطي الجليد صيفاً وشتاءً كل المناطق التي الى شمال ذلك النجد ومنها البحر الذي يغسل شواطىء بلاد النرويج ، فيصاب اقليم البلدان المجاورة لهذا المناطق بانقلاب خطير ، فيقرس فيها البرد ويتكاثف الجليد سنة بعد سنة

وليس القول بحصول هذه النتائج اذا حدثت المقدمات الباعثة عليها من قبيل التكهن بل في امكان الباحثين أن يعرفوا مقدار الانقلاب وأن يعيّنوا مدى التغيُّر في الحرارة تعييناً لا يحتمل الخطأ اكثر من بضع درجات زيادة او نقصاً . وعمل حساب من هذا القبيل معقد كل التعقيد لانهُ يقتضي النظر في عدة عوامل مختلفة في آنٍ واحد . ومن هذا العوامل أثر بقعة من الارض يغطيها الجمد في اقليم المنطقة التي تحيط بها

* * *

اذا أخذنا قطعة من الارض مساحتها متراً مربعاً وفرضنا انها مغطاة بالجمد ، في وسط منطقة دافئة ، وجدنا ان جمدها لا يؤثر أثراً ذا بال في هواء المنطقة الدافئة على بعد مائة متر . فهي تعكس اشعة الشمس المنعطفة عليها ، بدلاً من ان تمتصها فيكون الهواء الملاصق لها ابرد من الهواء الملاصق للارض التي تحيط بها . ولكن مقدار الهواء الذي يبرد بفعل الجمد يسيرٌ جداً اذا قيس بمقدار الهواء المجاور ، فكأنك تضيف قطرة من الماء البارد الى ابريق من الماء الغالي . اي اننا لا نكاد نتبين أثر هذا المقدار اليسير من الهواء البارد في المقدار الكبير من الهواء الدافىء

ولكن اذا كانت قطعة الارض التي يغطيها الجمد دائرةً قطرها ميل ، فاننا نستطيع ان نتبين أثرها في تبريد الهواء الذي فوق الارض المحيطة بها على مائة قدم او اكثر من محيطها ؛ في الناحية التي يتجهُ اليها هواؤها البارد . فاذا كان قطرها الف ميل أو الف وخمسمائة ميل بلغ أثرها في تبريد الهواء اقصى مداه

يضاف الى ذلك ان الهواء الذي يهبُّ فوق بقعة صغيرة يغطيها الجمد لا تهبط درجة حرارته الاَّ هبوطاً يسيراً ، ولكن اذا كانت مساحة البقعة كبيرة ، هبطت حرارة الهواء الذي يهبُّ فوقها هبوطاً كبيراً . فاذا كان قطر البقعة الف وخمسمائة ميل بلغ أثر الجمد في تبريد الهواء اقصى مداهُ ، فلا يزيد هذا الأثر بعد ذلك بزيادة مساحة المنطقة التي يغطيها الجمد

فاذا جمعنا بين هذه الحقائق وغيرها مما حققهُ العلماء بالبحث الدقيق — بالاستنتاج النظري المؤيد بالمشاهدة والتجربة — وجدنا ان أثر منطقة يغطيها الجمد في تبريد الهواء فوق البلاد المجاورة

لها يختلف باختلاف مساحتها حتى تصبح مساحة هذه المنطقة مليون ميل مربع فيبلغ أثرها حينئذٍ اقصى مداه أو تقل زيادة أثرها بزيادة مساحتها حتى لا تكاد تذكر . وعلى هذا الاساس ذهب الباحثان كرنر Kerner وبروكس C. E. P. Brookes الى انهُ لو كانت كل البحار والمحيطات خالية من الجليد ، ثم هبطت الحرارة حول القطب الشمالي درجة واحدة بميزان فارنهيت تحت درجة تجمد مياه البحر لافضى ذلك الى تكوُّن غطاء جليدي قطره نحو اربعة آلاف ميل . وعندئذ يصبح للرياح التي تهب فوق هذه المنطقة المتجمدة اثر كبير في تبريد هواء المناطق المجاورة لها

الفعل البركاني وبرد الارض

يتضح مما تقدم انهُ لو كان للارض ما يمكنها من تخفيض حرارتها تخفيضاً ذاتيًّا درجة أو درجتين أو ثلاث درجات على الاكثر ، لامكنها ان تنشىء الغطاء الجليدي من تلقاء نفسها ومن دون اي فعل خارجي كفعل الغبار الكوني أو التقلب في ما تطلقهُ الشمس من الحرارة والضوء . والظاهر ان لها هذا ، حتى من دون ان يزيد اتساع القارات أو ارتفاع الجبال — وهي العوامل التي اجتمعت في العصور الجولوجية السابقة لما امتدَّ الجليد وقرس البرد —

ذلك انهُ متى ثارت البراكين قذفت في الجو مقادير كبيرة جدًّا من الغبار الدقيق لا يلبث ان ينتشر ويمتدَّ فيضرب فوق سطح الارض سرادقاً لطيفاً ولكنهُ في الوقت نفسه فعَّالٌ في حجب جانب غير يسير من حرارة الشمس وضوئها ، فينشأ عن ذلك خفض حرارة الارض وجوها

ولهذا الرأي ما يؤيده من المشاهدة والتاريخ . ففي سنة ١٧٨٣ ثار بركان «سكابتاريوكل» في جزيرة اسلندة وبركان «اساما» في بلاد اليابان ثوراناً عنيفاً فحفل الجو بالغبار الدقيق الناشىء عن ثورانهما ولاحظ بنيامين فرنكلن — وكان في باريس حينئذٍ — ان اشعة الشمس اذا جُمِعت بعدسة محدّبة لا تكاد تحرق ورقة سمراء . وكانت السنوات التي تلت هذا الثوران المزدوج قارسة البرد . وتعرف سنة ١٨١٦ بالسنة التي لا صيف لها لشدة بردها وقد تلت ثوران بركان تمبورا في جزيرة سومبارى على مقربة من جزيرة جاوى . وفي ٢٧ اغسطس سنة ١٨٨٣ قذف بركان كراكاتوى في مضيق سُندَة مقادير كبيرة من الغبارة الدقيق الى ما فوق الغيوم فظلَّ هذا الغبار حابسًا أو ثلاث سنوات ذا اثر في تغيير ألوان الشفق في كل البلدان وخفض متوسط الحرارة . وفي ٦ يونية سنة ١٩١٢ ثار بركان «كاتماي» بالاسكا فملأ غبارهُ الجو فوق النصف الشمالي من الكرة الارضية فضعف ضوء الشمس وخفضت حرارتها

فلنفترض الآن — وليس في هذا الافتراض ما هو غير معقول — ان ثوران بركاني اساما وكراكاتوى اصبح اكثر حدوثاً اي نحو مرتين أو ثلاث مرات في السنة مدى مائة سنة — والمائة سنة كطرفة عين في امتداد الزمن الجولوجي — أو مدى خمسين سنة أو عشرين . فا

ينشأ عن ذلك من تحول في الاحوال الجوية الاقليمية رائلاً كان هذا التحوُّل أو باقياً

ان النتيجة السريعة التي لا مندوحة عن حصولها هي انخفاض بيّن في متوسط الحرارة في كل فصل من فصول السنة . وهذا الانخفاض يقضي الى امتداد الغطاء الجليدي في كل الفصول كذلك . وامتداد الغطاء الجليدي ينشأ عنه ضياع جانب من حرارة الشمس لان الجليد يعكس اشعتها ولا يمتصها . ثم انهُ يفعل الرياح التي تهب من فوقهِ الى البلدان المجاورة لهُ يخفض متوسط حرارتها كذلك كما بيّنا في ما تقدّم . ثم ان مقدار البخار المائي في الهواء — وهو بمثابة دثار للارض يقيها من اشعاع الحرارة التي تمتصّها — يقل لان مقدار البخار الذي يمكن ان يحتويهُ مقدار من الهواء يقل بانخفاض حرارة الهواء . فينشأ عن كل ذلك تحولات ثانوية في الغيوم والرياح والعواصف وكل الظواهر الجوية بوجهٍ عام

عودة الدفء . . . ؟

على ان سائلاً قد يسأل : اذا افترضنا ان هذه البراكين اطلقت كل ما في جوفها وخمدت بعد ثوران متواصل مدة عشر سنوات أو عشرين سنة أو خمسين سنة . افلا تعود الارض حينئذٍ الى سابق عهدها من الدفء والجو المعتدل ؟ والجواب : قد تعود وقد لا تعود . كل ذلك رهن بمدى انحرافها عن متوسط حرارتها المعتاد . فنحن نعلم اننا اذا أمَلْنا جسماً عن قاعدته ميلاً خفيفاً وتركناه عاد الى وضعهِ السابق . ولكن اذا كان الميل كبيراً فقدَ توازنه وهوى

وهذا المبدأ ينطبق على امتداد الجليد والثلج على سطح الارض في عصر هبطت فيه حرارة جوها وسطحها . فاذا كان هبوط الحرارة يسيراً قصير المدى وامتداد الجليد والثلج قليلاً ، تكفي ازالة السبب الباعث عليهما لعودة الحالة الجوية الى اعتدالها السابق . اما اذا كان هبوط الحرارة طويل المدى وامتداد الجليد والثلج عظيماً ، فازالة سبب البرد لا يكفي لزوال نتائجه . بل قد يزداد أثر البرد بعد زوال سببهِ لأنّ المناطق المغطاة بالجليد تمضي في زيادة برودة الهواء في المناطق المجاورة لها بما تعكسهُ من حرارة الشمس بدلاً من ان تمتصه

***

وليس الغرض مما تقدم القول بأننا في مفتتح عصر جليدي ، وانما الغرض ان نقول ان الارض ليست بمأمن منهُ من الناحية العلمية ، وان نبين كيف يتم اذا تهيأت لهُ الظروف

وقد لخصنا هذا الفصل عن بحث للسنر همفريز استاذ الظواهر الجوية في كلية جورج وشنطن ومدير مكتبة الظواهر الجوية بوشنطن سابقاً

بيت الراعي

عن الفرنسية للشاعر ألفريد دي فيني
نقلها ميشيل جورجي الهندس

اذا كان قلبك وهو يتلوى تحت اعباء الحياة كالنسر المجروح — يجالد بجناحه المتمزق اجواء عالم جائر بارد — وهو يتنزى دماً من جرحه القاتل وقد غابت عنه نجمة الحب الهادية التي كانت تنير له السبيل

واذا عافت روحك الحبيبة مذاق تلك الحياة المريرة . كزاد ذلك الشقي السجين — الذي يقدم له وهو يغالب بمجذافه امواج البحر بنفس مكتئبة ووجه شاحب — بينما يبحث من خلال دموعه عن مهرب مجهول بين الامواج . فترده رؤية ميسم العار مطبوعاً على كتفه بحروف من نار

واذا سئم جسمك المهتز بالعواطف الدفينة جوارح النظرات . فراح يبحث له عن مخابىء قصية يخفي فيها جماله من المهانة . واذا انفت شفتاك من سم الكلام الكاذب ، واذا تورد خداك حياء مما ترينه وتسمعينه في عالم ملوث فاجر

اهربي بشجاعة عبر الفلاة واتركي العمران : لا تدنسي قدميك بغبار الطريق ، وانظري من شواهق افكارك الى المدن المستعبدة ، والى الغابات والغياض — منطلقة في حرية البحر حول الجزر — ولتكن هناك زهرة في يدك

هناك تجدين الطبيعة تنتظرك في عبوس وأكتئاب ، حيث يرفع العشب الى قدميك برد المساء ، وتهدهد الشمس المودعة ترنح الزنابق المتأرجحة كالمجامر ، وقد بدأت صورة الجبل يلاشيها الخفاء ، وفروع الصفصاف تتدلى في تراخ ...

والغسق الحاني جاثم بالوادي على العشب المتماوج في الوان الزبرجد والذهب ، والسعدان الناعي على ضفاف الغدير ، وفي الغابة الحالمة التي ترتعش ذوائبها في الهواء ، هناك يسل من مخبأه بين الاشواك ، سيلاً ضيلانه القاتم على الضفاف ... فتحاسجن الليل ...

وعلى الجبل تجدين كلأ لم تطأه قدم الصياد بعد ، يشرف من علٍ على الراعي والغريب العابر . فتعالي بنا نخفي حبنا ونخبىء خطايانا الملهمة . واذا لم تطمئني الى علو الكلأ واستقراره ، فاني ادحرج لك بيت الراعي ...

هذه العربة — أو البيت — تمشي على عجلتها في هدوء ، وسقفها مائل قليل الارتفاع ، احمر في لون المرجان الذي هو لون خديك ، وعتبتها معطرة ، داخلها نسيم وأريج : هناك بين الازهار نجد في الظلمة راحة وفراشاً وثيراً

الادب التركي [1]

آثار توفيق فكرت وحسين جاهد

ان اخلاق الناس وقوة نفوسهم وأعصابهم وأذهانهم ، وأساليب العيش الذي يعيشونهُ وروح الفن الذي يحملونهُ في كل وجوه العمل ومطالب الحضارة ، لا يمكن ان تتجلى مجملةً في صورة واحدة ، الا في الآداب التي تخرج من الناحية السامية فيهم ، وهي كتابهم وشعراؤهم واهل التفكير منهم . فانت تستطيع ان تدرك طرفاً من شعور الفرنسي ونظام بيتهِ واخلاقهِ ، وقوة الروح الفنية عنده من قراءتك كتب فيكتور هوغو وحدها ، وان لم تتم برؤية فرنسا آخر حياتك ، ولم تتقلب في بلادها ، وتدخل مغانيها وبيوتها ، وتظفر بصداقة مع طائفة من افرادها . وكذلك تستطيع ان تفهم من الادب التركي اي نفوس كانت تحمل الترك ، واي اعصاب كانت لهم ، واي اخلاق كانت تتخلق ، بل انك قادر ان تتبين من طرازهم في العمارة وهذه التماثيل والتثنيات التي كانوا يزينون بها شرفات قصورهم ومظلاتها وقبابها ، روح ناطق كامل بك في معرجاته واستفاضاته . ومن ادبهم الذي لم يكن يحتوي غير حكايات قصار ، ونوادر موجزة ، وابيات افذاذ وكلمات مقتضبة ، تستطيع كذلك ان تعلم انهُ قد كانت لهم نفوس قلقة ، وقلوب وثابة ، واعصاب حارة ملتهبة ، فلم يكونوا يطيقون الصبر على البحث الادبي المستفيض ، والكتابة التفكيرية الممتدة ، اللهم الا في حدود الفقه والحديث وعلوم الفارسية واشباه ذلك ، وهذه كانت لا يطيقها الا شيوخ منهم يحسنون فتور العلم ، ويحملون في اعصابهم العلمية برودة القطب

واذا تقرر ذلك فان الادب التركي كان الى عهد قريب يحمل مفاسد الجيل وطبائعه واخلاقه ، وعوارض الانحطاط الذي كان يسود كل ناحية من نواحي الحياة المريضة التي عاشتها تركيا . ونحن واجدون في كل ما يخرج من افواه شعرائهم ، وتقذفهُ المطابع من اقلام كتابهم وشعرائهم صوراً شتى من غرائب الطبائع التي نشهد آثارها في حياتهم ، اذ كان كل ما كتبهُ هؤلاء وانشأوه يجري مع مطالب الجمهور ، وينزل على حكم السواد الاعظم ويدخل على قلوب العامة

---

(١) من محاضرة الاديب نقولا نكري القاها بدار جمعية موظفي الحكومة المصرية بالاسكندرية بدعوة من جمعية الادب المصري

واشباههم من ناحية ما يحبون ، ويطالعهم من ناحية ما يفكرون ويعتقدون . ومن ثم كان الجمهور العادي في تركيا هو الذي يقود التفكير ، ويسيطر على الذهن ، ويستبد بكل منتجات القرائح وثمرات العقول ، وما كان الكتاب الذين تأبى عليهم مطالب الربح والذكر والشهرة الا ان يتابعوا هذا الجمهور الذي لا يزال في طفولة الحياة ، ولا يزال يعيش بروح الماضي

***

على ان الادب التركي مالبث ان انتعش في القرن الاخير ، وخرج من حدود الطفولة الى ادوار الحياة القوية المكتملة اذ جاء عديدون من كبار الادباء يدخلون على هذا الادب الضعيف روحاً جديدة من التهذيب ، وسيلاً عدة من التفكير العميق ، ومن لا يخفى من دلائل النضوج ، وسمو الذهن ، وبواكر العبقرية ، وهؤلاء الذين رفعوا لواء الادب التركي الجديد هم الذين سيتناولهم البحث دون غيرهم من الادباء الاقدمين

ونحن غير آخذيهم بالدور ، ولا متناوليهم بالترتيب والتعقيب ، وانما نتركون انفسنا على سجيتها وعنان خواطرها ، فقد نجيء بآخر كاتب قبل اول اديب ، ونبدأ من الذيل ونترك الرأس ، فنتناول الاديب من عرض جماعته ، وسفوف طبقته وندع صدورهم ، ونترك وجوههم

***

وبعد ، فقد اخترنا ان نتحدث عن توفيق فكرت بك شاعر تركيا وأديبها الكبير المتوفي منذ بضع سنوات

في الصف الاول من صفوف الكتّاب العصريين ينهض هذا الرجل الخصيب الذهن ، القوي الاثر ، وقد أحدث في الآداب التركية تغييراً خطير الشأن ، وارسل في أرواح الشباب والمتحدرين الى المستقبل تطوراً شديد السلطان ، اذ كان في الحياة العامة قائداً يمشي في اثره كثيرون من المتطلعين الى التهذيب ، النازعين الى مناهضة المباديء القديمة التي لا يزال بعض عليها بنواجذه سواد طبقات الشعب التركي . ولعله كان محدثاً اكثر مما احدث لو انه غالب الحب الذي يتغلغل في نفوس اكثر الناس نزوعة المنصب الحكومي وخدمة مقاعد الادارة ، أو لو انه اذ جلس مجلسه ، وتولى منصبه ، لم ينس الناس ، ولم ينصرف عن الجمهور ، ورضي بعمل هين ليس فيه من متعبة الا كثرة الامضاءات والتوقيعات ، ومراجعة القوائم والكشوفات

على ان الحكومة لم تأخذه اليها الا يوم نشبت الحرب ، وطارت شرارة المجزرة ، وخمد صوت الفكر متبدداً في تضاعيف صوت القنبلة ، وانكمش المفكرون متضائلين امام اهل السيف فلم يكن ثمة سبيل الى هذا الرجل المفكر ان يرسل قلمه في تفاسير السياسة ، وينطلق في شرح اعاصير الدول ، ويخوض في نبوآت الحرب . وكان الرجل لا يزال مهيب الفكر عند الحكومة ، محترم الذهن عند كبارها ، فلم يسع انور باشا الا ان يذهب اليه فيهمس في اذنه : «ايها الرجل

المفكر ، ليس لك الآن محل في الحرب . ان زملاءك اليوم في الامم المحاربة قد سكتوا ، اذن فتعال عش في دار الآثار ، تعال أخرج لنا من هذه المطمورات تمثالاً للمفكر منسيًّا »

حتى اذا استرسلت الحرب في عنفها وفكرها وصريخها ، لم يلبث ان ملَّها الناس ، واعتادوها ، ورضوا بالآلام التي تجيئهم من ناحيتها ، وراحوا يتلمسون عنها العزاء . ويتفقدون السلوى وليسوا بحاجة الى شيء مثل القراءة ، ولا أذهب لاحزانهم من الكتب ، لانها تفسد جراحات النفوس ، وتمكن آلام الاذهان ، اذ كانت مواد التسعيرات جعلت مطالب المعد تسود على مطالب العقول ، وقد تعب الناس من كثرة التفكير في الاكل ، اذ علموا ان الحرب ستأكل الجزء الانساني فيهم ، وتدعهم نوعاً جديداً من الحيوانات المتكلمة ، اذا لم يحتفظوا بقلوبهم واذهانهم . وكان هذا الرجل المفكر يستطيع في ذلك الزمن الاحمر القاني من دماء الابرياء ان يكون بلسماً ، وكان فكره الخصيب خليقاً بان يكون معزياً ومواسياً ، ولكنه ترك الناس لآلامهم ، وجعل نفوس القراء المتلهفين على قراءة البديع من الفكر في سكون اشبه بسكون الموت ، ولم يخرج للجمهور الا نادراً ، وقد كان ذلك يوم هجوم الحلفاء على الدردنيل فقد نظم قصيدة طويلة هي صرخة قوية يستنهض بها الهمم ويستثير الحماسة قال في مطلعها : —

« لقد دق ناقوس الحرب في الدردنيل وصيحات المتطوعين الباسلين تدوي في فضاء السواحل الجبلية ، هذا النور هاتف ينادي الى الجهاد ، وهو الذي ظهر في الارض التي حول طرابلس بطلا متديناً ووقف لا خوفاً ولا رهبة ، وثبت وهو قليل حيال الاعداء وهم كثيرون

« وهؤلاء المقاتلون انجبتهم سيطهرون البلاد من القسوة والشناعة بشجاعتهم وبسالتهم

« ان لي ايماناً شديداً بأنهم انتصارون بالنصر ، ولكن ابتهاجي بيوم الخلاص ، سيدل عليه الجداد حزناً على التضحيات الغالية »

ومما يروى عنهُ بعد ذلك انهُ ادخل نجله « خلوق » في « كلية روبرت » الاميركية بالاستانة فوقع تحت يده دفتر من دفاتر الفروض المدرسية وقد رسم في اعلاه العلم الاميركي وكتبت تحته بالانجليزية هذه العبارة : « نعيش لنعيش » فرسم النتى صورة العلم التركي الى جانب العلم الاميركي وكتب تحته بالانجليزية العبارة الآتية : « نموت لنعيش » فاثار بذلك شاعرية ابيه فنظم قصيدة عنوانها « الى ولدي » وهذه القصيدة تعد من عيون قصائده وسأتلو على حضراتكم بعض ابياتها بالتركية ثم اتبع ذلك بترجمتها العربية . قال الشاعر : —

« بني ... لو اني حملتك جافاً ، واسلمتك لهذا الخصم المصطخب ، وخلفتك طعمة لهذه الاعماق

« انت ولو انك لم تعهد الخوف ، هل تدري ماذا يكون المآل ؟

« ان هذه الصفحة الوجراحة طافحا تبتغك بحق بك الفزع ، فتصيح وتجاهد تلمساً للخلاص ، ولكنك لن تستطيعه لان هذا اليم يحيف عليك بكلكله ويجتذبك بقوة عديدية الى الاعماق

« هنئي يا بني هي الحياة . آليت الا تجرع مثلي هذه الكاس المريرة . وربك . ان البشر سوف يرجون ان يخطو العالم خطوة جديدة في سبيل الخلاص

« ما انا فلا ادري كيف تكون الوسيلة الى هذه الغاية . ترى هل يتاح للانسانية المعذبة المفجوعة بفرع الذرورة خطوة خطوة ؟

« صدقني يا بني ، انه شقاء ابدي ، وامه غش وخداع . . . »

وبعد ، فلعل من اشهر مميزات توفيق فكرت بك انهُ يخص قومه بالوجهة اللامعة من آثاره ، حيث يجري في احساسه عامل نفسي طبيعي يصرخ ابداً فيه ، وهو عامل الحيوية القومية الخفية في الفرد ، هو شعور مختجب غريب يربط الانسان بالحياة الاجتماعية التي يعيش فيها ، وكذلك كل كاتب يعيش في امة حية، فاذا كتب فانما يعطي الانسانية آداب امته ، وينحني امام هذا العامل النفسي القوي فيعد هذه الآداب اكبر مقياس لآداب الانسانية كلها ، ومن هنا نشأ الزهو الاجتماعي السائد في الامم الحية الشاعرة بذاتيتها المحسة حيويتها

ولعل ابدع ما كتبهُ هذا الشاعر قطعة خالدة دعا فيها الى الوحدة الروحية بمحو التعصب للجنس والتعصب للون ننقل شيئاً منها فيما يلي . قال : —

« لقد اسرفت الامم في الاثرة والانانية . وفي العصبية الجنسية التي تمسك بها فريق من اهل الامم المتحضرة

« ولا شك عندي في انه يجب ان تزول الاثرة وان يزول التعصب للجنس والتعصب للون ، ويجب ان يشعر العالم ان هناك وحدة روحية تربط امته المختلفة ، والوسيلة الوحيدة لقهر الانانية ولزوال التعصب الجنسي ليست هي الحديد والنار وانما هي انتشار الافكار السلمية بين الشعوب وسيها لادراك الحقيقة وفي هذا تم السلام على الارض . لان السلام لن يترتب على عمل صناعي مطلقاً كالاتفاقات الدولية ومعاليها انما الوسيلة الوحيدة لتحقيقه هي الوحدة الروحية »

* * *

ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن اديب كبير من الاحياء حكم له ادباء الترك بالتفوق وشرفتهُ الحكومة بالالقاب وهو حسين جاهد بك الذي مارس صناعة القلم زمناً غير يسير اذ كان يرأس تحرير جريدة « طنين » الشبيهة بالرسمية

وقد آثر جاهد بك ان يضع افكاره وفلسفته وآراءهُ في اساليب حلوة من الرواية ، وموضوعات سهلة من القصص حرصاً عليها ان تروح مستقلة على اذهان الجمهور . مستغلقة الفهم ، باردة الروح ، مستكرهة الطعم . وهو لذلك يعد في طلائع الروائيين ومن اكابر المفكرين ، مذ كان في الرواية اسمى فروع الادب الصحيح المتحضر المنتعش ، وهو في الغرب قد اصبح جماع علومه وآدابه وفلسفاته ومبادئه

ولقد يكون جاهد بك اصدق كاتب تركي في نقل صور الحياة التركية ، هو مصور متفنن يتعمد ألاَّ يغير من الواقع ، ولا يزخرف ولا يلطف من خشونة الصور او قبحها ، وكلَّ ما في الحياة التركية مما رآهُ او استكشفهُ ضمن قصصه

وقد تعمد جاهد بك ان يبني وقائعه على الحقيقة ، ومن الممكن ان يكون أشد الروائيين غلوًّا في مذهب الحقيقة « رياليست » هذا الى آرائه النظرية التي يحتط بها حوادث الرواية . وهو ذوق ظاهر في فنه يتوخاه دائماً ولكن دون ان يكون له اي تأثير في القصة . وأميز ما

يمتاز به جاهد بك ان يشعرنا بالحياة في القصة ، الحياة المنقولة بامانة وصدق كما هي في الواقع ، وانا لنحسب ونحن نقرأ رواياته اننا نرى الاشخاص ونسمعهم بل ونشمهم . ومهما يكن من جهل قارئه بتركيا واجتماعها فانهُ لا يعتوره اي شك في صحة الصورة التي يقدمها اليه في احدى رواياته ، وصفوة القول أن غاية جاهد بك تنحصر في ان يقرب للفرد التركي ما استطاع صورته الحقيقية في المجتمع . وقد نجح

ومن اشهر قصصه قصة اشتراكية عنوانها « وكانت الذئاب تعوي » ونحن ناقلون فيما يلي فصلاً من هذه القصة الطريفة. قال : —

«جرى ذلك في الغابة عند الفريق الاخير من احدى ليالي الخريف اذ كانت الذئاب تعوي»

«وكانت الاوراق الذابلة تنفصل عن الاشجار بتؤدة كما تتبدد احلام المرء اذا صحا من نشوته

«وتسقط على رؤوسنا بخفيف يشبه الزفرات الحصيرة . فما اتعس نهاية احلامنا ! وكان ذلك الخريف حزيناً يبكي وينتحب في الظلام خلال الاغصان مع الحشرات الاخيرة التي كانت تأوي الى بعض الشقوق والجحور فتموت هناك او تختفي تحت قشرة جافة تأتت من جذع الشجرة قتيلا

«وكانت الذئاب تعوي

«اما عواؤها فكان صوتاً شديداً كانه دوي عاصفة قوية ، وتارة تشكو الغضوب الناجز فينتشر فوق الاشجار الناجية هنيهة ، ثم تعود تلك الظلمات الى سكونها ، وينقطع دبيب الحشرات وعلك الليل نسماته فيلتقي بهدوء تنفس الخائف الحذر

الى ان قال : —

عوت الذئاب من جديد عواء شديداً مزعجاً حتى لقد اعتقدنا ان ضوء نارنا يزعجها فتهيم سوكا مضطربة مضيقة خناقها

قال رفيقي : ما أقبح هذه الوحوش

فاجبته : لقد خافت النار

قال : كلا . ولكن العالم ضيق حتى على الحيوانات فليكن ملعوناً . فتحرت كان آلماً عميقاً يجيش في صدره ، وكان وجهه مصفراً تنم عليه اضواء النار فيضيع كانه شبح من الاشباح

وعاد صديقي الى الكلام قال : اني تعب . اود ان انام نوماً طويلا عميقاً

قلت له : نم وانا اقوم على الحراسة . فتمتم قائلا بلهجة التوبيخ : ايها الخبيث انك لم تفهم مرامي اريد ان اقول لك نوماً طويلا بدون يقظة . نوماً ابدياً

ماذا اصابك ؟ اني تعب . تعب جداً من الحياة . بعد السجن وفي الحرية . اف لهذه الحرية انها اضيق من السجن . اصغ الي . أ وبعد ان أتى على تفصيلات فراره من السجن وقتله الجندي الذي كان يقوم على حراسته قال :

هذه الارض ضيقة . لقد اقتفتني الظلمات في الليل حيث حجبت عن عيني جنة حارسي . واستمر النهار جائشاً مزبداً متجلداً في ابراده ملاطفا الصخور ليكتسب شيئاً من النعومة وشيئاً من الحرية التي لا يستطيع نيلها الا بتدمير ضفتيه وضفياه على الارض بحمل الدمار والموت . وكنت حينما التفت اجد مشهداً واحداً من الطبيعة . لا بد من التدمير والقتل لاحراز الحرية . وقد سقوت في الظلمات وضاقت في الغابة . الغابة والليل كلاهما أسود كالحياة ، مملوء بالجنايات كالحياة

«تشخش العشب الجاف . ومر امامنا ارنب فهزم أمام وحش ضار فقلت : اشهد ذاته . كل خليقة في العالم تنازع وتفترس خليقة اخرى . وعوت الذئاب من جديد

فالتفت الي وقال : هل سمعتها ؟ هذه الوحوش الضارية تقوم بجنازة حريتي وشكواها لا تنتهي ابداً . والعالم ضيق . ضيق . ضيق »

(في فصل تالٍ يتناول الكاتب أدب خالدة اديب خانم)

الحرب الكيمائية

لحبيب اسكندر
ناظر القسم الثانوي بجامعة القاهرة الاميركية

— ٢ —

﴿ الدخان ﴾ عدا الغازات السامة يوجد نوع آخر من المواد يستخدم في الحرب لتوليد دخان فقط . اعني دخان غير سام والغرض منه احداث حواجز لاخفاء مواقع الجند ومواضع المدافع والسفن والطيارات عن نظر العدو . ثم لتمكين الجيوش من الانتقال ونقل الذخائر وعمل الاستعدادات الحربية في وضح النهار من دون ان يتمكن العدو من كشفها والوقوف عليها . وقد كانت هذه الاعمال تعمل تحت ستار الليل الحالك . فكان في ذلك مشقة وتعب وعدم اتقان . ويشترط في الدخان الصالح لعمل الحواجز ان يكون مانعاً لحجب ما خلفه عن الانظار وان يكون ثابتاً لا يستقر سريعاً بل يبقى معلقاً في الهواء زمناً كافياً

وقد اهتدى الكيماويون الى كثير من المواد التي تصلح لتوليد مقادير وافرة من الدخان تملأ الفضاء سحباً تحجب ما خلفها او ما تحتها عن الانظار . واشهر المواد التي استعملت لهذه الغاية الفصفور وثالث اكسيد الكبريت وحامض كلورور الكبريت ورابع كلورور القصدير ورابع كلورور السلكون ورابع كلورور التيتانيوم ومعظمها يتحد بالهواء او ببخار الماء الموجود في الهواء فيكون دخاناً كثيفاً . واشهر المواد المولدة للدخان مخلوط يسمى مخلوط Berger يتركب من خارصين ورابع كلورور الكربون وكلورات السوديوم وكربونات المغنسيوم . فعند ما تضرم فيه النار تتولد ادخنة كثيفة من كلورور الخارصين والكربون . وتوضع المواد المولدة للدخان في صناديق او اسطوانات خاصة وتضرم فيها النيران او تعرض للهواء واحياناً تفرغ في قنابل تقذف . والغرض من حواجز الدخان : —

(١) اخفاء المدافع والجيوش المهاجمة ثم اخفاء الطرق والمراكز الحربية الهامة وحجب الضوء الذي تحدثه المدافع عند اطلاقها فلا يراها العدو . والحيلولة دون الاستكشاف الهوائي

(٢) ايهام العدو أن في الهواء غازاً سامّاً . لان الغاز السام يخلط عادة بالدخان فيعتقد العدو انهُ من الخطر البقاء في سحابة دخان دون ان يلبس كمامة الغاز السام

(٣) تضليل العدو وتوجيه نظره الى جهات لا هجوم فيها فيضطر الى ابقاء جيوش وذخائر في هذا المكان دون ان تدعو اليها الحاجة

هذا وهناك نوع من الدخان الملون منهُ الاحمر والازرق والاصفر والاخضر والارجواني يستعملونهُ في الحرب لاعطاء الاشارات ونقل المخاطبات . ودخان المخاطبات هذا يتكوَّن باضافة مواد معونة الى المواد او المخلوطات المحدثة للدخان العادي او بتفاعلات كيماوية خاصة

كانت المخاطبات تتمُّ فيما مضى بالرايات ثم استبدلت بها التلغرافات والتلفونات الكهربائية. ولكن استخدام الغازات السامة والمفرقعات الشديدة والادخنة الكثيفة اضطر الجند الى الاعتصام بالخنادق والحفر وجعل رؤية الاشارات في ميدان القتال متعذرة بل مستحيلة . فليس اسهل على الجندي والحالة هذه من ان يقرأ دخاناً ملوناً بالنهار او لهباً ملوناً بالليل ليرشده الى ما يجب عمله

المواد المحدثة للحرائق : —

تكلمنا على الغازات السامة وانواعها المختلفة ثم على حواجز الدخان والاغراض التي تستعمل لها . وامامنا طائفة اخرى من المواد الكيمائية الحربية الغرض منها احداث حرائق في المباني والاستحكامات الحربية التي تقذف عليها

من المعلوم أن الفصفور يشتعل من تلقاء ذاته اذا عرض للهواء لذلك فكر البعض في استخدامهِ كمادة محدثة للحرائق . ولكن التجربة دلت على ان استخدامه لا يحقق الغاية كلها وانهُ لا يصلح الاَّ ضد المواد السهلة الالتهاب مثل اشعال غاز الايدروجين في البلونات واشعال مستودعات البنزين في الطيارات . او حرق الاعشاب الجافة . وأما أثره في الخشب والمواد الاخرى فضعيف وذلك لان درجة احتراقهِ منخفضة ثم لان ناتج حرقهِ وهو خامس اكسيد الفصفور مادة واقية من الحريق

ولكنَّ الباحثين وجدوا في «الترميت» ضالتهم المنشودة . والترمت مخلوط من مسحوق الالومنيوم واكسيد الحديد . فاذا اشعل هذا المخلوط تولَّدت حرارة عالية بسرعة فائقة . ثم ان المواد المنصهرة الناتجة من التفاعل اذا سقطت على مواد قابلة للالتهاب احدثت فيها حريقاً هائلاً . ولا يستخدم الترمت منفصلاً بل يضيفون اليهِ مادة سريعة الالتهاب مثل الزيت الصلب، تشتعل أولاً بالترمت ثم يمتد الاشتعال منها الى المواد التي يراد حرقها . وبهذا المخلوط يمكن احداث لهب ارتفاعه ١٥ قدماً فيمكن استخدامه في حرق الجدران والسقوف وغيرها

وقد اخترعوا مواد تحترق من تلقاء ذاتها اذا قذفت على الاعداء واساس هذه المواد الفصفور وزيت الوقود وبتغيير المقادير يمكن الحصول على مخلوطات او زيوت منوعة تحترق بمجرد تعرضها للجو في مدد تختلف من ٣٠ ثانية الى دقيقتين . واذا اضيف اليها فلز الصوديوم نتج مخلوط يحترق اذا نثر على سطح الماء . وهذه المخلوطات توضع في قنابل او قذائف خاصة وقد توضع احياناً في اجهزة تسمى قاذفات اللهب . وعند فتح الصنبور تندفع هذه السوائل بقوة حتى لقد يبلغ مداها من ١٤ الى ١٧ متراً . والى القارىء بيانات انتجتهُ اميركا من الغازات الحربية

الغاز	وطل انكليزي
الكلور	٧ ٦٥٤ ٠٠٠
الكلوروبكرين	٥ ٥٥٢ ٠٠٠
الفوسجين	٣ ٢٣٣ ٠٧٠
غاز الخردل	١ ٤٢٢ ٠٠٠
الفسفور الابيض	٢ ٠١٢ ٠٠٠

الغاز	وطل انكليزي
رابع كلورور القصدير	٢ ٠١٣ ٠٠٠
برومور نزل سيانيد	١٠٠ ٠٠٠
كحمة غار سام	٦ ٦٩٢ ٠٠٠
كحمة للخيل	٥٧٧ ٨٨١
.. .. ..	.. .. ..

﴿ الغازات في زمن السلم ﴾ كثير من الناس يتهمون العلوم الطبيعية بأنها السبب في زيادة وسائل التخريب وانها قد جعلت الحروب افظع مما كانت عليه ولكن الذين يصمون العلوم بهذه الوصمة قد نسوا ان لكل اختراع علمي فوائد ومنافع سلمية اضعاف مضاره الحربية . فالمفرقعات والاسمدة مواد ذات اساس واحد . حتى المفرقعات نفسها تستخدم في عشرات من الاغراض السلمية مقابل كل غرض حربي واحد. كذلك الحديد مادة تصنع منها الحراب والمحاريث والسكك الحديدية والسيارات وآلات الخياطة وآلاف العدد والادوات اللازمة لسعادة الانسان ورفاهيته. وعلى هذا القياس يصح ان ننظر الى غازات الحرب على انها نتيجة طبيعية لمباحث الكيمياء الصناعية في اوقات السلم التي غرضها استنباط اسمدة واصباغ وعطور وأدوية رخيصة

بعد استخدام الكلور في الحملة الغازية الاولى شمر الباحثون في الدول المتحاربة عن ساعد البحث والاستنباط . وفي مدى ثلاث سنوات ونصف كشفوا عدداً كبيراً من المواد السامة التي استخدموها في الحرب . وبعد ان انقت الحرب اوزارها وجهوا بحوثهم الى استخدام هذه المواد المتراكمة في اغراض سلمية . فوجدوا ان كثيراً منها يصلح لغايات كثيرة فالكلور يستعمل مطهراً ومنقياً لمياه الشرب لانه يقتل جراثيم الحيات . ثم انه يستخدم في صناعة قصر المنسوجات ويستعمل في المعامل لاغراض عدة . كذلك وجدوا ان الكلوروبكرين وكلورور السيانوجين وبرومور يمكن الاستفادة منها في قتل الحشرات التي تفتك بالحبوب . والحامض الايدروسيانيك من اشهر المبيدات للحشرات التي تفتك بالبرتقال والليمون . وغاز الفوسجين يدخل في صناعة كثير من الاصباغ الخضراء والزرقاء والبنفسجية والحمراء. ولما كان رخيصاً وصنعه سهلاً يمكن الاستفادة منه في ابادة الفيران والجرذان واشباهها. وغاز الخردل يستخدم علاجاً لكثير من الامراض كالسرطان

من الغازات المبكية او المسيلة للدموع مركب صلب يدعى Chloracetophenone اذا سخن تصعد سحاباً مائلاً الى الزرقة وهذا السحاب او الدخان يلفح العين. واذا اعترضه شخص اصابه عمى وقتي. والقليل منه يحدث في العين المأعظياً ويستنزل تياراً من الدموع يتدفق مدة دقيقتين او خمس دقائق واذا زاد مقداره دام فعله مدة اطول . ومع كل هذا لا يترك ضرراً مستديماً. مثل هذه المادة التي

تؤثر في الحال والتي لا تحدث ضرراً مستديماً يحتاج اليها الشرطيُّ والعسكري والسجان في تفريق شمل المظاهرات والمشاجرات والتجمهر. فاذا اطلقت من قنابل يدوية على جمهور المشاغبين والمتظاهرين جعلتهم جميعاً يكعون ولا يبصرون شيئاً . واظنهم بعد ذلك لا يقدمون على عملهم مرة ثانية

وهناك مركب يدعى Diphenylamine Chlorarsine وهو ليس غازاً سامّاً ولكنهُ يحدث التهاباً في الجهاز التنفسي واحياناً يحدث قيئاً . وهذا يمكن استخدامه في حماية خزانات المال في البنوك . وامثال هذه المواد التي تحدث ألماً شديداً ولا تترك ضرراً مستديماً كثيرة وهي التي يمكن استخدامها في اوقات السلم لتحقيق غايات واغراض شريفة كالتي ذكرناها

ويستخدمون الغازات السامة أيضاً في بعض الاحيان في صيد الحيوانات البرية ومطاردة الجراد وابادة ديدان القطن وغير ذلك . كذلك كانت غاز السام تستعمل الآن بكثرة في المانيا في المصانع وفرق المطافىء فكل رجل من رجال المطافىء عنده كمامة غاز سام

﴿ مستقبل الغازات السامة ﴾ : — إن حرب الغازات لا تزال في المهد. وكل ما استخدم منها والوسائل التي استخدمت بها وطرق الوقاية كلها جميعاً قابلة من نواح عدة للاصلاح والتنقيح والتغيير والتبديل . فالكلور استخدم اولاً في اسطوانات من الحديد ثقيلة جعلت استخدامهُ شاقاً ومضيعةً للوقت . ولم تمض شهور قليلة حتى ظهرت مكانهُ غازات مختلفة في حالة سوائل تصب في قنابل سهلة النقل والاستعمال. وبالقرب من نهاية الحرب ظهرت غازات سامة في صورة اجسام صلبة يمكن نقلها بغاية السهولة واستعمالها في جميع الاحوال من غير خطر ما . ولا يزال البحث سائراً سيره نحو التقدم والتطور وسوف تظهر من غير شك غازات جديدة وتبتكر طرق جديدة لاطلاقها ومباغتة العدو بها

في الحرب الماضية لم تستخدم الطيارات في قذف مقذوفات غازية ولا نعلم سبباً لذلك . ولكن حدوث ذلك في المستقبل بعد تقدم الطيران امر مؤكد . وسيكون ذلك بغازات اشد فتكاً في المدن وميادين القتال. ولقد قرأت انهم بعد الحرب اكتشفوا غازات جديدة اشد فعلاً من اقوى الغازات التي استعملت ١٠٠٠ مرة منها غاز اذا استنشقهُ كائن حي مات في الحال. ويقال انهم قد جربوه في هرّ فسقط ميتاً ولم يبد حراكاً . فتصور طيارة طارت في جنح الليل او في النهار فوق مدينة مطمئنة آهلة بالسكان وقذفتها بمقادير عظيمة من هذا الغاز . اني اترك لك تصور تلك النكبة ومبلغ تأثيرها . هذا بعض ما يحدث في الحروب القادمة

ان انتصار الجيش او الاسطول المائي او الهوائي بل ان انتصار الامة في الحروب القادمة متوقف على استعدادها الغازي وعلى ما تبتكره من هذه المواد . فالواجب على كل امة تريد ان تحتل لها مكاناً تحت الشمس ان تعنى بصناعة المواد الكيماوية وان تدرب رجالها على استعمالها وطرق الوقاية منها . فالحرب الكيمائية لها جنود خاصة بها وضباط وقوّاد فنيون . والنصر في المستقبل للامة المتنبهة اليقظة المتفوقة في الفنون الكيمائية

الرأي العام

إن الرأي العام مظهر من مظاهر شعور الجماعة واللفظة اسم لمدلول غامض غير واضح يصعب جلاؤه على الرغم من وقوعه في الاذن ومتناول اليد وهو شبيه ببعض اصنام يعبدها العبّاد ويشيدون لها الهياكل ولا يدرون من امرها شيئاً ...

ان تفسير كلمة « الرأي العام » سهل جداً فالرأي العام هو رأيك ورأيي ورأي الآخر أو هو لا رأيك ولا رأيي ولا رأيهُ وانما هو رأي الجماعة كلها غير مجزأة ...

يتأثر الفردُ برأي الجماعة فيكوّن في نفسهِ عقيدةً ما يظنها وليدة تفكيره وينسى انها تفذت اليه من الخارج . وقد قال (لوبون) ان الذين تحوا من اثر الرأي العام في رأيهم الخاص لأقلاء جداً والانسانية مدينة لهم على قلتهم بالعمران والتقدم. وقد يستحيل حتى على العباقرة والنوابغ ان يتحرّروا من تأثير الوسط وفعل البيئة الروحية حيث ولدوا وترعرعوا وشبّوا

وقد حاول الفيلسوف (ديكارت) ان يخرج على الافكار المقررة من قبل واراد لا يقبل منها الاّ ما انتفى منه الشك ولكن ازهقت روحه ولم يظفر مبدؤه اذ أنهُ لم يقوَ او لم يجرؤ على اعلان تعاليمهِ الفلسفية المناقضة لآراء العصر الذي عاش فيه

***

ان معظم آرائنا تلقين وايحاء لا استنباط وتأليف . وهب رأيك رأياً مبتدعاً فانك لتبقى ضعيف الايمان بصوابهِ حتى ترى انقياد الجماعة له او نفورها منهُ وتجد في هذا النفور تثبيطاً اي عدولاً عن الرأي وفي ذاك الانقياد تشجيعاً اي رسوخاً به

والرأي العام قسمان : قسم ننتهي اليه بالوراثة عن الماضي ذلك انهُ نشأ مع نشوئنا طائفة من الافكار والآراء والعقائد لم يكن لنا في بحثها ووضعها يد وانما قبلناها على علاتها فاستولت على عقولنا وتفكيرنا . وقد نصح (جان جاك روسو) النشء ان يعالج الامور وهو معتزل للناس سابح في فضاء من الحرية فسيح

والقسم الثاني هو تيار آراء البيئة التي نحوطنا فما يتركب هذا التيار ؟ ؟

انهُ يتألف من عوامل ثلاثة : المعرفة والمبادلة والعدوى الذهنيـة . فالمعرفة تجعل لرأي العام وزناً والمبادلة تديمهُ والعدوى كذلك

ولقد كان في صوت الرأي العام قديماً بحَّة اما اليوم فقد انطلق هذا الصوت والصحافة لسانهُ وهو لسان ذو حدين ينشر الحقائق ويذيع الاخطاء . وكما ان الورق مادة قابلة لالتقاط جراثيم العلل كذلك سطورها تنقل العـدوى الذهنية والمبادلة الفكرية بين الناس ان هدًى وان ضلالاً ! !

وفي الناس من يزدري الرأي العام ولا يعبأ بهِ ولا يهاب سلطانهُ وهؤلاء هم الاقوياء المستقلون فكراً ورأياً . ومنهم من يرزح تحت هوله ويخشى بأسهُ ورعوده وهؤلاء هم ضعاف النفوس . على أن (ماكس نورداو) يقول « انهُ لشجاع عظيم ذاك الذي يجاهر برأي شخصي مخالف للرأي العام وانهُ لمن الحماقة دوام المجاهرة برأي ثبت لصاحبهِ ان سعير الحرب بين هذا الرأي ورأي الجماعة لا ينفك مرتفعاً وان الخلاف قد يصير ابديًّا . . . »

ولا يخفى ان للمرأة شأناً عظيماً في ميدان الآراء فاذا كان بعض الافذاذ من الرجال يستطيع معاندة الرأي العام فان النساء لضعيفات كل الضعف في الوقوف في وجه تياره ومقاومة عواصفهِ وارياحهِ وهذا الضعف البشري يتجلّى في تأثير انتشار الازياء والخضوع خضوعاً تامًّا لسلطانها الموهوم

***

ان الشرائع من وحي الضمير وهي خير رادع للشر ولكن شوهد ان الرأي العام ينوب مناب الشرائع في البلدان الهمجية حيث لا شرائع موضوعة تردع الجاني وكثيراً ما يكون الخجل والحياء سبباً من اسباب نصر الفضيلة على الرذيلة

ويختلف الرأي العام باختلاف الاماكن والازمنة وباختلاف الهيئات الاجتماعية والدينية والاقليمية . اذ ان لكل طائفة من الناس عادات وعقائد متنوّعة

ثم انهُ كثيراً ما عاب الغربيون على الشرقيين انقيادهم لآراء الجماعة واستضعافهم امام قوة الرأي العام . فهل جهل الغربي ان ما من شعب تمتّص من كابوس الرأي العام معها عرق في العلم والحضارة وان قادة الرأي العام في كل مكان وكل زمان هم الذين فكروا وحدهم تفكيراً حرًّا وارتأوا رأياً مستقلاً وان سائر الناس يسيرون خلفهم ويتبعون خطواتهم ليس الاّ ؟ ؟ ! !

باريس توفيق وهبه

باب الزراعة والاقتصاد

الحشرات ومكانتها الاقتصادية في العالم

الحشرات والانسان — بدء دراسة الحشرات من الوجهة الاقتصادية — الخسائر التي تنجم عنها — للمحاصيل الزراعية — للحيوانات الاليفة — للاشياء المنزلية — قتلها للامراض — الحشرات المفيدة — دودة الحرير — نحل العسل — الحشرات الملقحة — الحشرات وتلقيح الازهار —

لا شك في ان الحشرات هي اكثر الكائنات الحية اتصالاً بالانسان والحرب بينهما قديمة ترجع الى ملايين السنين لما ادرك الانسان أن هذه الكائنات الصغيرة تضرُّه اضراراً جسيمة وتصيبهُ في نفسه وفي زراعاته واشجاره وحيواناته وطيوره وبالجملة ان كل ما يمتلكه من الاشياء لا ينجو من الاضرار التي تسببها الحشرات . ولا توجد على ظهر البسيطة جماعة من الناس في قديم العصور او حديثها لم تقاسي قليلاً او كثيراً من الحشرات . وقد تأتي تلك الاضرار بطريقة مباشرة او بالواسطة ولكنها على كل حال موجودة يشعر بها كل فرد . وان كان بعض الناس لا ينتبهون لها فاننا نبغي في هذا الفصل الموجز ان نبين تلك الاضرار العظيمة ونوضحها حتى يقف على حقيقتها كل انسان

ولا تخلو من الحشرات منطقة واحدة على وجه الارض فمن المناطق الشمالية المتجمدة حيث يقاسي الاسكيمو من لدغات البعوض الى المناطق الاستوائية الحارة حيث يتعرض سكانها لمرض النوم الذي تنقله اليهم ذبابة تسي تسي Tsetse وما بين هاتين المنطقتين من بقاع ووهاد وجبال وسهول وحراج وغابات نجد ان الحشرات لها المكان الاول في اجتلاب الاضرار والمفاسد. وفي قديم الازمان عند ما كان الناس يصابون ببعض الاوبئة الحشرية كانوا يظنون ان هذا جزاء لهم على ما اقترفوه من آثام ولذلك كانوا يبتهلون الى الله ان يمنع عنهم هذا البلاء. ولكن الانسان الذي ميزه الله عن سائر المخلوقات بالعقل والبيان قد بدأ بعد ذلك يفكر في مثل هذه الاشياء وبدأ يجرد سلاحهُ لمكافحة تلك الكائنات الصغيرة لينجو من شرها فكان يتعثر في خطواته الأولى مرة يفلح ومرة يخيب الى ان بدأت دراسة الحشرات من الوجهة العلمية فكان من نتائجها اننا أصبحنا الآن أقدر كثيراً من الانسان الاول على مجابهة تلك

الاوبئة . وما عهدنا بغارة الجراد الاخيرة وما بذلهُ رجال وزارة الزراعة في مقاومته وابادته ببعيد . وقد أصبح الفلاح الآن يستدعي عالم الحشرات ليستفتيهُ في انقاذ حاصلاته من الاوبئة الحشرية كما يستدعي الطبيب لمعالجة ابنهِ او الطبيب البيطري ليُنقذ حصانهُ من مخالب المرض

ولم تبدأ الدراسة العلمية للحشرات الا في القرن السابع عشر حينما اخذ بعض العلماء امثال سوامردام Swammerdam في هولندا ومليجي Malpighi في ايطاليا في تشريح نحلة العسل ودودة القز لمعرفة هل هذه الحشرات لها معدة وامعاء وجهاز عصبي ومخ الى آخر ذلك من اعضاء الحيوانات الكبيرة الحجم . وفي القرن التالي بدأت دراسة الحشرات من الوجهة التصنيفية واخذ بعض العلماء امثال لينيوس Linnaeus في السويد وفابريسيوس Fabricius في الدنمارك بتقسيمها الى مجاميع خاصة لتسهل دراستها على الباحث الذي يميل الى مثل هذه الدراسة . واستمرت دراسة الحشرات من الوجهة التصنيفية والتشريحية الى ان كان النصف الاخير من القرن التاسع عشر لما بدأ العلماء يشعرون بالهجمات العنيفة والاضرار الجسيمة التي تسببها الحشرات وبوجهٍ خاص أوبئة الجراد في حوض نهر المسيسبي حيث نبهت اذهان حكومة الولايات المتحدة ورجال محطات الابحاث فيها الى وجوب العناية بتوجيه الحملات العلمية على الحشرات ومقاومتها بقدر المستطاع حتى تنجو الحاصلات الزراعية من التلف . ومنذ ذلك الوقت بدأ نوع جديد من الدراسة وهو دراسة مقاومة الحشرات Insect control وبدأ العلماء المحترفون يظهرون في الميدان . واخذ هذا العلم يتقدم بسرعة عظيمة جدًّا نظراً الى حاجة الانسان اليه . ففي انجلترا في اوائل القرن العشرين كان علماء الحشرات لا يصلون الى المائة فاصبحوا في نهاية سنة ١٩٢٥ يُربُون على الالف ولكن دراسة علم الحشرات الاقتصادي خطت خطوات أسرع من ذلك في الولايات المتحدة وهي آخذة الآن في النمو في كل الممالك الاخرى التي تقوم زراعتها على اساس علمي ثابت يساعدها على زيادة المحاصيل وتوفير اسباب الرخاء بمقاومة تلك الحشرات الضارة

هذا ما استطيع ان اقوله عن علاقة الحشرات بالانسان وكيف بدأ يشعر بضرورة مقاومتها والخطوات العلمية التي اتخذها في سبيل تلك المقاومة . أما عن الخسائر التي تسببها الحشرات في العالم فسأتكلم عنها الآن بالتفصيل حتى يشعر القارىء بخطر هذه الكائنات من الوجهة الاقتصادية . وقد دلت الاحصاءات الدقيقة التي تقوم بها محطات الابحاث أنهُ في وقتنا هذا تقضي الحشرات على ١٠٪ من جميع الحاصلات الزراعية في كل عام . هذا في الاحوال العادية أي أن الناتج يكون تسعة أعشار المحصول الاصلي . ولكن احصاءات تلك المحطات في الاحوال غير العادية تدل على انهُ لم يسلم من المحصول الاصلي من هجوم الحشرات وإتلافها الا ٢٠٪ أو ٣٠٪ فقط . ويشتمل هذا التقدير على حاصلات الحقول أو المنتجات الزراعية وحاصلات الغابات والاخشاب والحيوانات الاليفة ومنتجاتها والاشياء المخزونة وأشجار الظلال والشجيرات

ونباتات الزينة والاطعمة وغيرها . أما في حالة انفوا كه فان الخسائر في الحالة العادية تزيد عن عشر المحصول . وفي بعض الاحوال الخاصة حيث يكون هجوم الحشرات عنيفاً فانها قد تقضي على المحصول كله . اما في الولايات المتحدة فقد تقدر الخسائر التي تنجم عن الحشرات في كل عام بمئات الملايين من الجنيهات

وعند ما تصاب الحاصلات الزراعية بأوبئة حشرية يقل المحصول وترتفع الاسعار لقلة العرض وكثرة الطلب . فاذا كان بعض الزرّاع في ذلك الوقت يقون حاصلاتهم بالطرق العلمية فانهم يجنون من وراء ذلك فوائد كثيرة لانهم اولاً يحفظون منتجاتهم من التلف وثانياً يتاح لهم بيعها بأثمان باهظة لقلة المعروض في الاسواق . وقد يقول البعض انما ينفقه الزارع على حفظ منتجاته وابعاد الحشرات عنها قد يوازي الفرق الذي يحصل عليه من ارتفاع الاسعار ولكن هذه النفقات في الواقع تعد جزءاً يسيراً جداً من الارباح التي يحصل عليها بارتفاع الاسعار اذا احكم طرق الوقاية وانتقى منها أحسنها وأوفاها بالغرض المقصود . لذلك كان من الواجب على الزرّاع انفسهم ان ينتبهوا لهذه المسألة حتى في الاحوال العادية وحين لا تتفشى الاوبئة لان الحشرات كما ذكرنا سابقاً تتلف عادةً عشر الحاصلات الزراعية فاذا كان الزرّاع ينفقون بعض تلك الاموال لوقاية حاصلاتهم فلا شك أنهم يأخذونها أضعافاً مضاعفة عند ما يبدأون في الحصاد ويجدون ان متوسط انتاج الفدان الواحد قد زاد كثيراً عن متوسطه إذا لم يتبعوا اي طرق لوقاية حاصلاتهم

واذا كانت الاضرار التي تنجم عن الحشرات في المحاصيل الزراعية تقدر بما تقدم فان أضرارها في المنازل لا تقلّ عن اضرارها في الحدائق والحقول والغابات . ففي المنزل نرى العثة التي تأكل الملابس والسجاجيد وغيرها والسوس الذي يأكل الدقيق والحبوب والنمل الذي لا يغفل في بحثه عن السكر والمواد الحلوة هذا عدا الذبابة والبعوضة اللتين تحملان كثيراً من الامراض المعدية وبعض الحشرات التي تتلف الكتب والصور

اما الحشرات الزراعية فمنها ما يأكل اوراق النباتات وبذلك يفقد النبات العامل الرئيسي في حياته لان الاوراق هي التي تقوم بصنع الغذاء للنبات فينمو ويكبر ويعطي للازهار التي تتلوها الثمار فاذا اكلت تلك الاوراق فان النبات يكون مصيره الى الموت . ومن امثلة تلك الحشرات دودة القطن فهي تأكل الاوراق وبذلك تتلف عدداً كبيراً من شجيرات القطن وبعضها يأكل اللوز بعد تكونه على النبات وقبل نضوجه وهنا خسارة لا تقدر تصيب القطن أيضاً من الحشرة المسماة بدودة اللوز . وبعض الحشرات تثقب ساق النبات وتأكل ما بداخله وبذلك يسقط النبات اذا هبت الرياح اذ لا يستطيع ان يعتمد في وجهها . ومن الحشرات ما يتطفل على الحيوانات التي تساعد الفلاح في زراعته فتنقل اليها الامراض وبذلك تقل قدرتها

على العمل وتقل منتجاتها كاللبن والزبدة وغيرهما وبعضها يثقب جلد هذه الحيوانات فاذا ذبحت وبيعت جلودها كانت غير صالحة للدباغة لما تحتويه من الثقوب

وتقع الاضرار التي تسببها الحشرات تحت قسمين القسم الاول الذي تسببه الحشرات الدودية أي التي تظهر فقط كل مدة معينة كالجراد مثلاً فان هجماته لاتكون طول العام ولكنه يظهر كل مدة خاصة كخمسة اعوام مثلاً ثم يختفي وبعد خمسة اعوام اخرى يشن غارة جديدة وهكذا . والقسم الثاني الذي تكون هجماته مستمرة وثابتة وتكون الخسائر التي تنجم عنها غير كبيرة في الظاهر ولكنها بطيئة ومستمرة فتفوق في مجموعها غارات الحشرات الاخرى التي تنتمي الى القسم الاول

وللحشرات اضرار اخرى جسيمة لانها تنقل بعض الامراض من المريض السليم فتنشر كثيراً من الامراض كالملاريا والحمى التيفودية والتيفوس والحمى الصفراء والطاعون والرمد وغيرها من الامراض الخطيرة التي تجعل المصابين بها غير قادرين على العمل فقط ولكنها تحتاج الى نفقات كبيرة للعلاج والادوية وقد تنتهي بالموت فتضيع الخسارة التي تتكبدها المملكة لا تقدر . وكثيراً ما تكون هذه الامراض وامثالها مما تنقله الحشرات سبباً في ضعف بعض الدول وفقرها اذا لم تقاوم مقاومة شديدة وتفرض عليها الرقابة الخاصة وتحارب الحشرات التي تنقلها . وتتكبد الولايات المتحدة سنوياً من الخسائر ما قيمته ١٠٠ مليون جنيه بسبب الملاريا وحدها و٣٥٠ مليون جنيه بسبب الامراض الاخرى التي تحملها الحشرات

ومن المشاهد ان الخسائر التي تنتجها الحشرات تزداد عاماً بعد عام واذا بحثنا عن السبب في ذلك مع وجود طرق الوقاية الكثيرة اجابنا احد الثقات في هذا الموضوع وهو الدكتور هوارد Howard أحد علماء الحشرات الاميركيين ورئيس معهد لعلم الحشرات بالولايات المتحدة بأن هذه الزيادة في الخسائر تنتج دائماً من تقدم المدنية لانه يقول ان الاراضي القاحلة والغابات التي يحولها الانسان الى أراضٍ زراعية يقضي فيها على عشرات الانواع من النباتات الوحشية التي تغطي تلك الاراضي ثم يأخذ بزراعة مساحات كبيرة منها بنوع واحد من الحاصلات كالقمح او البطاطس او الذرة او غيرها . فالحشرات التي كانت تعيش على النباتات القديمة الصلبة تجد امامها أنواعاً جديدة ولينة تستطيع اقتحامها بسهولة فتعيش عليها وتنتشر معها وعند ما تنقل البزور من هذه الاراضي الجديدة تنقل معها جراثيم الى اراضٍ زراعية اخرى وبذلك توجد انواع جديدة من الحشرات لم تكن تعرف من قبل

وبانتشار المدنية ايضاً تصدر انواع كثيرة من الحاصلات الزراعية والحيوانات ومنتجاتها من بعض ممالك العالم المختلفة الى البعض الآخر وكلما ارتقت المدنية وسهلت طرق المواصلات زادت المقادير المصدرة من تلك الحاصلات الزراعية وتنوعت . وعند ما تنقل تلك الاشياء

من مملكة الى الاخرى فانها تنقل معها الحشرات التي تعيش عليها وقد تجد بعض الحشرات في الممالك الجديدة المصدرة اليها بيئة أصلح لنموها من حيث الجو ودرجة الحرارة والرطوبة والجفاف وغيرها من العوامل التي تؤثر في انتشارها فينجم عنها اضرار جسيمة في الممالك الجديدة التي تنتقل اليها . لذلك بدأت الممالك المختلفة تشعر بهذا الخطر وفرضت الرقابة الجمركية الشديدة على الواردات التي قد تحمل معها شيئاً من الحشرات . وبعضها أنشأ مكاتب خاصة للتفتيش عليها ولا يسمح لها بالدخول الى المملكة الا بتصريح خاص من تلك المكاتب. وكثير من المحاصلات تُردُّ الى البلاد التي صدّرتها حتى لا تكون مصدر بلاء او عاملاً من عوامل انتشار الحشرات في تلك المملكة وهذه طريقة مجدية يجب على الحكومات ان تعمل بها حتى توقف انتشار الحشرات نوعاً ما

***

هذا قليل من كثير مما يجب ان نذكره عن الاضرار التي تسببها الحشرات للمجتمع حتى تنتبه أذهان القراء الى خطر تلك الكائنات الصغيرة . ولكن الى جانب الحشرات الضارة انواع كثيرة تؤدي خدمات جليلة للانسان وتوفر له سبل الرخاء . ومن هذه الحشرات المفيدة دودة الحرير وهي على جانب عظيم من المكانة الاقتصادية لانها الاساس لصناعة الحرير وهي التي تكوّن الخامات الاولى التي تتوقف عليها هذه الصناعة الهامة . واذا تصورنا طائفة من معامل الحرير في مختلف الممالك والاقاليم وملايين العمال الذين يشتغلون في تلك المعامل ادركنا ما تؤديه هذه الحشرة الصغيرة من خدمة للمجتمع وما تدرُّه على القائمين بامر تربيتها من الاموال الطائلة ذلك لان صناعة الحرير في وقتنا هذا تعتبر من اهم الصناعات الحية واكثرها انتشاراً

والحرير هو عبارة عن مادة سائلة تتكون في جسم الدودة داخل غدد خاصة تعرف بالغدد الحريرية وعند ما يكمل نمو الحشرة تبدأ في افراز تلك المادة السائلة التي تجمد مباشرة عند ملامستها للهواء وتكوّن خيطاً رفيعاً من الحرير تأخذ الدودة في لفه حول نفسها حتى تختفي تماماً داخل تلك الخيوط الحريرية التي تكوّن في ذلك الوقت ما يعرف بالشرنقة. وكل ما تستلزمه صناعة الحرير هو اخذ هذه الشرانق وحلّ الخيوط الحريرية التي تتكوّن منها ثم نسج هذه الخيوط أثواباً جميلة نراها تعرض في الاسواق بأغلى الاثمان

وتعتبر بعض الامم كالصين واليابان وفرنسا صناعة الحرير المورد الاساسي لثروتها ويقوم في هذه الممالك وفي كثير غيرها من التي تهتم بصناعة الحرير كثير من المعامل بعضها لتربية الدود وزرع اشجار التوت في مساحات واسعة من الارض وبعضها لنسج الحرير وبعضها لطباعته. كل هذه المعامل وكل هذا الاهتمام الذي تبديه الحكومات والامم يقوم على مجهود نوع واحد من الحشرات ولذلك كانت لدودة الحرير مقام ممتاز في عالم الحشرات ولها معاهد خاصة

لدراستها واجراء الابحاث عليها لانها مصدر مهم من مصادر الثروة وهذا شأن اقتصادي كبير وفي تلك الممالك يعتنون عناية كبيرة بتربية هذه الحشرة والاهتمام بأمرها

الى جانب دودة الحرير نجد حشرة اخرى مهمة من الوجهة الصناعية وهي نحلة العسل ويوجد ايضاً عدد عظيم جداً من النحل في جميع انحاء العالم يقومون بتربيتها واستخراج العسل والشمع وتصديرها الى مختلف الاسواق للبيع . الى جانب هؤلاء نرى المعامل المختلفة التي تقوم بصنع الاشياء والادوات التي تلزم لتربية النحل كالخلايا الخشبية والاقراص المعدنية وغيرها مما تحتاج اليه تلك الصناعة . ونرى ايضاً الحدائق الفسيحة التي تزرع بمختلف الازهار والاشجار ليتكون منها المناحل التي تمرح تلك الحشرة في ربوعها وتجتني من ازهارها ذلك الرحيق الذي يأكله الناس بعد ذلك ويستطيبونه . هذا الى جانب المعاهد التي تقوم بدراستها والكتابة عنها والكتب والمجلات التي تطبع ويكون أساسها تاريخ حياة تلك الحشرة وتطورها وطرق تربيتها وغير ذلك من الاشياء التي تتعلق بحياتها

وتوجد ايضاً أنواع من الحشرات المفترسة التي تتغذى بالحشرات الاخرى وهذه الانواع المفترسة على جانب كبير من خطورة الشأن لانها تأكل الحشرات الضارة بالزراعة أو بالاشجار أو بالحيوانات الاليفة وبذلك تبيد منها عدداً كبيراً وتقي الانسان من شرها . وقد أخذ العلماء من مدة قريبة يفكرون في هذه النقطة الهامة ويتخذون من الحشرات المفترسة اسلحة يجردونها على الانواع الضارة فكان منهم أن بدأوا يدرسون حياة تلك الانواع وأخذوا في تربيتها ونشرها في البقاع المزروعة بالحشرات الضارة حتى تبيدها . ولقد لقيت معظم تلك التجارب نجاحاً عظيماً وأصبحت بعض البقاع في مأمن من اعتداء الحشرات عليها بهذه الوسيلة ولذلك اتجهت الافكار أخيراً الى الاكثار من الحشرات المفترسة ونشرها بقدر الامكان في اماكن مختلفة لتقضي على الانواع الضارة وبذلك تتوفر الاموال الطائلة التي تنفق سنوياً على مقاومة الحشرات . وتؤدي بعض الحشرات خدمة عظيمة للمجتمع الانساني وذلك بانها تكون العامل الاساسي في تلقيح الازهار لانها عند زيارتها لتلك الازهار لأكل المواد الحلوة التي تفرزها فانها تأخذ حبوب اللقاح التي تنتصق على أجسامها وتنقلها من زهرة الى الاخرى فتذهب تلك الحبوب من أعضاء التذكير الى أعضاء التأنيث وبذلك تتلقح الازهار وتبدأ في تكوين الثمار وهذه الاخيرة لا يمكن ان تتكون ما لم تلقح الازهار التي تكونها . الى هنا بعد أن شرحت الفوائد والمضار التي تنجم عن الحشرات أتمنى أن أكون قد وفقت الى اظهار ما لهذه الكائنات الصغيرة من الاهمية الاقتصادية في هذا الوجود

محمد رشاد الطوبي
بكالوريوس علوم درجة الشرف الاولى
من الجامعة المصرية

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترضياً لي المعارف واحتراماً لهم وتمجيداً للاذهان. ولكن الهدف فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف . ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير متفقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تفضل على المطولة

نقد ورده

حضرة محرر المقتطف

سرني ما قرأتُ في مقتطف شهر نوفمبر (١٩٣٢) للفاضل عباس محمود العقاد من دفاعه عن شوقي رحمه الله وتخطئتي في مسئلتين استخرجهما من مقالي . وزادني سروراً ان اكون الذي جعل العقاد ينحاز الى شوقي .....

المسئلة الاولى

اشرت في مقالي الى غلطة شوقي في قوله

ان رأتني تميلُ عني كأن لم تلكُ بيني وبينها أشياءُ

وقلت ان صوابها تملْ لانها جواب إن الشرطية. فقال العقاد: «والذين يعرفون النحو!!! يعلمون ان الخطأ انما هو في تصحيح (كذا) الرافعي لان رفع جواب الشرط المسبوق (كذا) بفعل ماض صحيح مستحسن لجزم الجواب على السواء (كذا) لم يحفظه احد قط من علماء اللغة والنحاة . نقول ولكن اذا كان الرفع والجزم سواء وكان تصحيحنا بالجزم فكيف يكون الخطأ «انما هو في التصحيح» ...؟ كأنهم لم يقولوا ان الجواب الذي يرفع هو «المسبوق بفعل ماض» بل هو الذي يكون فيه الشرط فعلاً ماضياً وشتان بين كلام وكلام

يشير الكاتب الى القاعدة المذكورة في كل كتب النحو من أن الجواب يرفع او يجزم اذا كان الشرط ماضياً لفظاً او معنى والجزم هو المختار عند قوم والرفع جائز، وعند قوم العكس، وعند آخرين يجب الرفع. ولم يقل احد من النحويين انهما «هي السواء»

ولكن مع ورود هذه القاعدة في كل كتب النحو لا يزال بيت شوقي عندنا غلطاً لاننا لسنا من «الذين يعرفون النحو» معرفة النقل من الكتب والتقيد بالرأي خطأً وصواباً

ولا هذا مذهبنا في الادب ولا في اللغة ولا تقلد احداً ولا تتابع احداً بل لا بد ان يمرّ ما في الكتب من هذا الرأس بنقد يتّا فيجيء مجيئه الاول من ناحية اهله ثم مجيئه الثاني من ناحيتنا اذ لم تكن صناعتنا الترجمة ولا التلخيص فتجعل طبيعتنا النقل والاغارة على اقوال الناس وخلط شيء بشيء وادعاء الخليط كما يفعل اكثر المترجمين الذين يأبون الاّ ان يكونوا كتّاباً وادباء لا من ناحية انهم ادباء وكتّاب بل من ناحية انهم تراجمة .... وسنعرض هنا كل اقوال النحاة في رفع جواب الشرط على نسق من القضايا ونعترضها بالنقد ثم نترك الجواب منها لنحوينا الجديد لعلنا نفيد منه علماً لم نجده عند سيبويه ولا الخليل ولا المبرد ولا غيرهم

(١) لا يمكن ان يجعل رفع الشرط في تلك الصورة قاعدة يُقتاس بها الاّ اذا سمع في الكلام المنثور دون المنظوم اذ النظم محل الضرورة في اشياء كثيرة معروفة اما النثر فهو على السعة ولا يجوز فيه الاّ الجائز . فما هي الامثلة التي نقلها النحاة عن العرب لتلك القاعدة وعن اي القبائل سمعت وهل هو السماع الذي يعضده القياس ام السماع الضعيف ؟

(٢) لم يزيدوا في كتبهم على ان قالوا ان ذلك مسموع ولم يزد سيبويه في كتابه على هذه العبارة : «وقد تقول (تأمل) إن أتيتني آتيك اي آتيك ان أتيتني قال زهير

وان اتاه خليلٌ يوم مسألة يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

فأنت ترى ان سيبويه يضع مثالاً ويأتي بالشاهد عليه من الشعر والشعر محل الضرائر يجوز فيه ما لا يجوز في الكلام ولا اضطرار في بيت شوقي اذ يستطيع ان يقول : إن رأتني تعدّ عني . فلا شاهد في كلام سيبويه على رفع الجواب

(٣) ان اداة الشرط تجزم فعلين فاذا كان الجواب مرفوعاً قيل في اعرابه انه فعل مضارع مرفوع في محل جزم : فاذا لم تكن ثمّ ضرورة من الوزن فما الذي يمنع الجزم ان يظهر على الجواب في كلام هو من لغة النهار والليل وما علة تقدير الجزم ولماذا يتقدّر في مثل ان زرتني اكرمُك وانت تستطيع ان تقول اكرمْك ؟

(٤) من اجل هذه العلة يقول سيبويه ومن تبعه ان « اكرمُك » في مثل هذه الصورة ليست هي الجواب بل الكلام على نية التقديم اي الاصل «اكرمُك ان زرتني» فالجواب محذوف. وفي هذا الرأي (وهو أقوى الآراء وأسدّها) لا يقال ان جواب الشرط مرفوع . ثم ان فرقاً في البلاغة بين قولك اكرمُك ان زرتني وقولك ان زرتني اكرمك فلماذا يقلب سيبويه احدى العبارتين الى الاخرى على حين قائلها لم يرد الاّ وجهاً بعينه . وما هي ضرورة التقديم مادام الكلام على السعة ؟

(٥) ومن اجل هذه العلة ايضاً يقول الكوفيون والمبرّد من البصريين ان (اكرمُك) ليست هي الجواب والكلمة على تقدير القاء فالاصل ان زرتني فأكرمُك وبهذا يكون الجواب

جملة اسمية . ولكن ما هي ضرورة حذف الفاء وتقديرها في وقت معاً والكلام ليس موزوناً يختلُّ معهُ الوزن ان ذكرت الفاء وقائلها لو ارادها لذكرها لان الجملة من الكلام المبتذل الذي لا يراد منه شاهد في البلاغة ؟ وهم قاسوا ذلك على مثل قوله تعالى: ومن كفر فأمتعهُ قليلاً . ومن عاد فينتقمُ الله منه . ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً . ولكنهم غفلوا عن سر هذه الفاء فقاسوا عليها ذلك امثال المبتذل ولعل محوينا يبين للناس هذا السر

(٦) ويقول بعض من ذهبوا الى ان سبب رفع الجواب تقدير الفاء ان هذه الفاء تقوم في افادة الربط مقام الجواب..... فيصح رفعه وتركُ جزمه استغناء عنه بالفاء .... وهذا كما ترى من الخلط

(٧) قال قوم من النحاة ان الكلام ليس على نية التقديم ولا على تقدير الفاء ولكن لما لم يظهر لاداة الشرط تأثير في فعل الشرط لكونه ماضياً ضعف عن العمل في الجواب . وهذا على مذهب ان فعل الشرط هو الذي يجزم الجواب وهو غير الرأي الذي عليه التحقيق اذ يلزم ان لا يكون الجواب معمولاً لاداة الشرط لفظاً ولا تقديراً . والجزم ليس قوة ميكانيكية . . . . يبطل تأثيرها اذا انتهى الى فاصل لا يتأثر بها فلا تتعدّى الى ما وراء هذا الفاصل . ثم ان فعل الشرط اذا كان مضارعاً مبنيًّا كان كالماضي في عدم ظهور الجزم فيه ومع ذلك لا يرفع الجواب بعده . فبطل هذا الرأي كله

(٨) ان القرآن الكريم وهو افصح الكلام لم يأتِ فيه رفع الجواب مطلقاً بل جاء بالعكس في قوله تعالى: من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نُوَفِّ اليهم اعمالهم فيها . وقولهُ تعالى : من كان يريد حرثَ الآخرة نزدْ له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتهِ منها

فيخلص من كل ذلك ان اقوال النحاة ساقطة كلها وان الاساس الذي بنيت عليهِ من السماع مجهول لم يأت بهِ أحد وانهُ لم يُفرّقْ لاحد منهم عن علة مقنعة في زعمهم رفع الجواب بل عارض بعضهم بعضاً ومتى تعارضت الاقوال تساقطت ، وان الاصل الصحيح الذي بين ايدينا وهو القرآن الكريم ينكر هذه القاعدة فلم يأت بها ولا مرة واحدة وأتى بخلافها مراراً فكيف يكون التأويل بعد هذا وما هو الوجه الصحيح وكيف يُدفع السماعُ الذي نصُّوا عليهِ وكيف يكون الدفاع عن هؤلاء النحاة وهم قد عجزوا عن البرهان القاطع ؟

المسئلة الثانية

قلنا ان من التركيب في شوقي اضافات وهمية . لا محل لها في ذوق البلاغة كقوله

عيسى الشعور اذا مشى رد الشعوب الى الحياة

فقال العقاد : « وظن ان الشعور هنا زائدة . . . . والصواب ان « عيسى الشعور » في البيت السابق من تشبيه الاضافة المعروف في البلاغة وليس ثمة حشو ولا إقحام في تركيب

الكلمات فالبيت معناهُ ان الشعور اذا مضى (كذا) في الشعوب ردها الى الحياة كما كان عيسى يحيي الموتى . ومثل هذا أن يقال « خمر الريق » في تشبيه الريق بالخمر على الاضافة او يقال « موت الغناء » — حفظك الله — في تشبيه الغناء بالموت على هذا المعنى »

قلنا وبهذه الاسطر القليلة كدنا ننسى ان العقاد « من الذين يعرفون النحو » اذ هو لا يميز في معاني الاضافة النحوية بين خمر الريق وموت الغناء وبين عيسى الشعور ، ولا يعرف ان الاول اضافة نكرة الى معرفة تتعرف بها وان « عيسى الشعور » اضافة معرفة الى معرفة وذلك ممتنع الاَّ اذا جاز تنكير العَلَم واعتباره كواحد من جملة من سمي باسم عيسى وهذا محال لانهُ ليس في الدهر كله الا عيسى واحد خُصَّ بتلك المعجزة

وقال بعضهم بل تجوز اضافة العَلَم مع بقاء تعريفه اذ لا منع من اجتماع تعريفين اذا اختلفا وذلك متى اضيف العَلَم الى ما هو متصف بهِ معنىً نحو زيدُ الصدق . قال يجوز ذلك وان لم يكن في الدنيا الاَّ زيد واحد . نقول : ولكن عيسى عليهِ السلام لم يتصف في المعنى « بالشعور » حتى تجوز اضافتهُ اليهِ بل اتصف باحياء الموتى « والشعور » من صفة كل حي لا من خصائص عيسى وحده . وعلى فرض أن يقال أن « الشعور » في لغة العقاد هو احياء الموتى فيبقى أن عيسى لم يحي آلافاً ولا مئات ولا عشرات من الاموات فالاحياء ليس وصفاً ملازماً لهُ ملازمة الصدق لمن عرف بهِ على انهُ طبيعة فيهِ فتجوز الاضافة في « زيد الصدق » ولا تجوز في « عيسى الشعور » . وانما المثل الصحيح في هذا الباب قولهم « زيد الخيل » لملازمته اياها وانهُ فارسها في الغارات « وعمرو الصَّمصامة » لانهُ لا يضرب الاَّ بها فكأنها إحدى يديهِ

ونحن لم نقل ان « الشعور » زائدة كما توهم العقاد ولا تعرضنا لكونها اضافة على تشبيه او على النحوية ولم نزد على ان قلنا انها وهمية لا محل لها في ذوق البلاغة فلننظر فيها الآن من هذه الناحية . إن ساغ في ذوق البيان ان تقول ريقٌ مثل الخمر وغناء مثل الموت فهل يُسيغ ذوقك أن تقول شعور مثل عيسى ؟ واذا كان هذا التشبيه بارداً ركيكاً في اصله فكيف يجوز ان تحيله الى التشبيه البليغ فتحذف منهُ أداة التشبيه وتضيف المشبَّه بهِ الى المشبَّه فتقول « عيسى الشعور » اذا فعل وفعل ....؟ والفرق بين قولك «ريق كالخمر » وقولك «خمر الريق» ان هذه الصورة الثانية تجعل الفرع في المبالغة كأنهُ الاصل لا الفرع فيصبح الريق ألذ واقوى وأعظم نشوة من الخمر وكأنها عُرفت بهِ ولم يعرف هو بها. فهل يجوز على هذا ان يجعل الشعور أقوى واعظم في المعجزة من عيسى . . . . ؟

وهنا يجب أن اصرح اني لم أقرأ قصيدة شوقي التي مبناها عيسى الشعور »الاَّ في كتاب الديوان الذي اصدرهُ العقاد في سنة ١٩٢١ حين توهَّم انهُ يستطيع أن يهدم شوقي بمقالة في

مثل السهولة الذي تستطيع ان تحمل بها الجبل ملفوفاً في نسخة من جريدة . . . .

وكنت أتممت كتاب الديوان هذا فلم اقرأهُ مع اني منتقد في الجزء الثاني منهُ باللغة التي ينقد بها انعقاد من أقاموهُ وأقعدوهُ من غير ان يقعدوهُ أو يقيموهُ . . . . وانما قرأت ما كتب عني في نسخة كانت في يد أحد محرري الاخبار ثم تركتها ، فلما أردت أن اكتب عن شوقي رأيت واجباً أن اطلع على ما كانوا يرمونهُ بهِ فطلبت الكتاب من الصديق محرر المقتطف لاشير اليهِ ان كان فيهِ رأي او سداد او طريقة ، وجاءني الجزء الاول فرأيت في احدى يدي محمولاً وفي الاخرى ملقىً بهِ الارض إذ ليس فيهِ الا التصفح الذي لا يميز والخبط الذي لا يهتدي معهُ الى حقيقة . وكتب العقاد اربعين صفحة لم يعرف فيها من مآخذ شوقي الا بيتاً واحداً هو قوله في الهلال

تطلع الشمس حين تطلع صبحاً وتنحّى لمنجلٍ حصّاد

وظن انهُ اخذه من قول ابن المعتز :

انظر الى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندسا
كمنجلٍ قد صيغ من فضةٍ يحصد من زهر الدجا نرجسا

قال العقاد : وجاء شوقي فقال انهُ (اي الهلال) منجل يحصد الاعمار . وكلام العقاد هذا هو الذي نبهنا الى نقد الاضافة في « عيسى الشعور » لان شوقي لم يأخذ من ابن المعتز بل أخذ من شاعر العراق المشهور عبد الباقي العمري الذي كان في القرن الماضي من أبيات يقال انها من مبتكراته وهي :

علينا أهلّةُ هذي الشهور غدت تحصد العمر في مِنْجَلِ
وداست بَيادِرُ أيامهِ نبات لياليهِ بالارجل الخ الخ

وفي هذه الابيات يقول العمري ان هذا الحصاد طُحن وضُجن

وقد خبزته « سُنَيْنِي الهموم » بمسجور تنُّورها المصطلي

فمن ههنا تنبه الى « عيسى الشعور » وما كان العمري الاّ مقلداً الفرس والترك . وديوانه قد طبع في مصر من ثلاثين سنة وأهداه طابعه إلى شوقي وكان صديقه وصديقنا وهو الشيخ عثمان الموصلي . والغريب ان العقاد الذي فسرلنا « عيسى الشعور » . . . . هو نفسه الذي قال في (الديوان) : « ولكن شاعر العامة يعكس الآية فيقول ان الشعور رد الحياة وكلنا يعلم ان الحياة هي التي تنشىء الشعور »

لقد قلت في مقالي عن شوقي وأشرت الى من حاولوا اسقاطه مراراً إنه « اراهم غباره ومضى متقدماً ورجع من رجع منهم ليغسل عينيه ويرى ... » . وتفسير العقاد الآن دليل بيّن على انهُ غسل عينيه ...

مصطفى صادق الرافعي

مكتبة المقتطف

عصر اسماعيل

يقلم عبد الرحمن الرافعي بك — مجلدان صفحاتهما ٧١٤ — ثمن كل مجلد ١٥ غرشاً

عهدنا في دراسة هذا الكتاب القياس الى كاتب كبير لم يفرغ من ذلك حتى ننزل هذا الباب لنطبع فالكتاب يراد موجز عن مباحثه، تاركين لنحكم على قيمة الكتاب من الوجهة التاريخية للكاتب المذكور

اخرج الاستاذ الرافعي قبل الآن ثلاثة اجزاء من تاريخ الحركة القومية في مصر بسط في اولها مبدأ الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث وكشف عن الدور الاول من ادوارها وهو عصر المقاومة الاهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر. واشتمل الثاني على تتمة البحث في المقاومة الشعبية ووقائعها الى انتهاء الحملة الفرنسية. وتطور الحياة القومية من بعد ذلك الى ارتقاء محمد علي اريكة مصر بارادة الشعب. ثم افرد الجزء الثالث لعصر محمد علي، وفصّل الكلام فيه على ظهور الدولة المصرية الحديثة وتحقيق استقلالها وتأليف وحدتها القومية بفتح السودان وضمه الى حظيرة الوطن، وما تمّ في ذلك العصر من جلائل الاعمال

وبهذا الكتاب — عصر اسماعيل — يدخل المؤلف غمار العصر الحديث من تاريخ الحركة القومية. فهو يتضمن الحديث عن خلفاء محمد علي و « عصر اسماعيل» بوجه خاص اذ كان عهد الخديوي اسماعيل اكثر العهود صلة بعصرنا الحاضر واقربها منا اثراً

* * *

انقضى عصر محمد علي وابراهيم بعد ان توطدت دعائم الدولة المصرية المستقلة، وتأسس الجيش المصري والاسطول المصري والثقافة المصرية، ووضعت قواعد النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد. ثم جاء عهد عباس الاول ويصحّ اعتباره عهد الرجعية والنكسة لان فيه وقفت حركة التقدم وفترت النهضة التي ظهرت في عهد محمد علي

ثم كان عصر سعيد، ويمتاز بظهور نهضة وطنية جديرة بان تعدّ من ادوار الحركة القومية، ترجع الى نزعة سعيد الوطنية وميله الى خير المصريين ورفاهيتهم والعمل على تحريرهم من نير المظالم، وبث الروح القومية في نفوسهم، والنهوض بهم للمناصب العالية في الجيش والادارة. ولكن الى جانب هذه المحامد بدأت على عهده ثغرات التدخل الاجنبي في شؤون مصر، باقراره انشاء قناة السويس على يد شركة اوربية مخالفاً في ذلك تعاليم ابيه العظيم،

وبافتتاحه عهد القروض الاجنبية التي جرّت الكوارث على البلاد ، وكانت سلاسلها واغلالها

ثم جاء عهد اسماعيل ، وهو عصر طويل يتمثل فيه تاريخ مصر القومي والسياسي في ابان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويعدُّ عصراً هامًّا ، لهُ أثره البالغ ، كما لهُ أثره الضار ، في تطور الحركة القومية ؛ ذلك لما تمتعت فيه من آمال ، وما قام فيه من نهضة ورقي وعمران — ما نالهُ من تركيا من الحقوق والمزايا واكمال فتح السودان ومد حدود الدولة المصرية وتنظيم الجيش وترقية التعليم الحربي وانهاض البحرية المصرية واقامة العمران وبعث النهضة العلمية والفكرية — ثم ما تخلّلهُ وافترن به من اخطاء وارزاء أفضت الى التدخل الاجنبي.

واذا كانت مصر تشعر الى اليوم بنتائج النهضة التي قامت في ذلك العهد ، وتجني ثمارها ، وتلمس آثارها بيديها ، فانها ايضاً تعاني عواقب الاغلاط التي وقعت فيها ، وتدفع ثمنها غالياً من مالها وحقوقها ومرافقها . هذا الى ان معظم القيود والنظم التي تقرّرت في ذلك العصر ، لا تزال ناشئة الى اليوم . فالتشريع المختلط ، وتغلغل الاجانب في مرافق مصر ، والديون التي كبّلت البلاد حكومة وشعباً ، والتدخل الاجنبيّ في شؤون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع الى عهد اسماعيل

حقًّا ان كل مشتغل بشؤون مصر العامة ، لا يستطيع ان يستغني عن مطالعة هذا الكتاب وحفظهِ مرجعاً في خزانتهِ

اسباب الحرب المالية

تأليف سدني برنارد فاي — أستاذ التاريخ الاوربي الحديث — في جامعة هارفرد الاميركية
في مجلدين ضخمين ٦٨٧ — نقلها محمود ابراهيم دسوقي — ونشرتهما لجنة التأليف والترجمة والنشر

طغى بعد الحرب الكبرى سيل متدفق من كتب المذكرات . فكل سياسي وكل قائد وكل صحافي وكل متصل بأحد هؤلاء وضع كتاباً قال انهُ يشتمل على مذكراته عن الحرب الكبرى وأسبابها وسيرها والتبعة في اطلاء نارها . وبعض هذه المذكرات لا قيمة له من الوجهة التاريخية . أما المذكرات التي كتبها رجال كانوا يديرون شؤون الامم ويوجهون الحوادث باحكامهم اليومية — امثال پوانكاره وكلمنصو وفوش وجوفر وبرشنج وغراي وسكوت وتشرتشل وهوس وهندنبرج وفون بولوف — فلا مندوحة عنها لكتاب التاريخ في المستقبل . لانها مع الوثائق الرسمية التي نشرتها حكومات روسيا والمجر والمانيا وانكلترا والوثائق التي ما تزال مطوية في دور السجلات الرسمية هي اعظم المصادر التي يرجع اليها المؤرخون لاستقاء الحقائق

والقارىء اذا حاول ان يصل الى رأي متزن سليم من الاضطراب والتناقض في هذا الموضوع الوعر تعذّر عليهِ الامر او شقَّ لاختلاف الآراء وتعارض وجوه النظر . فالتبعة

في تمحيص الحقائق ومعارضة الآراء بعضها ببعض والموازنة بينها ، لترجيح رأي على رأي وايثار حكم على حكم ، واقعة على اساتذة التاريخ الحديث ، لانا نفتقر منهم سعة في الاطلاع ، وبعداً عن الهوى لدى تقليب النظر وتجرداً في الموازنة ، ونزاهة وانصافاً في الحكم . ولعلّ احداً من المؤرخين لم ينجح في هذا العمل الشاقّ نجاح الاستاذ برنارد فاي في كتابه الذي نقل حديثاً الى اللغة العربية

في مقدمة معاهدة فرساي وصف للحرب قيل فيها انها « نشأت من اعلان النمسا والمجر الحرب على الصرب في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤ ومن اعلان المانيا الحرب على روسيا في اول اغسطس سنة ١٩١٤ وعلى فرنسا في ٣ اغسطس سنة ١٩١٤ ومن هجومها على البلجيك »

فالمانيا من الناحية القانونية الحرفية هي الدولة البادئة بالحرب لانهُ لم تكن دول اوربا في حالة حرب صحيحة حتى شهرتها المانيا على روسيا وفرنسا . ومهما يبالغ الالمان في القول بان الضرورة الحربية حملتهم على ذلك ازاء تعبئة الجيش الروسي ، لا يمكن الاغضاء عن هذه الحقيقة المثبتة . فقبل المفاوضات السياسية في اول اغسطس سنة ١٩١٤ لم ينقطع رغماً عن تلبُّد الجوّ السياسي واكفهراره ، وعمل المانيا في اعلان الحرب قطع ذلك الحبل وقضى على كل امل في الوصول الى حلّ سلمي واجتناب الكارثة

على ان مسألة التبعة الادبية والسياسية في إثارة هذه الحرب امرٌ آخر ، وتوزيعها على الدول التي خاضت غمار الحرب يقتضي بحثاً مسهباً في الاسباب التي جعلت وقوع الحرب امراً لامفرَّ منهُ . وهذا البحث يتناول نظام المحالفات الذي كان سائداً اوربا — محالفة المانيا مع النمسا سنة ١٨٧٩ وانضمام ايطاليا اليهما سنة ١٨٨٢ والمحالفة الروسية الفرنسية سنة ١٨٩١ — ١٨٩٤ والتفاهم مع بريطانيا المعروف « بالاتفاق الودّي » — وحالة التسليح والتجنيد الاجباري في الدول المذكورة وتعزيز الاساطيل البحرية في انكلترا والمانيا . فاوربا كانت من الناحية الحربية والسياسية في مطلع سنة ١٩١٤ في حالة توازن ولكنهُ كان غير مستقرّ وغير كاف للاحتفاظ بالسلم اوربا

ثم وقعت مأساة سراييفو التي راح الفرندوق فردينان جوزف وزوجتهُ ضحيتيها فكانت الشرارة التي شبت النيران بين الجانبين . وتحقيق المتحدثات التي افضت الى هذه المأساة ، والحوادث التي تلتها من ادقّ الامور وآخذها لبّ

وقد كان الاستاذ فاي في كل ذلك المؤرخ الجامع بين سعة الاطلاع وبراعة التحليل والتجرد عن الهوى . لذلك رحّب المؤرخون في اوربا واميركا بكتابهِ أعظم ترحيب . فترجمتهُ للغة العربية عمل جليل الفائدة . واسلوب الترجمة من السهل الممتنع . فنشكر للاستاذ دسوقي عنايتهُ باخراج هذا السفر النفيس

وحي الاربعين

قصائد ومقطوعات — نظم عباس محمود العقاد — مطبعة مصر صفحاته ١٧٤

من النادر في تاريخ تطوُّر الادب وتحول اساليبه ومراميه، ان تجد رجلاً دعا الى انقلاب معين ومارس اصوله في كتابته ونظمه، وخاض معركة النضال بين دعاة الانقلاب ومقاوميه ؛ ثم مدَّ الله في اجله حتى شهد الفوز لرأيه وفريقه . لان التحوُّل الادبيّ ، بطيء في الغالب ، لشدة ارتباطه بالآراء والتقاليد الاجتماعية الموروثة ، في التفكير والشعور والتعبير . وهذه تغلب عليها صفة الاستقرار حتى يصدمها ما يزعزع استقرارها . هكذا انتقل الادب الاوربي من الاسلوب الرومانطيقي في القرن الماضي الى الاسلوب الواقعي في العصر الحديث

وقد كان الاستاذ العقاد في طليعة الداعين الى احداث تحوُّل في الادب العربي. ولكن دعوته لم تكن قائمة على ان كل قديم مرذول يجب اطراحهُ . وان كلّ جديد مرغوب فيه يجب تأييدهُ والاقبال عليه . ولكنهُ كان في مقدمة الداعين الى تحرير الفكر والشعور والاسلوب، من اغلال الانقياد الى احكام وأساليب ترهق الاديب لانها تستبدُّ باخلاصه وصدقه ، مع انها كانت في حياة من تقدمنا من ادباء العربية وأعلامها وسيلتهم البليغة الى الصدق والاخلاص في وصف خلجات النفس أو الاعراب عن احكام العقل . وقد أيَّد هذه الدعوة وفصَّلها في كثير من كتبه ، نخص بالذكر منها « ساعات بين الكتب » و «الفصول» و « مراجعات في الادب والحياة » و «ديوانهُ» المطبوع

ونحن لا نقول ان معركة النضال قد انجلت وان الحكام من دعاة التجديد قد ظفروا بالغار، وانما الدلائل تدلُّ على اننا صائرون الى هذا . وانك لتستطيع ان تتبين سرعة الانتقال من ان العقاد وهو من دعاته الاولين ، اصدر الآن مجموعة من شعره عنوانها «وحي الاربعين» في هذه المجموعة طائفة من الشعر النفسي والفلسفي النفيس . وعندنا ان قصيدة « كعبة الاصنام بعد الزوال » هي فريدتها . ففيها من الحكم على الانصاب التي يرفعها الناس لمعاني الحق والحرية والاخاء والمحبة والمجد ويعبدونها من « شفاههم » — كما يقول الانكليز — ما ينطبق على بعض نواحي الطبيعة البشرية في كل زمان ومكان مما يجعل القصيدة ذات شأن اذا نقلت الى اللغات الاخرى. ثم ان التمثيل على هذه الاصنام ووصفها قبل سقوطها وبعده ضرب جديدٌ في الشعر العربي

كانت النخوة فيها صنماً صاغيَ السمع كما شئت زنيها
يخلب الطرف بحسن واضح وسمات تزدهي من يجتليها
فرمت اذلاله في الارض لتي ومضت كفٌّ بلا كفٍّ تليها

يطلب الغوث ولا غوث لهُ هل ترى داعيهُ الاَّ سفيها

***

هكذا اقوتْ زوايا كعبتي وثوت خاويةً من ساكنيها
غير اني طائف من حولها لم اشأ اهجرها او ابتنيها الخ

وقصيدة « عيد ميلاد في الجحيم » تحتوي على وصف حالة نفسية تملك على الانسان في بعض ساعات الضعف او اليأس مساري الامل ونوافذ النور ، فيحسُّ ان كلَّ ما قدَّسهُ من معاني النبل والرفعة والاخاء والمحبة وغيرها من السجايا قد اصبح موطىء القدم في عالم لا يعرف — في بعض نواحيه وهي النواحي انطاغية — الاَّ الخسَّة والصغار والتنابذ والتخاذل فيؤثر الجحيم . وقولهُ في هذه القصيدة عن سكان الارض

لا يعرفون الحق ان سمعوا بهِ الاَّ ليلقوا في الحقوق عذابا
اهون بصاب في الجحيم اذوقهُ قد كان ثمة كلّ شيء صابا

ليس الاَّ صرخة صادرة من الاعماق ونفس الشاعر في مثل الحالة التي ذكرنا

اما قصيدة « اكاروس » فقد بناها على اسطورة « ديدالوس واكاروس » وهما على مايقال اول من طار من البشر . ولهما قصة ممتعة روى الشاعر ملخَّصها نثراً . وفي هذا الموضوع مجال « لاستعراض عبر الشهوة والغيرة والطموح » . قال في وصف فرار ديدالوس واكاروس لما سدَّت عليهما منافذ جزيرة كريت

فما تنادى الجند وارتجَّت القرى وخيف الاذى من حاضرين وغيَّب
وقالوا : امسَّ ربُّ الجزيرة حربهُ يوقيهِ عرض البحر اوطول سبسب
اهاب العنَّاع العبقريُّ بفنهِ فلبَّاهُ فاستعلى بهِ متن اشهب
تسربل من ريش وسربل نحلهُ خوافق لوَّى بينها الف لولب
فحلَّق مزهوًّا وفرَّ مظفراً واغرى لسان السخر بالمتعقِّب

وحبذا الحال لو لقي هذا الضرب من الشعر الذي يجمع بين « العبرة والمتعة الخيالية » من عناية شعرائنا نصيباً اوفر مما لقي حتى الآن ، على ان يجتنبوا فيهِ كما فعل العقَّاد ، مجرَّد السرد القصصي فهو من مزالقهِ

وفي ابواب المجموعة مقطَّعات فلسفية كثيرة . لا نجد لها تعليلاً وافياً ، الاَّ اضطراب حياة الشاعر في اثناء نظمها ، تخوضهُ بحر السياسة التحيّ ، فلم يسعهُ افراغ الجهد في موضوع واحد مدةً طويلة . ونحن اذا نظرنا الى هذه الناحية من « وحي الاربعين » وجدنا معظمهُ من نوع المقطَّعات التي تصف حالة نفسية طارئة او خاطراً استوحاه مما يطرق حسهُ للوهلة كلَّ يوم فيما يراهُ او يقرأهُ او ينتهي اليهِ . وحبذا الحال لو اتيح للشاعر ان ينظم عقد هذه الخواطر في قصيدة تقتضي

استفاضة في اعمال القريحة واستيحاء الخيال وتنبيه الشعور خلال المدة التي تكتب فيها القصيدة للاحتفاظ بوحدة معانيها وشعورها واسلوبها . ولسنا نقول هذا لاننا نرى في القصيدة الطويلة شعراً يفضل شعر القصيدة الغنائية lyric واننا نتمناه لانهُ نادر في الشعر العربي او قليل والشعر الغنائي كثير بل هو مجلى نبوغ العرب الشعري . واننا نتوقع من أئمة التجديد ان يجربوا التجارب في الشعر الذي يقتضي الاستفاضة وطول الجهد . وقد حاول الاستاذ العقاد من قبل محاولة موفقة فيهِ وهي قصيدة ترجمة شيطان . ومن قبيلها الجنين الشهيد ونيرون وخليل مطران وعلى بساط الريح للشاعر المأسوف عليهِ فوزي المعلوف. فالاولى فلسفية اجتماعية والثانية اجتماعية خلقية والثالثة تاريخية والرابعة وجدانية فلسفية

وبعد فاننا نتمنى ، وقد وقفت « الجهاد » صحيفة منها على البحث الادبي ان يعنى الاستاذ العقاد بشعر الشعراء المعاصرين فيحللهُ وينقدهُ اذاعةً لاجادةٍ او بياناً لفضل او تقويماً لطريقة

شوقي

بقلم انطون الجميل بك — رسالة صفحاتها ٩٥ قطع وسط — طبعت بمطبعة المعارف

لانطون الجميّل بك فضل على كاتب هذه السطور لن ينساهُ ، اذ بواسطتهِ تعرّف الى شعر خليل مطران . ذلك ان الحرب العالمية كانت مشبوبة النيران ، وكان كاتب هذه السطور يتلقى العلم في بيروت ويغادرها خلال العطلة الصيفية ليقضي ايامها في لبنان . وكان زمن بؤس وشقاء فلم يجد مفرًّا من آلامهِ الاّ في المطالعة . فوقع في يده ذات يوم كتاب من كتب المختارات القديمة والحديثة فاذا في آخره بحث «لانطون الجميل» في شعر خليل مطران، فأقبل عليهِ ، يرتشف نميره عن ظمإٍ ، فاعجب بطريقة تقسيم البحث وتحليل الشعر ، وايراد الابيات او الاشطر التي تضرب مثلاً على المعنى الذي يريد الكاتب ان يجلوه . وأعاد الكرة على هذا المقال حتى كاد يستظهره ، وهو يتوق الى مطالعة ديوان الخليل ولا سبيل اليهِ حينئذٍ . فلما انقشعت غمامة الحرب ، كان اوّل كتاب طلبهُ من مصر «ديوان الخليل» فأكبَّ عليهِ يقرأه في خلوتهِ ومع اصحابهِ ، ويكتب التعليقات على هوامشهِ حتى اصبح في نظرهِ كالحلية طال عليها الزمن فأضاف الى روعة جمالها جلال القدم . والنسخة لا تزال عنده لا يتخلى عنها

فلما اتحفنا الجميّل بك بكتابهِ « شوقي » الذي ضمَّ مقالته في شعر شوقي من ناحية السياسة (نشرت في عدد السياسة الخاص الذي طبع في مهرجانهِ) ومقالتهُ التي صدّر بها الاهرام (يوم تعيينهِ ١٤ أكتوبر ١٩٣٢) ورسالتهُ في شاعرية شوقي (التي تلا ملخصها في حفلة تأبينهِ في دار الاوبرا ٤ دسمبر ١٩٣٢) اعدنا قراءتها كلها بمثل اللهفة التي قرأناها بها اولاً . فدوجت

بنا الذاكرة الى مخابئها ناشرة ذكرى مقالة الجميّل في مطران ؛ فقلنا — وخبرتنا تؤيد ما نقول — هذا كتاب (ونخص بالذكر الرسالة الاخيرة) يصح ان يكون مدخلاً لدرس شعر شوقي.

فقد اجتمع فيه للكاتب المجيد سفاء ذهن مكنهُ من مراجعة كل ما نظمهُ شوقي — او معظمهُ على الاقل — وتبويب اهم نواحي الشعر التي عالجها — كالدين والوطن والشباب والفلسفة الاجتماعية والوصف الحسي والمعنوي وغيرها — واختيار المقاطع او الابيات او الاشطر التي تبرز فيها المعاني التي يريد الكاتب ان يمثّل عليها . ثم انهُ ساق ذلك في كلام صاف كالبلور ترى محاولة الانصاف تتجلى في كل فقرة من فقراته . فاذا رأى الكاتب في شاعره ما يخرج به عن الطريق القويم قال ذلك ولكن بعد ان يطرق كل الابواب التي قد يرى فيها تعليلاً لما يراه. ويلخص حكمهُ العام في شعر شوقي بقوله صفحة ٣١ « لم يشُذّ (شوقي) الى قيثارة الشعر وتراً جديداً . ولكنهُ عرف ان ينطق الاوتار القديمة بنغمات جديدة مستعذبة » و« كثيراً ما اصبح القديم جديداً بفضل ما اكسبهُ من جمال اللفظ والتركيب » ص ٥٨ وقد اجاد الشاعر محمد الاسمر في وصف كتاب الجميّل بك اذ قال في كلمات الكتاب

هي في الصمت هاتفات شوادٍ في حروفٍ من الطباعة خرس

ابو نواس

تأليف الاستاذ « عمر فروخ » استاذ الادب العربي في كلية المقاصد الاسلامية ببيروت

رأت « مكتبة الكشاف » وصاحبها الاخ « مصطفى فتح الله » ببيروت ان تصدر سلسلة متتابعة من كتب في الادب العربي ، وبدأ لها الاستاذ الاديب « عمر فروخ » بالقول في « ابي نواس : الحسن بن هانىء » شاعر الخمر والمجون . ويقول المؤلف : « هذه دراسة شبه مفصلة في شعر ابي نواس ، تتناول ترجمته ، ثم البيئة التي نشأ فيها ، والعناصر التي ساعدت على توجيه شعره الى مستقره ، ثم نقد لابواب شعره . . . . . »

ونقول : قد تعجل المؤلف الاديب في دراسته شعر ابي نواس ، وكان يجدر به ان يقف طويلاً قبل ان يتقدم ، ليأخذ عدته وأداته وما يصلح من أمره . أو ما تراه كتب عن موت ابي نواس والمرض الذي مات به اكثر من صفحة وكتب عن (فلسفة ابي نواس ومذهبه في الحياة) أربعة اسطر لم يزد فيها على ان جعل فلسفة الرجل فلسفة حيوان مستكلب قطيع تتسعّر شهوته . ولقد طوى المؤلف القول في ترجمة هذا الشاعر العظيم ليظهر لنا نواحي شاعريته وما في هذه الشاعرية ، وآفاق نبوغه ومطمح هذا النبوغ ، فكان حقيقاً — ولم يفعل — بأن يكشف لنا عن العصر الذي كان فيه أبو نواس ، ذلك العصر الذهبي في تاريخ العرب حين كان

الرشيد « هرون » يقول للسحابة المخلفة « أمطري حيث شئت » ، وحين كان الرجل من الناس يتنقل من مجلس الوقار يدرس فيه الكتاب الكريم ، الى مجلس الادب والظرف ينشد فيه الشعر ، ومن مجلس الحكمة والطب تدرس فيه الفلسفة بأنواعها ، الى مجلس ابي العبر وامثاله يؤتى فيه بالكلام الملفق من رطانة العجم وحماقات المغفلين ، ومن دار الجد والجدل في علوم الاوائل والاخذ والرد في مذاهب القوم من المعتزلة وأهل الرأي وأهل السنة وغيرهم ، الى دار الخلاعة والمجون وشرب الخمر وانواع الشرور الانسانية . وحين كانت بغداد تموج بالقادمين اليها من كل فج ، فيهم الفارسي والهندي والشامي والمصري والاندلسي والترك والديلم والقيان الجميلات ، والاماء المستطرفات البيقات ، والمغنيات والاديبات ، وحين كانت الفتنة والوقار والهدى والضلال ، وبغداد تغلي كغلي المرجل ، وابو نواس الشاعر الماجن اللسن الخبيث في مثل هذا الموج يروح ويغدو

هذا هو محك كل مؤلف يكتب عن أهل ذلك العصر على الطريقة المستحدثة في الادب العربي . وفي هذا يتبين القارىء كيف درس الاديب وكيف فهم وكيف تأثر بشعر الشاعر واهتز له واقبل عليه وأعجب به واستوضح نبوغه ونهد له وفضله واستخرج محاسن شعره ثم كتب عنه . وبغير هذا يكون كل كتاب قد استوعب ترجمة الرجل منهم على طريقة التأليف الاول أجدى وأقوم

على ان الاستاذ الاديب «عمر» قد ألم بحياة ابي نواس الماماً لا بأس به فيه الفائدة للناشئة ينبه كل غافل منهم الى الادب العربي وما فيه من درر القول وكرائم الشعر ويدعوهم الى وصل ماضيهم بالحاضر الذي يعملون على تشييده وبنائه . وقد رد الاستاذ القول الذي لج فيه بعض المحدثين بأن امثال ابي نواس من الشعراء أهل المجون والخلاعة والتهتك يمثلون العصر العباسي عصر الرشيد الذي كان يموج بأئمة الدين كأبي يوسف صاحب ابي حنيفة وكبار الفقراء من أعلام الصوفية اصحاب النسك والورع

اما لغة الكتاب وأسلوب المؤلف ففيهما ضعف نرجو ان تبرأ منه بقية مؤلفاته ان شاء الله ، وفي الكتاب سهو كثير ونخص بالذكر والتنبيه قوله «ان ابا الفرج صاحب الاغاني انتهج الجزء السادس عشر من كتابه « بأخبار ابي نواس وجنان خاصته » والصواب انهُ الجزء الثامن عشر . وايضاً ، فقد ذهب المؤلف الى القول بضياع ترجمة ابي نواس من كتاب الاغاني كما ذهب الى ذلك ابن منظور الانصاري صاحب «لسان العرب» في كتابه «أخبار ابي نواس» . وارجح الرأي عندنا أن قول أبي الفرج في مفتتح الجزء الثامن عشر من الاغاني « اخبار ابي نواس وجنان خاصته ، اذ كانت أخباره قد أفردت خاصته » إنما عنى به «جمع ديوان ابي نواس» الذي ذكروه في مؤلفات ابي الفرج

محمود محمد شاكر

ديوان فرحات

نظم الياس حبيب فرحات ، في ٢٨٧ صحيفة من القطع الكبير ، صبع بمطبعة مجلة الشرق في سان باولو

قبل تسعة قرون كانت تهبُّ نسمات رقيقة على العالم العربي في الشرق من فردوسه المفقود في الغرب ، وكانت تحمل تلك النسمات أصداء الخلود في طياتها فخلقت تلك الاصداء روحاً جديدة وعالماً يفيض بما يملأ النفس ويهزُّ الروح . وبعد هذه القرون التسعة تعود تلك النسمات قهباً معطرة بشذى العصر الحديث حاملة في اطوائها أصداء جديدة تعيد الى العالم العربي ذكرى أندلسه فيروح يتطلع الى العالم العاتب برنين المال وجلجلة المصانع يتسمع الالحان المنبعثة من قلوب ابناء العروبة الذين ضوحت بهم الحياة في أحضان الغربة في الامريكتين، هؤلاء الذين نزحوا من ديارهم يحملون بين جنوبهم قلوباً حساسة ، لم تلههم أعباء الحياة وضجيجها ، ومادية البيئة وغرابتها ، وعجمة اللسان وبعد المزار عن أن يرسلوا ما يفخر به الادب العربي الآن من إبداع

والياس حبيب فرحات أحد هؤلاء الاوتار الحساسة التي تردد اليوم ما سيظل صداه في الغد يتردد بين الاسماع والقلوب . عرفته أول مرة من قصيدته «الراهبة» التي نشرها المقتطف من أشهر فلمست فيه روح الشاعر التي اتوق الى معرفتها ، وتدشقت من عبيره ذلك الشذى الذي انشده دائماً . وهو واحد من القليلين الذين رحلوا من موطنهم وهم يحملون ثروة من لغتهم ساعدتهم على صد هجمات العجمة فخرجت دياجيهم مصقولة قوية بالرغم من هذا البون الشاسع بينهم وبين مواطن اللغة التي يكتبون بها

وأنت اذ تقرأ ديوان فرحات تحسُّ أن روح هذا الشاعر تعيش دائمة في ربيع دائم فهو يتعشق الرياض والمراعي ، ونسمعه يصف لك جمالها إذ يقول في قصيدته « ثغاء الشاة » :

جمال الليل في هذه المراعي حقائقهُ ، وفي المدن الرسومُ

وهو يعجب ممن تلهيه الحياة عن التمتع بما يحيط به في الكون من جمال فيهتف به قائلاً :

واعجب كيف يعيش امرؤٌ خليًّا وزهر الدجى عاشقاتُ!
ألستَ تراها تلظّى جوى وترنو الى صحبها غامزات ؟
أيروي الجنانُ الثرى والسما وما بين جنبيك أرضٌ موات..!؟

ويرى في هذا الجمال ما يستهوي التسامح ونبذ الفروق وهو يردّد ذلك في كثير من قصائده فيقول:

وأوى الطير عشهُ بعد أن صلّى صلاة المساء للرحمن
وانا مُذ عقلتُ يفضل عندي معبدُ الطير معبد الإنسان
فبهذا ركعتُ فوق ندي العشب في هيكل رحيب الجنان
وأمير بين أربع من جهات الأفق لا مثلها من الجدران

يسعُ المسلمَ الحنيفَ ويبقى غير ضنكٍ بالشرك النصراني
ويرى في الأهلّة الغرّ حسناً مثل حسنٍ يراهُ في الصلبان

ولهذا يرى أن الأخلاق تفضل العقائد فربَّ ملحدٍ أفضل اخلاقاً من مدّعي الدين لا تعرف الاخلاق طريقها الى قلبه ... فيقول في جرأة :

زوّجوا الحرّة الكريمة للحرّ ولو كان عابدَ الأوثانِ
كافرٌ يعشق المكارم خيرٌ من لئيمٍ يغوص في الإيمان

وافرحات ريشة تنقل ما يراه وما يحسهُ في دقة وامانة. فاستمع اليهِ يصف عربة تحملهُ وبضائعهُ في قصيدته « حياة مشقات »

ومركبة للنقل راحت يجرُّها حصانان بحرٌ هزيل وأشهبُ
بها خيمة تدعو الى الهزء شدها غرابيل ادعى للوقار وأنسب
جلست الى حوذيها ووراءنا صناديق فيها ما يسرُّ ويعجب
حوَتْ سلعاً من كل نوع يبيعها فتى ما استحلَّ البيع لولا التغرُّب
وراحت كأن البرَّ بحرٌ عجاده وأغواره امواجه وهي مركب
تبين وتخفى في الربا وحيالها فيحسبها الراؤون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر فتحسب ان الليل ليل معقب
تمرُّ على صُمِّ الصفا عجلاتها فتسمع قلب الصخر يشكو ويسخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى فتوشك من تلك الخلاعة تقلب

وانظر الى تلك الصورة التي رسمها لك خياله في اناة وتدبر فتظل أمامها امداً متأملاً ترى من خلال الوانها ضعف الام مجسماً في قوله :

وربَّت أمةٍ بالحق حُبلى افرط الضعف أسقطت لجنينا

ومن قصائده البديعة تلك القصيدة التي طالما انتحلها لانفسهم كثير من لصوص الادب وقرأتها كثيراً باسماء شتى وهي قصيدة « خصلة الشعر » وقصائد « مناغاة ليلى » و « يا نجمة الليل » و « وداع العزوبة » و « المدينة في الليل » و « السكرة الخالدة » الى غير ذلك مما تتكون منه تلك الباقة الجميلة التي لا ينقصها الا بعض التدقيق في قليل من الالفاظ والتي سها على شاعرنا ان يضعها فهرساً يهتدي به القارىء الى موضع كل قصيدة اذا اراد الرجوع الى قراءتها

وإنا لنرجو ان تكون تلك النسمات التي تهبّ الآن على العالم العربي خالدة النفس وان يشرب ابناء هؤلاء الادباء واحفادهم حب لغة الاجداد حتى نظلّ نسمع تلك الالحان العذبة خالية من العجمة والاخطاء فلا تحرم الاجيال القادمة من ان تنهل من كؤوسها خمراً صافية معصورة من قلوب ابنائها لا من قلوب الماضين ...

حسن كامل الصيرفي

علم الاقتصاد

صدر في دمشق الجزء الاول من كتاب علم الاقتصاد للاستاذ عبد القادر العظم رئيس معهد الحقوق العربي بدمشق ومدرّس علم الاقتصاد فيه . فهو كتاب جامع قسّمهُ واضعهُ الى ثلاثة ابواب

والباب الاول منهُ يبحث في موضوع علم الاقتصاد واقسامه والحاجات والارزاق ثم الانتاج وصلتهُ بالتداول والتوزيع والاستهلاك وهذا الباب في الواقع شرح لاوليات الاقتصاد لاغنى عنه لراغب في دراسة هذا العلم . والباب الثاني يبحث في تعريف علم الاقتصاد والغرض منه وعلاقته بالعلوم الاخرى كعلم النفس والاخلاق والتاريخ والجغرافيا والاحصاء والحقوق . ثم تاريخ العلم نفسه في القرون الاولى والوسطى والقرون الاخيرة ثم يشرح آراء رجاله في القرن الثاني عشر مثل آدم سميث وجون ستيوارت مل وغيرهم . اما الباب الثالث فيتعلق بالقوانين والمذاهب الاقتصادية فيشرح فيه منشأ المذهبين الحر والاجتماعي ومبادىء كل منهما وانتقادات خصومهما ثم الطوائف الاجتماعية فيبدأ بالشيوعية فالفوضوية ثم الاشتراكية والماركسية والماركسية الجديدة والمذهب الاجتماعي في العهد الحاضر ثم المذاهب المختلطة بين الفردية والاجتماعية باقسامها . وآخر فصول هذا الباب عن البولشفية والفاشستية

وقد بذل الاستاذ واضع الكتاب جهده في اخراجه مختصراً مفيداً وفي رأينا انهُ كتاب مدرسي مفيد لمن يطالبون بدرس هذا العلم . وكل ما نأخذه على الكاتب الفاضل انهُ في تعريبه كان اميل للغة الفرنسية حتى انهُ استعمل الفاظاً بعضها فرنسي مع ان اللغة العربية ولله الحمد تتسع لهذه المباحث العلمية سعة كبيرة والمرحوم حافظ ابراهيم وخليل مطران تعريب مطول لكتاب بول لروى في علم الاقتصاد استعملت فيه الالفاظ العربية المنتقاة للتعبير عن الكلمات الاجنبية الخاصة بهذا العلم

على انهُ يعجبني ان اشير هنا الى روح التواضع التي املت على المؤلف ان يقول عن نفسه انهُ « جامع الكتاب » وهذه حسنة نحبها له في هذا الوقت الذي انتشر بين الناس غرور شديد في نسبة التأليف الى انفسهم في كتب لا يحق لهم ان يدعوا فيها حق الجمع مع ان المؤلف لم يكن في كتابه هذا « جامعاً » كما يقول بل كان صاحب الفضل في وضع مؤلف مختصر مفيد يستحق عليه الثناء

جلال حسين

يشتمل هذا الباب في مقتطف مارس المقبل على دراسات ومراجعات في الكتب الآتية : —

الرحيل : ليخائيل نعيمه — في الصيف : للدكتور طه حسين — تاريخ معهم الساعي الحديث : لمحمد رفعت — شرح بشارة يوحنا : لقس ابرهيم سعيد — علم استخلاص المعادن — محركات الاحتراق الداخلي — في علم النفس — نباتات فلسطين — كتاب علم الطبيعة : الضوء — وغيره من الكتب الحديثة

باب الاخبار العلمية

وفيات الاعلام في سنة ١٩٣٢

لن بريد بتن Beaton مستنبط الآلة الكاتبة في ١٦ يوليو وعمره ٨٧

ارستيد بريان Briand السياسي الفرنسي في ٧ مارس وعمره ٦٩ سنة

فرديناند بويسون Bouisson آخر الاحياء من مؤسسي الجمهورية الفرنسية الثالثة في ١٦ فبراير وعمره ٩١ سنة

الكونت تشرنين Czernin وزير خارجية النمسا في ٤ ابريل وعمره ٦٠ سنة

پول دومر Doumer رئيس الجمهورية الفرنسية . قتل غيلة في ٧ مايو وعمره ٧٥ سنة

جورج ايستمن Eastman مستنبط آلة التصوير (كوداك) . مات منتحراً في ١٤ مارس وسنه ٧١ سنة

الاستاذ فسندن Fessenden عالم طبيعي ومهندس لاسلكي في ٢٢ يوليو وعمره ٦٥ سنة

السر باتوك جدس Godde بيولوجي انكليزي ١٧ ابريل وعمره ٧٨ سنة

كنغ جيلت Gillette مستنبط الموسى المعروف باسمه. في ١٠ يوليو وعمره ٧٨ سنة

وليم غراهم Graham وزير التجارة في وزارة العمال الثانية بانكلترا في ٨ يناير وعمره ٤٤ سنة

لورد انشكاپ Inchcape من كبار رجال المال والاعمال الانكليز في ٢٣ مايو وعمره ٧٩

تسيوشي انيوكاي Inuka رئيس وزارة اليابان. قتل غيلة في ١٥ مايو وعمره ٧٧ سنة

ايثار كروجر Kreuger ملك الكبريت الاسوجي. مات منتحراً في ١٢ مارس وعمره ٥٢ سنة

السر دونلد مكلين Macleau وزير المعارف البريطانية سابقاً في ١٥ يونيو وعمره ٦٨ سنة

الملك مانويل Manoel ملك البرتوغال سابقاً في ٢ يوليو وعمره ٤٢ سنة

وليم اوستوالد Ostwald عالم طبيعي الماني حائز جائزة نوبل الكيمائية سنة ١٩٠٩ في ٤ ابريل وعمره ٧٨ سنة

الفيلد مرشال پلومر Plumer قائد بريطاني ومندوب سام في فلسطين بعد السر هربرت صموئيل في ١٦ يوليو وعمره ٧٥ سنة

السر رونلد رُس Ross بكتريولوجي بريطاني مكتشف دورة طفيلي الملاريا في ١٦ سبتمبر وعمره ٧٥ سنة

لتن ستراتشي Strachey كاتب انكليزي مبتدع الطريقة الجديدة في كتابة السير في ٢١ يناير وعمره ٥١ سنة

أهم الحوادث العلمية في سنة ١٩٣٢

١٥ مايو (تقريباً) : كشف يوري Urey وبركود Brickwedde عن نظير الايدروجين بالتعاون مع علماء جامعة كولومبيا ومكتب الموازين والمقاييس بوشنطن

١٢ يوليو : (تقريباً) كشف الاستاذ شدوك Chadwick بجامعة كمبردج عن النيوترون Neutron وهو الكترون واحد وبروتون واحد محشوكين حتى يكاد لا يكون ثمة حيز بينهما

١٣ اغسطس : استعمل ماركوني امواجاً لاسلكية قصيرة طولها (٧ سنتيمتراً) للمخابرة اللاسلكية بين يخته الثريا Elettra ورأس فيغاري بجزيرة سردينية والمسافة بينهما ١٦٧ ميلاً

١٨ اغسطس : حلق الاستاذ اوغسط بيكار ببالونه الى علو ٥٣٦٧٢ قدماً لدرس الاشعة الكونية وهو اعلى ما بلغه انسان

٣١ اغسطس : كسفت الشمس كسوفاً كلياً وكشف عن نجيمة جديدة

٢٢ سبتمبر : غاص العالم بيب Beebe الاميركي الى ٣٢٠٠ قدم تحت سطح البحر

١٠ ديسمبر : وزعت جوائز نوبل كما يلي جائزة الطب مناصفة بين السر تشارلز سكت شرنغتن الاستاذ بجامعة اكسفرد (انكليزي) والاستاذ ادريان Adrian الاستاذ بجامعة كمبردج (انكليزي) وجائزة الآداب لدبوائي جون جالزوردي (انكليزي) وجائزة الكيمياء للسر ارفنغ لنغمير (اميركي)

ولم نقرأ ان جائزة النعيمة وجائزة السلام منحتا لاحد هذه السنة

أهم أنباء الطيران سنة ١٩٣٢

٢١ مايو : طارت المس اماليا ارهارت يَتسم (اميركية) وحدها من هاربر غرايس بجزيرة نيوفنلند الى ارلندة في ١٤ ساعة و٥٦ دقيقة . وهي اول امرأة تجتاز المحيط الاطلنطي وحدها طيراناً

وطار الكابتن موليسن الانكليزي في اواخر الصيف وحده من انكلترا الى اميركا وهو اول رجل يجتاز المحيط الاطلنطي وحده طيراناً من الشرق الى الغرب

٣ سبتمبر : بلغت سرعة الماجر دولتل الاميركي ٢٩٤٫٩٨ الميل في الساعة بطيارة برية

١٥ : ديسمبر طارت المس موليسون (ايمي جنصن) وحدها من لندن الى مدينة الكاب في جنوب افريقية وعادت الى لندن في ٧ ايام و٧ ساعات و٥ دقائق

أعياد سنة ١٩٣٣ واحتفالاتها التذكارية

﴿المواليد والوفيات﴾ يحتفل في خلال سنة ١٩٣٣ بانقضاء ٤٠٠ سنة على ولادة (الملكة اليصابات) Elizabeth الانكليزية التي ازدهر في عصرها الادب الانكليزي. وبانقضاء ٤٥٠ سنة على ولادة المصلح (مارتن لوثر) وبانقضاء ٣٠٠ سنة على محاكمة (غليليو) في ديوان التفتيش على اثر قوله بدوران الارض في سنة ١٦١٦ ومنعه من المجاهرة به . وبانقضاء ٢٥٠ سنة على ولادة (رومير) Reaumur صاحب مقياس الحرارة المعروف باسمه واول من حاول قياس سرعة النور برصد

خسوف اقمار المشتري . وبانقضاء مائتي سنة على ولادة (جوزف بريستلي) مكتشف الاكسجين. وبانقضاء مائة سنة على ولادة (الفرد نوبل) المهندس السويدي مستنبط الديناميت وصاحب الجوائز العالمية في الطبيعة والكيمياء والطب والادب والسلام. وبانقضاء مائة سنة على وفاة (لجاندر) العالم الرياضي الفرنسي . وبانقضاء خمسين سنة على وفاة (كارل ماركس) صاحب كتاب «رأس المال» انجيل الشيوعيين. وعلى وفاة الموسيقي (وجنر) ووفاة (فتزجرالد) الذي نقل عمر الخيام الى الانكليزية. وبانقضاء ستين سنة على وفاة الفيلسوف (جون ستيورت ميل) الذي درس اللغة اليونانية وهو في الثالثة من عمره ومُدَّ في اجله حتى اصبح احد مؤسسي مذهب الاحرار الحديث . وبانقضاء سبعين سنة على وفاة الروائي الانكليزي (ثكري) والمصور الفرنسي (دو لاكروى)

نفاد الفلزات يهدد العصر الصناعي

القى الاستاذ رُس ايكن غورتنر Gortner استاذ الكيمياء الحيوية بجامعة منسوتا الاميركية خطبة في مجمع تقدم العلوم الاميركي بيّن فيها ان الحضارة الصناعية مهدّدة بنفاد المصادر الطبيعية التي تؤخذ منها الفلزات ومواد الوقود . قال ان العلم التطبيقي في المائة السنة الماضية زاد المستهلك من هذه المواد الف ضعف او تزيد وان في مصادر بعضها تبدو علامات النفاد. وعنده ان مناجم النحاس والانتيمون والقصدير والرصاص والزنك والكروم والمغنيس والنيكل والحديد قد تنفد قبل الف سنة ومثلها مناجم الفحم وينابيع البترول . والف سنة تعدل طرفة عين في تاريخ البشر . ونبّه الى تبديد القصدير في صنع « الاوراق الفضية » التي تلفّ بها الشوكولاته والحلويات ولفائف التبغ. ويؤخذ من الاحصاء الدقيق الذي اجراه ان الحديد سوف ينفد من مناجم المانيا وانكلترا قبل اربعين سنة او خمسين ومن البلدان السكندينافية والولايات المتحدة الاميركية قبل مائة سنة ومن روسيا قبل ١٥٠ سنة ومن كل مناجم الارض قبل ٢٥٠ سنة اذ ظلّ ما يستخرج منهُ قريباً من متوسط المستهلك منهُ الآن . ويظن ان مناجم النحاس والزنك والرصاص والقصدير سوف تنفد قبل نفاد مناجم الحديد وان مناجم الكبريت في الولايات المتحدة الاميركية قد لا تكفي اكثر من ١٥ سنة . وان الطاقة المستخرجة من الماء والخضراوات والكحول وضوء الشمس لا تكفي للقيام مقام طاقة الفحم والنفط. فهل تنظر الحضارات المقبلة الى حضارتنا الصناعية فتحكم عليها بانها لم تكن حضارة ارتقاء وتقدم بل حضارة تبديد للثروة الطبيعية . وهل يدور دولاب الزمان فترتدّ الحضارة ، بعد نفاد المناجم وينابيع البترول ، الى استخدام القرس والزورق الخشبي اسباباً للمواصلات ؟

فيتامين A واصابات الاذن

قرّر الدكتور كلود كودي الاستاذ بجامعة تكساس امام الجمعية الطبية الاميركية ان الدلائل تدلُّ على ان فيتامين (A) ذو فائدة في منع التهابات الاذن المتوسطة ومعالجتها

فقد ثبت للدكتور كودي ان اضافة زيت كبد القد (زيت السمك) الى غذاء الاطفال في السنوات الماضية صحبهُ نقص ظاهر في اصابات الاذن المتوسطة بجراثيم. وهو لا يستطيع ان يحصر سبب هذه القلة في استعمال زيت السمك وانما الادلة تكفي للاشارة بدوام استعماله. اما في معالجة التهاب الاذن الوسطى فيجب اولاً نزح الجراثيم بتهذير غذاء يحتوي على مقادير كبيرة من فيتامين A. وان هذا الغذاء تقصّر مدة خروج الصديد من الاذن وتقلّل المضاعفات في عظم الاذن الوسطى واسرع عودة السمع

اشعاع الشمس ونمو النباتات

ثبت للمستر توتنغام Tottingham احد اساتذة جامعة وسكنسن ان اشعة الشمس التي لا ترى كالاشعة التي فوق البنفسجي والاشعة التي تحت الاحمر تزيد نمو النباتات فانهُ زرع نبات الطرطم ضمن زجاج لا تخترقهُ الاّ الاشعة التي فوق البنفسجي والاشعة التي تحت الاحمر فاثبت التحليل الكيماوي ان زيادة الليبيدات Lipoides في اوراقهِ اكثر من زيادتها في اوراق الطرطم الذي يحيط بهِ زجاج عادي. ثم ان النبات الاول لما زرع في الحديقة فاق الثاني في تبكير ثماره وكبر حجمها. ولا يعلم هل ذلك اثر من آثار الاشعة التي فوق البنفسجي او الاشعة التي تحت الاحمر او كليهما ولذلك ينتظر الاستاذ توتنغام ان يلمس اثر كلٍّ من الاشعة على حدة

غنائم الاسكندر

كتب المستر لوتز Lutz احد اساتذة جامعة كلفورنيا رسالة تدر فيها الاسلاب والغنائم التي فاز بها الاسكندر ذو القرنين في معاركه ففي معركة إسوس ٣٣١ ق.م فاز بما قيمتهُ مليون جنيه وفي معركة برسيوليس بثمانية وعشرين مليون جنيه وفي معركة اكبتانا باثنين واربعين مليوناً من الجنيهات

اصناف الفحم

حلّل علماء مصلحة المعادن الاميركية ١١٥ الفاً من اصناف الفحم من مناجم مختلفة لكي يعينوا مقدار ما يولده كلٌّ منها من الحرارة والرماد

تأييد وجود «النيوترون»

اعاد الدكتور راستي Rasetti الاستاذ بمعهد الفيصر غليوم الكيماوي ببرلين التجارب التي اجريت في انكلترا والمانيا وفرنسا حديثاً واستنتج منها وجود «النيوترون» وهو ذرة من المادة وزنها واحد وكهربائيتها معادلة (راجع المقالة الاولى في مقتطف مايو ١٩٣٢) فاسفرت تجاربهُ عن تأييد وجود النيوترون

فيتامين د وحصوات الكلى

لاحظت طائفة من المشتغلين بالبحث في أثر الفيتامين في الجسم الحي ان هناك علاقة بين نقص د فيتامين من الجسم وتكوّن حصوات الكلى فقد ذكر الدكتور ن الفيسم Elvehjem ونو Nen من اساتذة جامعة وسكنسن الاميركية انهُ اذا منع فيتامين د عن الطيور حدث في كلاها تطوّر جلي ضارّ . وكان الدكتور روبرت مكريسن McCarrison الانكليزي قد لاحظ ان الاصابة بحصوات الكلى واسع الانتشار في الشرق الاقصى فغذى طائفة من الحيوانات بالاغذية الشائعة في الهند فتكونت حصوات في كلى خمس الطيور التي جربت بها التجربة المذكورة فلما اضيف فيتامين د الى الغذاء لم تتكون في كلاها حصوات ما

ذكاء الجرذان والانتخاب الصناعي

تمكن الدكتور تريون أحد اساتذة جامعة كلفورنيا من توليد سلالة ذكية من الجرذان واخرى بليدة مستعملاً طريقة الانتخاب الصناعي . وقد ثبت لهُ في اثناء تجاربهِ ان توريث العوامل الطبيعية كاللون والجنس والوزن وخصب التناسل لا علاقة لهُ البتة بتوريث الذكاء

سبب نوع من السرطان

يصاب العمال الذين ينظفون مداخن البيوت والمعامل والمشتغلون بصناعات قطران الفحم الحجري بنوع من السرطان سببهُ ما يحدثهُ قطران الفحم الحجري من الحكة والالتهاب . وقد ثبت ان الشحوم التي تمسح جلودها بقطران الفحم الحجري تصاب بهِ كذلك . فعمد العلماء الى البحث عن المادة التي في قطران الفحم المسببة لهذا الداء فعثر الدكتور كوك واثنان من مساعديهِ في مستشفى السرطان التابع لمعهد البحث في لندن بعزل هذه المادة فاذا هي مركّبة من الايدروجين والكربون تدعى بنزبيرين benzpyrene . وقد ركّبوا هذه المادة تركيباً كيمائياً في المعمل فاذا لها نفس الاثر الذي للمادة المستخلصة من قطران الفحم في احداث السرطان في الفئران

ادنى درجات الحرارة

عند الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر بميزان سنتغراد تبطل الحرارة وتعرف هذه الدرجة بدرجة الصفر المطلق . وقد كان همّ العلماء ولا يزال الوصول إلى هذه الدرجة بتسييل الغازات وتجميدها تحت ضغط شديد . وعلماء هولندا اشهر علماء الارض في هذا الميدان . فالاستاذ اونس Onnes تمكن من بلوغ درجة ٢٧٢٫١٨ تحت الصفر بميزان سنتغراد وذلك في جامعة ليدن . وقد قرأنا الآن أن الاستاذ كيسم احد علماء الجامعة نفسها تمكن من بلوغ درجة ٢٧٢٫٣ تحت الصفر بميزان سنتغراد

تجزئة قطرة زيت

تمكن احد العلماء في معمل البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة بالولايات المتحدة الاميركية من تجزئة قطرة من زيت النفط لا تزيد على رأس عود ثقاب الى مائة مليون قطيرة ثم اشعلت هذه القطيرات فتولّد لهيب شديد الحرارة وينتظر ان تستعمل هذه الطريقة في توليد درجات عالية من الحرارة في أتاتين المصانع

الجزء الثاني من المجلد الثاني والثمانين

صفحة
١٢٥ اساطين العلم الحديث (مصوّرة)
١٣٤ غرفة الشاعر (قصيدة) . لعلي محمود طه المهندس
١٣٥ كلمات في اللغة
١٣٦ معجم عربي جديد . للشيخ عبد القادر المغربي
١٤٠ تنقيط الباء في آخر الكلم . للأب انستاس الكرملي
١٤٤ تعريب الاسماء الاعجمية . للفريق امين باشا المعلوف
١٥٢ الجسد والروح . لعلي أدهم
١٥٧ معرض المذاهب السياسية . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
١٦٢ الثروة في البحر
١٦٥ الطبائع والامزجة . للامير مصطفى الشهابي
١٧٣ الهيام بالذات . لأديب عباسي
١٧٧ الربع الخالي . للسيد فؤاد حمزه
١٨٦ معنى الجاذبية . لنقولا حداد
١٩٢ الدمعة الخرساء (قصيدة) . لايليا ابو ماضي
١٩٥ السياسة البريطانية الفارسية . ليوسف رزق الله غنيمة (مصوّرة)
٢٠٥ العلم والاحوال الجوية
٢١١ بيت الراعي . لألفريد دي فيني
٢١٢ الادب التركي — توفيق فكرت وحسين جاهد — لنقولا شكري
٢١٧ الحرب الكيمائية . لحبيب اسكندر (مصوّرة)
٢٢١ الرأي العام . لتوفيق وهبه

٢٢٣ باب الزراعة والاقتصاد * الحشرات ومكانتها الاقتصادية في العالم . لمحمد رشاد الطوبي
٢٢٩ باب المراسلة والمناظرة * نقد ورده . لمصطفى صادق الرافعي
٢٣٤ مكتبة المقتطف * مصر اسماعيل . اسباب الحرب العالمية . وهو للاربعين . شوقي . أبو شوارب . ديوان فرحات . علم الاقتصاد
٢٤٠ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٥ نبذة

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٩ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٣٦٠٩٥

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)
٣٥	القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة اولى)
٧٠	القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٥	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	قاموس الجيب عربي انكليزي فقط
١٥	قاموس الجيب انكليزي عربي فقط
٧٠	» سفراط سيبرو عربي انكليزي (بالقطع)
٥٠	» سفراط سيبرو انكليزي عربي (بالقطع)
١٠٠	» سفراط انكليزي عربي وبالعكس
١٠	التحفة السنية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالقطع)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان » » »
١٢	مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد)
١٥	روح الاشتراكية (لتوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد زعيتر)
١٥	روح السياسة » »
١٠	الاراء والمعتقدات » »
١٠	اصول الحقوق الدستورية » »
٢٠	الحضارة المصرية (لتوستاف لوبون)
٨	مقدمة الحضارات الاول » »
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥	ملتى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
١٠	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات سلامه موسى
٨	نظرية التطور واصل الانسان » »
٢٠	انا تول فرانس في بلاده (الامير شكيب ارسلان)
١٥	الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسن عبدالله)
١٠	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني)
١٠	قبض الريح (» » » »)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور ومنظوم
١٠	رسائل غرام جديدة (للاستاذ نسيم عبدالواحد)
١٠	الغريب في الادب المصري (للاستاذ خليل عيسى)
٥	حكايات للاطفال ٤ اول (مصور بالالوان)
٥	» » ٤ ثان » »
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فهمي)
٥	خواطر حائر (للاستاذ الجمل)
٨	التعليم والصحة
١٥	الحب والزواج (للاستاذ عقولا عبد)
١٥	ذكرى وانين خلقهم » » »
٥٠	عز الاجتماع (جزآن كبيران) » »
١٥	اسرار الحياة الزوجية » »
٢٥	المرأة وفلسفة التناسليان (للدكتور فهمي)
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها » »
١٥	الزينة الحرة (للاستاذ احمد الصاوي)
١٠	تايبس » » »
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (لاسعد خليل داغر)
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد ٤ مصورة
١٠	رواية فاتنة المهدي ٤ او استاذة السودان
٨	رواية الانتقام المدبر (لاسعد خليل داغر)
٥	فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	رواية باريزيت ٤ مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٢٥	رواية روكامبول ٤ ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥	رواية ام روكامبول ٤ ٥ اجزاء »
٢٠	رواية باردنيان ٤ ٣ اجزاء »
٢٠	رواية الملكة ايزابيو ٤ اجزاء »
٢٠	رواية الاميرة فوستا ٤ جزآن »
٢٠	رواية عشاق لنيصيا ٤ جزآن »
١٦	رواية كابيتان ٤ جزآن »
١٦	رواية افوسية الخراد ٤ جزآن »
١٢	رواية فسبرج ٤ جزآن »
١٠	رواية فارس الملك »
١٠	رواية ضحايا الانتقام »
٥	رواية المتكرة الخضراء »
٥	رواية سوزونة الاسود »
٥	رواية شهداء الاخلاص »
٨	رواية المرأة المتنسكة »
١٦	رواية دار العجائب جزآن (تقولا رزق الله)
..	» فرنسوا الاول » »

مكتبة العرب

لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني

بشارع الفجالة بمصر

من اكبر المكاتب واوسعها نطاقاً حاوية على جميع الكتب النادرة من الكتب المطبوعة في جميع الاقطار ولها قائمة مطولة ترسلها مجاناً وايضاً قائمة بالكتب الخطية النادرة وتطبع وتشارك المؤلفين في ضبع مؤلفاتهم ولها معاملات مع اكبر مكاتب اوربا واميركا والشرق الاقصى والادنى وتلبي جميع طلبات المهاجرين بأسرع ما يمكن

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية ولآني النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل

وبدل اشتراكها ٧٤٠ قرشاً صاغاً

وعنوانها Journal Oriente

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة سياسية علمية

تصدر مرة في الشهر في بوينس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بوينس ايرس